# چاجوا نانا

سيبريان إيكوينسي

رواية

ترجمة: سمير عبدربه

# چاجوا نانا

الكتاب: چاجوا نانا

المؤلف: سيبريان إيكوينسي

ترجمة وتقديم: سمير عبدربه

التصنيف: رواية

الناشر: دار مدارك للنشر

الطبعة الأولى: أغسطس ٢٠١٩

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ٨ - ٨٢٦ - ٤٢٩ - ٦١٤ - ٩٧٨

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع
محفوظة لـ **مدارك**. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو
نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من **مدارك**.

Madarek
Madarek Publishing House

مـــدارك
دار مـــدارك للـــنـــشـــر

8470 **طريق عثمان بن عفان، حي التعاون، الريـاض، المملكـة العربيـة السعوديـة**
8470 Othman Bin Affan St, Al Taawun Dist, Riyadh, Saudi Arabia
Zip Code: 3844 - 12478 Riyadh, Saudi Arabia Tel: +966 114541148

mdrek.com | read@mdrek.com | DarMadarek

"مزون" ... خطوة إنتاج مواد مترجمة تقدمها مدارك
بجهود الزملاء، سد خلال الناشر، الذي اختار أن يكون
الدعم والجهد، هدية لأمه؛ مزنة رحمها الله، حيث كانت تتأمل
كالسحابة، وتغيث كالمطر، وتحب العلم بشغف.

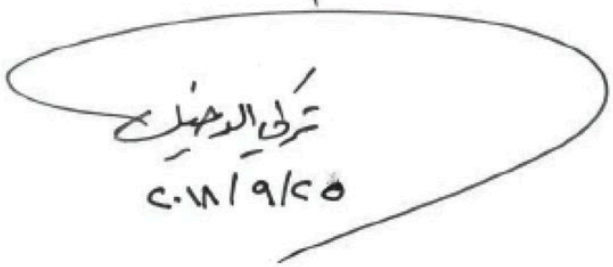

# تقديم

بقلم: المترجم

«سيبريان إيكوينسي Cyprian Ekwensi » هو أحد أهم المبدعين في القارة الأفريقية السوداء وخاصة في بلده نيجيريا، ولد «سيبريان أودياتو دواكا إيكوينسي» بمدينة مينا Minna بشمال نيجيريا في ٢٦ سبتمبر ١٩٢١ وقضى معظم حياته في أونيتشا بشرق البلاد وقد تلقى تعليمه بكلية (اشيموتا) في (إيبادان) وبمدرسة (شيلسيا) للصيدلة بجامعة لندن وكان قبل وفاته في العام ٢٠٠٨ عن عمر يناهز السابعة والثمانين يعمل محاضراً في (لاجوس) وصيدلانياً في مؤسسة نيجيرية طبية.

كان «إيكوينسي» متزوجاً وأنجب خمسة من الأطفال وبعد أن لاقتْ أعماله الأدبية المبكرة قبولاً ورأى فيها القارئ أعمالاً مبشرة بالنجاح التحق بالعمل في وزارة الإعلام النيجيرية وما إن بلغ مرتبة مرموقة في الوزارة حتى وقع الإنقلاب العسكري الأول عام ١٩٦٦ ومع استمرار الاضطرابات وأعمال الشغب في الأقاليم الشمالية والغربية من البلاد ترك «إيكوينسي» عمله بالوزارة وعاد للإقامة مع عائلته في (إينوجو Enugu ) حيث عمل رئيساً لمكتب الدعاية والإعلان في(بيافرا) ومستشاراً لرئيس الدولة الكولونيل «أودوميجو أوجوكو».

بدأ «إيكوينسي» أعماله الأدبية بكتابة الخواطر وهذا ما يفسر التلقائية والبساطة في أعماله الروائية وبخاصة في روايته (أهل المدينة People of the city) ١٩٥٤ التي رسم فيها «إيكوينسي» صورة بالغة الحساسية للحياة في إحدى مدن غرب أفريقيا وكانت أهم وأروع رواية لكاتب نيجيري في ذلك الوقت.

في العام ١٩٦٠ صدرت له روايتين قصيرتين للأطفال الأولى بعنوان (الطبال الصغير The Drummer Boy ) والثانية بعنوان (جواز مرور مالام إليا The Passport of Mallam Ilia ) وفي كلتا الروايتين نستطيع أن نرى بوضوح قدرة «إيكوينسي» وبراعته في مزج التقاليد بالرومانتيكية الحقيقية.

أما هذه الرواية التي بين أيدينا (چاجوا نانا Jagua Nana ) فهي أكثر أعماله الأدبية شيوعاً وانتشاراً وقد صدرت عام ١٩٦١ وفيها يعود المؤلف للكتابة عن المكان كما حدث في رواية (أهل المدينة People of the city ) لكنها تتميز

بحبكتها الدرامية المتماسكة كما أن شخوص الرواية مرسومة بدقة وحرفية بالغة وعلى رأسهم « چاجوا» التي تعمل بالبغاء واسمها مقتبس من اسم السيارة الإنجليزية الفاخرة

(جاكوار) وتمثل حياتها صراعاً بين التقاليد القديمة والحياة المدنية المعاصرة وقد تبعها في العام ١٩٦٧ برواية أخرى مكملة بعنوان (Jagua Nana`s daughter ابنة چاجوا نانا)، أما في العام ١٩٦٢ فقد صدرت له رواية (Burning Grass العشب المحترق) والتي أعيد طبعها عام ١٩٩٨ في نيجيريا ثم تلاها برواية (Beautiful Feathers ) عام ١٩٦٣ وتوالت أعماله بعد ذلك التاريخ وحتى ١٩٩٢ وأهم تلك الأعمال ( Iska « إيسكا»(و(Survive The Peace يعيش السلام) و(Motherless Baby «الطفل اليتيم»(و (Gone to Mecca) « الرحيل إلى مكة ») و ( Masquerade Time «زمن التنكر») و (King forever «ملك للأبد»)، بالإضافة إلى عدد من المجموعات القصصية ومن أهمها: (The Rain Maker « صانع المطر») و (Lokotown « لوكو تاون») و (The Restless City «مدينة القلاقل»).

نحن إذن أمام كاتب غزير الإنتاج ظل معروفاً بإنتاجه الوفير مدة تزيد على النصف قرن وانتشرت أعماله الروائية والقصصية في نيجيريا قبل ظهور أعظم مبدعيها من أمثال « تشينوا أتشيبي Chiua Achebe» و« وول سوينكا Wole Soyinka » خاصة وأن معظم أعماله الأدبية تدور أحداثها في مدينة) لاجوس) العاصمة وتتناول التأثيرات السلبية في وسط المدينة وتتحدث عن العاهرات وبنات الهوى ورجال السياسة المشبوهين ورجال الأعمال وضباط الشرطة والمخبرين واللصوص والذين تظهر من خلالهم اسوأ أنواع الوحشية والعنف والممارسات الجنسية القذرة.

قال « إيكوينسي» في حديث له مع « Lewis Nkosi» نشر بمجلة الكتاب الأفارقة: (أعتبر نفسي كاتباً مهموماً بقضايا الشعب ومشاغله ولا أرى نفسي صاحب أسلوب أدبي متميز لكن أسلوبي يأتي من التصدي لقلب الحقيقة التي يمكن لرجل الشارع أن يتعرف عليها بسهولة ولست مهتماً بمجرد الإطالة في رص الكلمات).

حصل «سيبريان إيكوينسي» على جائزة داج همرشولد الدولية للآداب عام ١٩٦٩ وتوفي في الرابع من نوفمبر عام ٢٠٠٧ بعد إصابته بمرض مزمن وتعرضه لعملية جراحية دقيقة.

سمير عبدربه

# (١)

خرجت «چاجوا» لتوها من الحمام بعد أن انتهت من الاستحمام بمياه باردة على طريقة النساء الأفريقيات، ثم جلست فوق مقعد منخفض ووضعت المرآة بين ركبتيها العاريتين وراحت تتحسس شعرها المبلل، وكانت قطعة قماش قطنية مزينة برسوم زهرية هي الشيء الوحيد الذي يستر جسدها العاري، وضعت لفافة القماش فوق ثدييها وتحت إبطيها لكنها لم تتمكن من إخفاء كتفيها وذراعيها ثم ضمت اللفافة بين فخذيها حتى اخترقت أطراف المرآة بشرة ركبتيها الناعمتين.

رفعت ذراعها وبدأت بتمشيط خصلات شعرها المفتول فراح ثديها يعلو ويهبط على شكل أقواس مشبعة بالرغبة، بينما دمعت عيناها قليلاً وهي تسوي شعرها المتشابك، وثمة قطرات من المياه كانت تنزلق فوق ذراعيها الطويلتين وكتفيها الساحرتين قطرة وراء الأخرى. وحينئذ شاهدتْ «فريدي» وهو يمر بالقرب من بابها، كان «فريدي» متردداً لكنه تمهل قليلاً حين ألقى نظرة خاطفة على شعرها العاري تحت إبطيها ثم سارع بدخول حجرته في الطابق الأسفل وهو يردد: «چاجوا»، «چاجوا نانا».

عرفتْ بأنها نجحت في اثارته وأن رغبته المكبوتة قد انطلقت من أسرها، إنهم يطلقون عليها اسم «چاجوا» بسبب فتنتها وأنوثتها الخلابة تيمناً باسم السيارة الإنجليزية الفاخرة الشهيرة چاجوار.

قالت «چاجوا» بصوت مثير رداً على نداء «فريدي»: ستجدني في الحال، فقط نادني حين تكون جاهزاً.

وكعادتها دائماً - حين لا تكون على دراية بالمكان الذي سيقصدانه - تأخرت في وضع المساحيق فوق وجهها وهمست لنفسها قائلة: من الآن فصاعداً يجب على «فريدي» أن يعرف بأنني لا أحب الانضمام إلى مجموعات الصفوة وبخاصة أولئك التابعين للمجلس البريطاني لأنهم قوم مزيفون ويتسمون بالقسوة والكبرياء.

لكن «فريدي» في المقابل لا يستطيع أبداً أن يتخلى عنهم ويقول بأنهم أداة هامة للتواصل مع بريطانيا حيث يمكن أن يتعرف - من خلالهم - على كثير من التقاليد والأعراف.

ينتمي كلاهما إلى قبيلة الإيبو بشرق نيجيريا لكن «چاجوا» حين تتحدث إلى

«فريدي» فإنها تخاطبه بإنجليزية بسيطة ومتواضعة لأن الحياة في مدينة (لاجوس) لا تتطلب منهما الالتزام بكثير من تقاليد وعادات العشيرة المعقدة، إنهما مثل كثيرين من أمثالهما غرباء في المدينة التي جاؤوا إليها بحثاً عن الثراء السريع بأسرع الوسائل، إنهم يتطلعون بشغف للوظائف التي تجلب مالاً أكثر.

سمعتْ «چاجوا» صوت حذاء «فريدي» وهو يسرع الخطى باتجاه حجرته في الطابق السفلي وظلت تنتظر ظهوره المفاجئ وحين طال انتظارها راحت تواصل تمشيط شعرها لكنها شاهدت فجأة - من خلال بقعة بعيدة من المرآة - بعض التجاعيد عند أطراف عينيها وبعض الدوائر الداكنة أسفل رموشها فقالت وهي تتنهد: أوه، لقد كبرت وأعتقد أن «فريدي» يبتعد عني أحياناً لأنني تقدمت في العمر!.

تنهدت مرة أخرى وأضافت: رحمتك يا رب.

لم تكن التنهيدة سوى تعبيرٍ عن الحسرة ونوعٍ من التوسل إلى الله أن يعيد إليها سنوات تألقها، لكنها راحتْ تتحدى نفسها وتستخدم كل فنون الغنج والفتنة لاستقطاب

«فريدي» وفي كثير من الحالات لم تشأ أن تتذكر أن ابنها لو كان حياً لكان تقريباً في مثل عمر حبيبها، إن «فريدي» ما يزال صبياً بالنسبة لها وأمامه طموحات كثيرة في الحياة، فهو يعمل مدرساً في مدرسة نيجيريا القومية ويرغب في السفر إلى أوروبا لاستكمال دراسته القانونية، لقد تقدَم للحصول على منحة دراسية حكومية لكن الأمل في اختياره ضعيف وهي تعرف بأن «فريدي» يستحق الزواج من فتاة مناسبة تستطيع رعاية أطفاله وتكون ظلاً له وعاملاً مساعداً في تحقيق طموحاته، غير أنها تحبه بجنون ولا تستطيع أن تجد مخرجاً مقنعاً من تلك الورطة.

تتمنى «چاجوا» أن يصبح «فريدي» زوجاً لها لأنه شاب ويتمتع بحيوية كافية تساعده على العمل وتوفير سبل العيش خاصة بعد أن تكبر وتفقد قدرتها على العطاء، وهي تعرف أن الرجال لا يرغبون فيها منذ ست سنوات ويفضلون الفتيات الصغيرات لكنها تستطيع منافستهن وهي في الخامسة والأربعين لأن قوامها ما زال مثيراً كما أنها تتمتع بالخبرة وبراعة الإحساس مما يساعدها في تدبير أمورها.

تعرف «چاجوا» أن وجهها يبدو جميلاً من بعيد وفي الأضواء المعتمة أما جسدها فإنها تفتخر به على الدوام مهما كانت درجة الضوء وتعرف جيداً أن أي رسام أو نحات يطمح أن يكون جسدها موديلاً له، إن عيون الرجال لا تستطيع التوقف عن التحديق في جسدها كلما نزلت إلى الشارع ومتابعة تموجات فخذيها التي تتفنن في إظهارها دون وعي منها وكثيراً ما شعرت بالخجل من عواطفها المتقدة أثناء ممارسة الحب غير أن «فريدي» لم يعد الآن مهتماً بها كما كان في البداية.

عندما انتهت من طلاء وجهها ورفعت ثدييها ثم أظهرت ما يجب إخفاؤه وحجبت ما يجب إظهاره بدت أكثر فتنة من أي فتاة من اللاتي لا يعرفن كيفية التعامل مع المواهب الأنثوية التي أنعم الله عليهن بها.

دخل «فريدي» إلى الحجرة عندما انتهت من ارتداء ملابسها لكنه وقف إلى جوار الباب وظل يتطلع إلى كتفيها العاريين وإلى رقبتها المكشوفة والتي تعرف «چاجوا» عن يقين أن كل جزء في جسدها لا يخلو من الإثارة، كان من اليسير رؤية حمالة النهدين القرنفلية حول ثدييها مما أثار « فريدي» وأشعل رغبته.

قالت: ألا تعجبك ملابسي؟

لاحظت حمرة الخجل في عينيه وهو يقول: أنت تعرفين رأيي في الملابس التي يجب ارتداؤها عندما نخرج سوياً لكنك تصرين على إثارتي، كم مرة يا «چاجوا» ساقول لك بأنني أخجل من طريقتك في اختيار ملابسك؟ ألا تشعرين بالرضا أبداً إلا إذا خرجت شبه عارية إلى الشارع؟.

ابتسمتْ وقالتْ: أعرف ما تقول ولكن هل أبدو عارية هكذا؟ هيا أخبرني بالحقيقة.

ضمَت شفتيها امتعاضاً وأمسكت بحافة تنورتها الرقيقة وراحت تدور حول المكان

وتقول: هل هذه التنورة الجميلة فيها شيء من العري؟

التقطت مسحوق البودرة وبدأت بتجميل وجهها وأضافت: أنت لا تعرف الموضة يا «فريدي».

أجاب بسخرية: أنت تعرفين الموضة ولذلك يطلقون عليك اسم «چاجوا »، نحن ذاهبون لمحاضرة وليس إلى حفل راقص.

أضاف بعد أن أغلق عينيه بإحكام كما يفعل دائماً حين يكون غاضباً: نحن ذاهبون إلى محاضرة في المجلس البريطاني.

قالت «چاجوا»: ماذا دهاك يا رجل، أنت غيور جداً ولا تحب أن ينظر الرجال إلى جسد امرأتك، لا تقلق فكل رجال المجلس البريطاني لا يهتمون سوى بالعقل والروح ولا يرغبون في مضاجعة امرأتك.

جلستْ تمسح دموعها التي تساقطت رغماً عنها وراحت تبكي بصوت مسموع وبدت في جلستها كجذع شجرة ولم يعد بوسع ذلك الشيء المشرق داخلها أن يبدو كما كان.

جاء فريدي وأمسك يديها ثم مسح دموعها المتساقطة فوق وجنتيها وعندئذ شعرت چاجوا بالرضا وقالت: يجب أن تثق بي يا فريدي فأنا لا أذهب إلى هناك للبحث عن أي رجل، انظر حولك وسترى أن كل الفتيات يرتدين مثل هذه الثياب وبخاصة في أيامنا هذه، إنها الموضة ونحن نعيش في أفريقيا حيث تسطع الشمس في كل الأوقات وحتى أثناء سقوط الأمطار ولذلك لا بد أن تتعرض بشرتنا للشمس ولندع الفرصة لأشعة الشمس كي تعانق أجسادنا وتغمرها بالقبلات، لا شيء يدعو للخجل يا عزيزي عندما تقبِل الشمس جسد امرأة، عندما تذهب إلى بلد تتسم ببرودة الجو كإنجلترا...

توقفتْ چاجوا - فجأة - حين عرفت أن فريدي لم يعد يسمعها، كان ينظر من خلال النافذة إلى أشعة الشمس الصفراء الممتدة فيما وراء أوراق الموز وسعف النخيل والتي انعكست ظلالها فوق الأشجار الطويلة والأسقف المتجعدة حين قال بسخرية: آه، أذهب إلى إنجلترا!! لا بد أنك تمزحين، كيف لمدرس فقير مثلي أن يجد المال اللازم للذهاب إلى إنجلترا؟ لن يحدث ذلك إلا إذا منحتني الحكومة منحة دراسية.

قالت چاجوا: لا شيء مستحيل يا فريدي، يجب أن تتسلح بالأمل فأنا أعرف أنك تتوق بشدة للدراسة في إنجلترا وأعتقد أن الله سيساعدك في تحقيق أمنيتك، لا بد أن تذهب فأنت أكثر تفوقاً من أولئك الذين ذهبوا وعادوا، أنت شخص ذكي وتمتلك عقلية متفتحة كما أنك مازلت شاباً يافعاً وتعرف ما تفعله، أنت جاد في عملك يا عزيزي وسوف تمنحك الحكومة تلك المنحة، وإذا لم تمنحك إياها فلا بد أن نتكاتف سوياً ونحاول معاً البحث عن طريقة ما تستطيع من خلالها السفر.

-سأحاول بمفردي، هذا كل شيء، وإذا ساعدني اللّه...

رمقته بنظرة ذات مغزى وقالت: سيساعدك اللّه بالتأكيد.

ثم همستْ وأضافت: طالما أنني أحبك يا فريدي.

إنها تحب فريدي وترغب فيه لأنه شاب قوي ووسيم وهي تعرف أن الفتيات يتمنين الفوز بقلبه غير أن كل ذلك لا يقف عائقاً أمام طموحاته، ولنفترض أنه ذهب إلى إنجلترا وعاد ليعمل محامياً واستطاع أن يقود سيارة فارهة ثم راح يتجنبها، لا، إنه رجل أصيل لا يفعل ذلك وليس كشباب لاجوس الآخرين الذين سرعان ما يتبدلون من حال إلى حال.

هكذا فكرت چاجوا ثم قالت له: عندما ترحل يا فريدي أخبرني بأنك لن تبقى هناك مدة طويلة وأنك لن تنسى أننا ننتمي إلى هذه الأرض، إنني أكبر يوماً بعد يوم وأرغب في رجل يحتويني.

-لا تقلقي يا چاجوا، يجب أن أذهب أولاً ثم سترين بعد عودتي، أنا لم أذهب بعد فلماذا تقلقين بينما أنا ما زلت هنا؟ وكيف تتحدثين عن العودة طالما أنني مازلت موجوداً هنا؟

تنهدت چاجوا وقالت: نعم، لكنني اعتدت أحياناً أن أخاف فأنتم معشر الرجال كثيراً ما تصيبون المرأة التي تمنحكم كل مشاعرها وثقتها بخيبة الأمل.

بدأتْ بإزالة الدموع الملطخة ببقع الماكياج واستطردتْ: إنني فقط أخبرك في حال حدوث مثل ذلك الأمر.

نظرت إليه بعينين متلألئتين ومليئتين بالإثارة وكأنها تستغيث به ثم صوّبت نظراتها بعيداً عنه وبدت كأنها تتحدث إلى نفسها وتقول: عندما تعود وقد حصلت على شهادتك سوف تبدأ في ملاحقة الفتيات الصغيرات من ذوات الأثداء النافرة ولن ترغب في رؤيتي كما تفعل الآن، ستصبح چاجوا امرأة عجوزاً بالنسبة لك.

قال فريدي دون عناء: عجوز؟!، هراء ما تقولين، إن چاجوا لن تكبر أبداً.

شعرتْ بالسرور والبهجة وسارعتْ بوضع اللمسات النهائية من الماكياج، وعندما أصبحت مستعدة للخروج شرع كل منهما بالتقدم بخطوات واثقة نحو الشمس وبدا كلاهما فخوراً بالآخر.

فور دخولهما قاعة المحاضرات العامة انتاب الحاضرين إحساس لطيف وكان المتحدث قد بدأ محاضرته للتو، ولكن بدا لچاجوا أن الجميع ينظر إليهما مما جعلها تشعر بالسعادة لأنها دائماً تحب أن تكون مثيرة للانتباه رغم معرفتها بأن فريدي لا يهتم بذلك التقدير والاعجاب بجمالها وأناقتها، لقد عرف ذات يوم كيف استطاعت أن تثيره وتشعل رغبته بأناقتها وحسن اختيارها لملابسها.

شعرتْ بالرضا عندما شاهدتْ همس الحاضرين وشفاههم المتحركة ورؤوسهم المنحنية فوق أوراق البرنامج.

تقدَم المرشد وأشار لهما إلى مقعديهما وقبل أن يجلسا ضغط فريدي على يدها وهمس لها قائلا: هذا الرجل محاضر بارع.

همست له أيضاً وقالت: أنت تحكي عن كل شيء في المجلس البريطاني، شيء رائع.

نظرتْ إلى منصة المحاضرات فأبصرت المحاضر بشعره المنكوش المتناثر فوق أذنيه وحول رأسه الأصلع وثيابه المتجعدة الملطخة ببقع من العرق عند المرفق والركبة، لم يكن المحاضر يتسم بأي نوع من الأناقة وربما كان مختلفاً عن الآخرين لكنهم جميعاً بالنسبة لچاجوا مثيرون للسأم والضجر.

جلستْ فوق مقعدها وراحت تحدِق في البرنامج الذي ناولها إياه فريدي.

# (٢)

أصيبت چاجوا بالدهشة عندما شاهدت عيني المحاضر، اكتشفت أن عينيه دامعتان وبدت كل عين منهما متلألئة في مواجهة الضوء وعبثاً حاولت تفسير تلك الدموع وذلك الوميض في عينيه لكنها لم تستطع، ظل المحاضر العجوز يمسح وجهه بالمنديل رغم أن المساء كان بارداً لكن وجهه الأسود ووجنتيه الملطختين ببقع صغيرة من الزيت كانت تنبئ بمظهر شاب، كان يتحدث بطريقة رسمية وصوت واثق وأجش فقالت چاجوا لنفسها: ربما شرب كثيراً من الويسكي بالصودا في ذلك الجو الرطب الذي تتسم به لاجوس!

شعرت بالنعاس من ذلك الجو العام المحيط بقاعة المحاضرات كما أن صوت مراوح السقف الرتيب جعلها تفقد حماسها، بينما كان فريدي جالساً بجوار النافذة يتطلع نحو عربات الكارو المحملة بالأوعية وقوارب البريد السريع القادمة من أوروبا وأمريكا التي يمتلئ بها الإقليم القريب من البحر، يخوت محلية وقوارب ذات محركات وزوارق مزودة بالمجاديف تجري فوق المياه من آن لآخر وكان من اليسير سماع أصوات تلك القوارب والزوارق والمجاديف أثناء احتكاكها بالماء.

كان عنوان المحاضرة هو (نبذة شخصية عن الاستعمار الأبيض في نيجيريا) وبدا أن الموضوع كان مثيراً لاهتمام الحاضرين، ولكن حين نظرت چاجوا حواليها رأت أنهم جميعاً من أولئك المفكرين الذين يشغلون أنفسهم بالانهماك في أنشطة عقلية، إنها المجموعة نفسها التي يلتقي أفرادها في حفلات الكوكتيل الرسمية، رجال القنصلية الأمريكية والسويسرية وأولئك الذين جاؤوا للبحث عن البترول ورجال العلاقات العامة ومدراء الإدارة في المحلات التجارية، إنهم دائماً يرتدون الملابس نفسها كما يرتدي المثقفون النيجيريون الطرابيش أو العمامات وملابس قطنية أو أرواباً متعددة الألوان ويغلب عليها اللون الأحمر.

أغلقت چاجوا عينيها وقبل أن تصيح في القاعة بأعلى صوتها طالبة منهم التوقف تماسكت قليلاً وقالت لنفسها: لا يجب الإساءة إلى تلك النخبة.

انطلق صوت ما من بعيد قائلاً: لقد تغير الزمن، كان المجلس التشريعي بالأمس يتألف بكامله من الرجال البيض فقط الذين كانوا وحدهم يضعون القوانين ثم يأتي دور الحاكم للنظر فيها والحديث عن الحكام يذكرنا بالحاكم

الأول وهو السيد دالتون توماس الذي كان يحب الطقوس الاحتفالية ويصدر تعليماته في نشرات لكل الناس، وكان يتمتع بقدر هائل من الذكاء جعله يواظب على حضور المناسبات الدينية أيام الآحاد في الكاتدرائية المقدسة، وبخاصة تلك المناسبة التي نحتفل بها في الخامس عشر من مارس كل عام. إن السيد دالتون توماس هو الذي قام بتنفيذ محطة السكك الحديدية وحضر حفل الافتتاح، لكن السيد دالتون الآن (يرحمه الله) هو الذي جعل عقولنا الاستعمارية تؤمن بفكرة أن الحاكم يجب أن يرتدي دائماً الزي الرسمي وهكذا توقعنا بعد تقاعده أن يفعل الحاكم الجديد الشيء نفسه ولكن ذلك لم يحدث، فماذا حدث إذن؟

جاء السيد ديفيد آرلنجتون وتم تعيينه حاكماً جديداً لكنه كان يمقت بشدة الزي الرسمي، كان السيد ديفيد الذي تخرج من جامعة كامبريدج من الشباب سهل الانقياد وكان برنامجه يتضمن زيارة مدينة كانو الكبيرة التي يقطنها المسلمون لافتتاح بعض الاحتفاليات أو حضور المناسبات، وذات يوم من أيام العطلات توجه الجميع إلى محطة السكك الحديدية حيث امتلأت الشوارع بالأعلام استعداداً لانعقاد مجلس يحضره الحاكم.

جاء القطار متأخراً عن موعده ونزل حرس الشرف ثم أشار إلى المحطة، وحين كان الناس يتطلعون بشغف إلى عربات القطار نزل الحاكم من إحدى عربات القطار الخاصة، كان شاباً أبيض ويرتدي قبعة قديمة مصنوعة من اللباد وبنطالاً من الصوف الناعم لكن ما أثار الدهشة هي تلك السترة الفضفاضة البسيطة التي يرتديها عادة طلاب الجامعة.

مضي الحاكم في سيره بين الناس وحينئذ صاح أمير مدينة كانو قائلاً: حاكم(1) Banza ، أخبروا ملك إنجلترا أن يعيده من حيث أتى، إنه لا يرتدي الزي الرسمي ونحن في نيجيريا نرغب في حاكم حقيقي ولا نريد غلاماً تعوزه الخبرة ولا يصلح لارتداء الزي الرسمي.

ضحك الجميع لكن چاجوا لم تفهم فنظرت إلى فريدي ولاحظت حاجبه المشدود وذلك الإعجاب الواضح في عينيه، واصل المحاضر كلماته بعد أن غيّر من لهجته واتسمت كلماته بالسخرية والجدية والهجاء في وقت واحد، ظلت چاجوا تتفحص رأسه الصغير الناعم وشاهدت تحركات حاجبيه وعينيه وحين راحت تتبع إيماءاته بدا لها عجوزاً فتذكرت أيام شبابها حيث لم يكن ثمة طرقات أو خطوط كثيرة للسكك الحديدية، وحيث كان يتعاطى الرجل الأبيض تلك المادة شديدة المرارة لوقاية نفسه من الملاريا أو الموت من شدة الحمي.

بدا فريدي ضجراً، رفع يده مقاطعاً المحاضر العجوز الذي سرعان ما أشار إليه فقفز فريدي من مكانه وطرح سؤالاً ثم ساد الهدوء بعض الوقت اعتقدت خلاله چاجوا أن سؤال فريدي إما أن يكون سؤالاً ذكياً أوخطيراً خاصة بعد أن شاهدت المحاضر وهو يرفع منديله إلى وجهه ليمسح العرق المفاجئ الغزير، رفع الرجل ذراعه كما يفعل المبشرون والكهنة ثم أجاب بحدة على سؤال فريدي فانطلقت ضحكات الحاضرين، وأثناء ذلك عرفت چاجوا بأنها لا تنتمي إلى هذه المجموعة وشعرت - كما تشعر دائماً - أنها منبوذة وغريبة بين هذه المجموعة من المثقفين الموهوبين، نهضتْ وبدأت في التحرك بينما كان فريدي ما يزال واقفاً وكان من اليسير سماع وقع حذائها ذي الكعب العالي، لكن الحاضرين كانوا ما يزالون غارقين في نوبات من الضحك وقليل من أعين الرجال هي التي راحت تنظر بشغف إلى ذبذبات جسدها.

لم تهتم كثيراً بذلك الخليط من الغضب والارتباك لأنها كانت على يقين بأن فريدي أيضاً شعر بالضيق.

# (٣)

وقفت چاجوا خارج قاعة المحاضرات في انتظار سيارة أجرة استعداداً للرحيل، لكنها أبصرت فريدي قادماً نحوها وهو يصيح طالباً منها الانتظار، تجاهلتِ العبوس فوق وجهه ولم تهتم بسيل كلماته المتدفقة، فلقد تعلمت من تجاربها أن الرجال حين يفقدون أعصابهم فإنه من الأفضل أن تتركهم، أشارت لسيارة الأجرة وقالت للسائق: نادي تروبيكانا.

ابتسم السائق ابتسامة عريضة وسألها: هل ترغبين في تشغيل العداد أم لا؟

أجابت چاجوا بعد أن تذكرت ارتيابها الدائم في عداد سيارات الأجرة: لا داعي.

جلس فريدي عند طرف مقعد السيارة بينما جنحت چاجوا للجلوس في الطرف الآخر ولم يتبادلا الحديث معاً، لكن السائق بدهائه وخبرته في معرفة الركاب راح يتحدث عن القادة السياسيين وخلافاتهم الأخيرة، وحين لم يجد آذاناً صاغية بدأ في الحديث عن مباراة كرة القدم الأخيرة بين نيجيريا وليبيا غير أن كلامه لم يقابل بأي رد فعل، ولم تكن چاجوا تستمع أصلاً إلى ما يقوله السائق، وحين رفعت عينيها ونظرت إلى المرآة المثبتة أمام السائق أبصرت عيني فريدي الغاضبة فعرفت على الفور بأنه أكثر غضباً من أي وقت مضى لأنه فشل مرة أخرى في محاولته لاستدراجها إلى الانخراط مع تلك الشريحة المتغطرسة من المجتمع.

كانت تحثه دائماً على الذهاب معها إلى نادي تروبيكانا لتعلمه كيفية الاسترخاء والاستمتاع بوقته وتقول له: أنت تحترف الموت بل أنت ميت بالفعل، لقد انتهى كل شيء دون أن تترك لك أي أثر في الحياة .

وكان فريدي دائماً ما يقاوم فلسفتها في الحياة، لكن چاجوا لم تكن بدورها تتوقف عن المحاولة.

عبرت السيارة فوق الجسر فلمحتْ چاجوا الصيادين بملابسهم شبه العارية داخل زوارقهم في البحيرة الضحلة، كانوا على وشك الإبحار فعرفت بأنهم في طريقهم للصيد وفكرت بينها وبين نفسها قائلة: هؤلاء الصيادون سعداء بحياتهم رغم أنهم لا يعرفون شيئاً عن المحاضرات.

كانت چاجوا تحب كثيراً ذلك الوقت الذي تنطلق فيه الأضواء من داخل الممرات والأراضي المنخفضة بألوانها البيضاء والزرقاء والبرتقالية وتلك الاعلانات المنبعثة من الفنادق والمتوهجة بألوانها المختلفة لحظة الغروب.

مضت سيارة الأجرة بسرعة متجاوزة أحد مفترقات الطرق، وعند جانب الطريق سمعتْ چاجوا دقات العزف على البوق، كانت الدقات الصاخبة قادمة من نادي تروبيكانا فانتابها إحساس حقيقي بالبهجة، هبطت من السيارة عند جانب الطريق بجوار امرأة تبيع البطاطا المشوية ثم توقفتْ لحظة لتسوية فستانها، توقفتِ المرأة عن النفخ في النار وراحت تحدِق بفستان چاجوا الضيق وشفتيها المصبوغتين بأحمر الشفاه وشعرها اللامع، ثم قالت بصوت صاخب: هيه، ستقودين سيارة ذات يوم وترتدين أفخر الثياب.

سمعتها چاجوا بوضوح فشعرت بالزهو، أمسكت بيد فريدي وشدته عبر الطريق إلى الباب الصغير المؤدي إلى تروبيكانا الذي يمثل بالنسبة لها علاجاً يومياً من ضغوط الحياة وشراباً مسكراً فعالاً، انها - مثل كل النساء اللاتي يأتين إلى هنا فرادى أو بصحبة بعض الرجال - تبحث عن شعاع من الأمل وكثيراً ما كانت تردد قائلة لنفسها: شيء ما سيحدث هذه الليلة، شيء ما سيحدث.

كانت الموسيقى جميلة وذات إيقاع محبب إلى النفس وشعرتْ چاجوا بدقات الطبول وبقائد الفرقة وهو ينفخ في الساكسفون ويرفعه إلى أعلى، وحين امتلأت شفتاها بنقاط من البثور تقدَم القائد وقام بإزالتها من فوق شفتيها فترددت الموسيقى وفقدتْ وتيرتها العذبة.

كانت كل النساء يرتدين ثياباً ضيقة بشكل ملحوظ فبدت الأرداف والأثداء بارزة فوق الأجساد، وفي الوقت نفسه كادت الثياب ذات القطعتين أن تخنق بعضهن، إن ملابس النساء تكون جميلة وفاتنة إذا نجحت في إشعال الرغبة لدى الرجال وجعلت عيونهم تحدِق بشبق في ذلك السوق الكبير من الملابس المثيرة.

احتل الراقصون باحة الرقص الصغيرة ذات الإضاءة الخافتة فأصبح من العسير رؤية الوجوه وصارت الأجساد المتراقصة صورة ظلية، واستطاع أحد الرجال الضعفاء أن يتسلل محاولاً البدء برقصة الحياة لكن محاولته كانت ارتجالية.

إنهم هنا بدون ياقات بيضاء مربوطة إلى أعناقهم ويتمتعون بمزاج مختلف عن أولئك الذين يرتادون قاعة المجلس البريطاني، إنهم مدراء البنوك

المغتربون ورجال البترول ووكلاء الشحن والقائمون على صناعة الجعة، وأيضاً أولئك الذين يقومون ببناء مستشفى الولادة والعاملون بالمساج والتدليك، ألمان وإنجليز وهولنديون وأمريكيون ونيجيريون ومن غانا، وكلهم متواجدون هنا يرقصون معاً بحثاً عن المتعة واللهو، سمعت چاجوا دقات الدفوف القوية القادمة من النادي المجاورفبدا الأمر وكأنه نوع من المنافسة بينهم وبين ما يحدث في نادي تروبيكانا، وحين تطلعتْ چاجوا حواليها لم تستطع أن تجلس فوق أي من المقاعد الكثيرة الخالية لأنها كانت راغبة بشدة في الرقص.

قالت لفريدي: تعال لنرقص بسرعة أرجوك.

وضعت حقيبتها جانباً فوق أحد المقاعد ومدتْ له ذراعيها غير أن فريدي كان مستغرقاً في تفكيره الخاص وكآبته.

كانت الفرقة الموسيقية تعزف لحناً جديداً ومناسباً من غانا، وكان اللحن مثيراً للبكاء ومفجراً للمشاعر وكافياً لمساعدة المرء على التخلص من كل الغضب الذي يعتريه، وكانت چاجوا تعرف أن ذلك النوع من الألحان هو ما يحبه فريدي، وضعت يدها فوق يده بطريقة ناعمة ولطيفة وقالت له بحب: أنت ما زلت تحيرني وتصيبني بالغيظ أحياناً، أما زالت تراودك فكرة العودة للاستماع إلى ذلك المحاضر العجوز؟، تعال أيها الرجل ودعك من المحاضرة فأنت شاب ويجب أن تستمتع بحياتك.

إن جيمو لادي وفرقته الموسيقية دائماً ما يعزفون أنغاماً حلوة رغم أنها تتسم بالصخب أحياناً لكن رقصة الحياة تتطلب ذلك الصخب لإثارة الراقصين وإشعال رغباتهم المكبوتة، نهض الرجال البيض والرجال السود فامتلأت بهم باحة الرقص واختار الرجال السود النساء البدينات اللاتي يتمتعن بأوراك كبيرة، بينما راح الرجال البيض يتعلقون بالفتيات النحيلات ذوات العظام البارزة والخصور النحيلة، كان المكان مليئاً بمختلف أنواع الفتيات والنساء اللاتي يناسبن مختلف أذواق الرجال، وكان من بينهن سوداوات بلون شجرة الأبنوس وذوات البشرة البيضاء وصفراوات من آسيا وأخريات من طبقات اجتماعية متوسطة، وكل واحدة منهن كانت لها شخصيتها المتميزة فأصبح من اليسير على الرجال أن يختاروا ما يرغبون، وشعر كل رجل بالرضا عن اختياره، وهكذا جذبت النساء انتباه الضحايا وقمن بإغوائهم وكان نادي تروبيكانا هو الرابح الوحيد.

تعلَقتْ چاجوا بفريدي وتلاصقت الأكتاف واصطدمت الخصور وراحا يسحقان أعقاب السجائر التي ملأت باحة الرقص بأقدامهما، وبعد الانتهاء من الرقص سارع فريدي بالتوجه نحو البار بصعوبة تاركاً چاجوا بمفردها بضع لحظات، جاء خلالها رجل سوري مهذب إلى طاولة چاجوا وأغرق الطاولة بالمشروبات، لم يكن الرجل السوري شاباً لكن مظهره يوحي بأنه مدمن للخمر ويبدو أنه يأتي إلى هنا كل ليلة، وكانت چاجوا غالباً ما تراه بصحبة ماما نانسي غير أن ماما نانسي غير موجودة الليلة في نادي تروبيكانا مما جعلها تتساءل بينها وبين نفسها: ماذا يدور في رأس هذا السوري؟

قال لها بأنه يملك كثيراً من المال وأنه من النوع السخي الذي ينفق بلا حساب، غير أن چاجوا لم تعبأ باصطحابه إلى المنزل كما طلب منها لكنها لم تجد ما يمنعها من التقاط سيجارة من علبة سجائره وشعرت بالزهو من كلماته المشبعة بالإطراء ومن ابتسامته المليئة بالاعجاب.

عاد فريدي ورمقها بنظرة غاضبة وقال بعبوس وتوتر شديد: انهضي يا چاجوا ودعينا نمضي من هنا. قالت بدلال: لماذا الآن يا فريدي؟ اجلس وسلم على الرجل فنحن جئنا لتونا والرجل يتوق للقائك.

حدَق في الرجل السوري الذي قدَم بهدوء سيجارة أخرى إلى چاجوا ثم قال: فلنرحل من هنا ونمضِ إلى البيت.

تناولت چاجوا السيجارة من الرجل وقالت لنفسها: إن السجائر هي خبزي وطعامي وأستطيع بنقود الرجل السوري أن أشتري ذلك الفستان الجديد الذي رأيته في أحد المحلات والذي طالما حلمت بارتدائه، إنني أحب فريدي كثيراً لكن مرتبه بالكامل لا يستطيع أن يشتري ذلك الفستان ويجب على فريدي أن يفهم أن لا شيء يقلل من حبي له إذا أخذت نقوداً من الرجل السوري.

نظر السوري بعينين نصف مفتوحتين ونفث دخان سيجارته بقوة وقدَم عود الثقاب المشتعل إلى چاجوا فظهرحاجباه الكثيفان وبعض البثور في ذقنه، ابتسمت چاجوا ووجهت ابتسامتها إلى فريدي وعندئذ علتْ وجه الرجل السوري ابتسامة أخرى.

قال فريدي: كنت في انتظارك يا چاجوا.

-لكنك لم ترقص معي بما فيه الكفاية يا فريدي.

-لن نرقص حتى النهاية، فلنعد إلى المنزل.

استدارت چاجوا بوجه باسم ناحية الرجل السوري وأبصرت من أحد أركان عينيها قبضة فريدي المشدودة الذي راح يهذي وانطلق خارجاً من نادي تروبيكانا، وعندئذ شعرت چاجوا بقدر من الشفقة على حبيبها وهي تقول لنفسها: لا بد لفريدي أن يفهم من الآن فصاعداً أن المال هو أول الأشياء الجديرة بالاهتمام في هذا النادي.

# (٤)

وقف فريدي عند باب النادي وهو يهز كتفيه معبراً عن دهشته من جيمو لادي وفرقته الموسيقية وطريقتهم في الحياة، فكر في العودة لكنه قاوم الفكرة وظل واقفاً عند الممر، إنه لا يحب الحضور مع چاجوا إلى هنا بسبب تصرفاتها حيث تلعب الأضواء والخمر وذوو النفوذ والإطراء والمديح وإثارة الأحاسيس الجسدية والموسيقى دوراً كبيراً في تغييرها وتحولها إلى شخصية أخري يعجز عن فهمها.

كان فريدي يشعر بأجساد الفتيات الصغيرات اللاتي كن يندفعن ناحيته ويلتصقن به في الممر ثم سمع إحداهن تسأله: فريدي، هل رأيت أمي بالداخل؟

نظر إلى مصدر الصوت وقال: نانسي، ماذا تفعلين هنا؟

أجابت نانسي بصوت رخيم وبطريقة عذبة : إنني أبحث عن أمي.

ضغط على معصم يدها وقال: لم أشاهدها بالداخل ولكن انتظري فأنا أرغب في التحدث مع شخص ما.

نظرت نانسي إليه بدهشة لأنها تعرف بأنه دائماً لا يهتم بالحديث مع الفتيات ولا يحاول التقرب منهن كما أنها متيقنة بأنه غير مهتم بها أيضاً، وكان فريدي بينه وبين نفسه يعرف سبب دهشتها.

استدارتْ بجسدها بحركة لولبية وقالت: ماذا أصابك يا فريدي؟ هل أصبحت مجنوناً؟ انظر، إنك تخترقني بنظراتك وتريد أن تلتهمني.

أجاب فريدي بلا تردد: نعم، أستطيع أحياناً أن ألتهمك.

كان فريدي يصطدم في ذلك الممر الضيق المؤدي إلى تروبيكانا بتلك الفتيات النيجيريات الصغيرات اللاتي يتمتعن بالرشاقة والفتنة والشعور المجدولة الصبيانية المدهونة بالمراهم، كن يرتدين قمصاناً زرقاء سماوية تكشف بوضوح عن أعناقهن الرشيقة المفتولة وأذرعهن وأكتافهن النحيلة وعن أثدائهن المتوحشة المثيرة.

كانت بشرة نانسي الناعمة أكثر إضاءة ولمعاناً من كل أضواء تروبيكانا المتلألئة، ولعبت ابتسامتها الدائمة وشفتاها الطازجتان دوراً كبيراً في اثارة فريدي الذي شعر باشتياقه الشديد لها، لقد اكتشف ذلك الاشتياق فجأة بعد أن أزاح الحجاب عن عينيه.

خرجت معه وهي تتنفس بالكاد وتشق طريقها برشاقة بين سيارات الأجرة المكدسة على جانبي الطريق بينما كان الرجال البيض يخلعون معاطفهم ويحثون سائقيهم على الإسراع نحو تروبيكانا.

تحول الصخب بسرعة إلى همس فقالت نانسي: فريدي، أنا متأكدة من وجود أمي بالداخل.

أمسك بذراعها وقال: لا يا نانسي، إنها غير موجودة بالداخل وإلا كنت رأيتها.

شعر بارتعاشة حلوة تسري في عروقه فبدأ بسرعة بمخاطبتها بكلمات رقيقة وحلوة جعلتها عاجزة عن التساؤل لمعرفة سبب اصطحابها والمكان الذي يقصدانه، وكان فريدي في تلك اللحظة مفعماً بغريزته ونزوته ولم يكن يشعر بشيء سوي ضرورة أن يكون مع نانسي ليبوح لها بما في داخله لكن كل شيء كان غامضاً إلى حد ما بالنسبة له وكان عليه أن يفكر في الصداقة التي تربط أمها مع چاجوا خاصة وأنها في أحيان كثيرة كانت تجد فريدي بصحبتها في المنزل حين كانت تزورها بصحبة نانسي مما جعلها تقر بأنه رفيقها الشاب وهكذا عرفت نانسي السبب وراء عدم اهتمام فريدي بالفتيات الصغيرات من أمثالها اللاتي كن يضايقنه بأسئلتهن وملاحظاتهن الساخرة، وكن يخبرنه بمدى الأسف الذي يشعرن به حيال تلك العلاقة الغرامية غير المتكافئة بين شاب طموح مولع بالدراسة وامرأة كبيرة ومتمرسة مثل چاجوا، غير أن فريدي دائماً ما كان يتحدث عن خليلته بإخلاص لكنه كان يعرف أن مصدر اهتمام الجميع الحقيقي يكمن في معرفتهم بأنها نجحت في السيطرة على مشاعره وأنهم يخشون من عدم قدرته على الفكاك من تلك السيطرة.

سألته نانسي وهما يعبران الطريق: إلى أين ستأخذني يا فريدي؟

اشتعلت رغبته بفعل صرخة القلق الأنثوية في صوتها وتدفقت عيناه بموجة ساخنة، فحاولت نانسي أن تسحب يدها من يده لكنه أمسك بها بطريقة لطيفة وناعمة فشعر بدفء داخل كفيه، وكان إحساسه بجسدها مختلفاً عن إحساسه بجسد چاجوا حتى إنه تساءل بينه وبين نفسه عن سر ذلك

الاختلاف، وفطن في النهاية إلى أنها في العشرين من عمرها بينما چاجوا قد تجاوزت الأربعين.

قال لها متوسلاً: اجلسي يا نانسي، اجلسي فوق هذه الشجرة فسوف أخبرك بشيء ما.

حدَقتْ بشجرة نبات السرخس الواقعة على الأرض المشبعة بالندى والمليئة بالأوراق المتشابكة وقالت: عن أي شيء سوف تخبرني؟ أنا لا أستطيع الجلوس هنا يا فريدي، إنني أخاف من الثعابين.

حاول فريدي أن يبدو طبيعياً لطمأنتها إلا أنه تذكر ذلك اليوم الذي كان يستقل فيه سيارة مع أحد الأصدقاء حين شاهد إحدى الأفاعي السامة راقدة في منتصف الطريق الإسفلتي لتدفئة جسدها لكنه الآن يقف مع نانسي فوق الخشب بعيداً عن طريق السيارات التي تساعد بمصابيحها في إظهار الأشجار والكشف عن وجه نانسي كما أنه متأكد أن الظلال تحجب كليهما عن عيون المارة فوق الطريق الرئيسي.

اندفع ناحيتها ومدَ يده حتى أحاطها عند خصرها ثم سحبها ناحيته فهمست نانسي قائلة: فريدي.

اصطدمت أنفاسها الدافئة الحلوة بشفتيه فبعثت فيه حرارة الرغبة، وكان ثديها الصغير الصلد مشدوداً بالقرب من قميصه وحدث تلامس طفيف احتك على أثره الجسدان لكن نانسي جاهدت للتحرر من ذلك التلامس والاحتكاك بينما كان فريدي يكتسب خبرة جديدة من المتعة والابتهاج، فهل كان الأمر هو ذلك الشعور الممتع بالجنس وليس مجرد احتكار للخبرة من طرف واحد كما كان يحدث مع چاجوا بتلك الأصباغ فوق وجهها وبأثدائها المثيرة للرغبة ومفاصلها المكتنزة؟، شعر فريدي بقلبه يتلألأ بهذه المتعة الجديدة وامتلأت مسامه بالعرق حتى تبللت ملابسه.

همست نانسي قائلة: فريدي، ماذا تحاول أن تفعل؟

بعثت فيه همساتها مزيداً من الإثارة فقال: استمعي إلى ما سأقول يا نانسي.

انسحبت إلى الخلف وقالت: لا يا فريدي، إنه لأمر خطير.

انزلقت يده تحت قميصها الفضفاض ثم أمسك بحلمة ثديها وكانت أثداؤها الصغيرة المتحجرة تهتز وتترجرج بين أصابع يده وحينئذ أضافت نانسي:

ماذا تفعل يا فريدي؟ لا يجب أن يحدث مثل هذا الأمر.

أجابها قائلاً: نانسي، لاأستطيع أن أتركك، أريد أن أقول لك شيئاً فلتبقي معي بعض الوقت.

مالت ناحيته وقالت بصوت ضعيف: لا، دعنا نذهب، يمكنك أن تخبرني بما تشاء في البيت فأنا خائفة يا فريدي ولا أعرف سبب خوفي.

قال فريدي: أشعر برغبة جارفة تجاهك يا نانسي ويكاد جسدي أن يحترق من شدة اللهفة، هل تعرفين ما أصابني بسببك؟

قالت بصوت هامس: ابتعد قليلاً.

لكنها مالت على ذراعه وأمسكت به بمودة ثم استطردت: إنني فتاة مهذبة يا فريدي.

-لكنني أحبك يا نانسي، أنا أحبك فعلاً.

-أنت تقول الكلام نفسه لكل الفتيات، وماذا عن چاجوا؟ إذا عرفت سوف تقتلني.

صاح فريدي: تعرف ماذا؟ نحن لم نفعل شيئاً، هل فعلنا أي شيء؟

- أنت تشعر بالإثارة معي لأنني لم أستجب لرغباتك بسرعة ولم أساعدك حتى النهاية كما تفعل چاجوا معك، أليس كذلك؟، لقد خيبت ظنك وأصبتك بالإحباط لأننا لم نفعل شيئاً:.

اكتشف نبرة الدفاع في صوتها وقال: استمعي لي يا نانسي، أنا وچاجوا شيء آخر مختلف.

-مختلف؟!

-نعم.

اكتشف فريدي فجأة أنها فتاة صغيرة لكنها ناضجة بما فيه الكفاية، وأنها فتاة جميلة وطاهرة وجذابة وليس بمقدور أحد إلا أن يرغب فيها، أما چاجوا فليست شابة وتبذل مجهوداً لإيقاظ مشاعرها دون اعتبار لما قد تفعله، لكنه

لم يستطع أن يشرح لها اكتشافه المفاجئ واكتفى بالقول: إن چاجوا كبيرة بالنسبة لي، هل تفهمين؟، لا أستطيع أن أتزوجها.

نظرت إليه بشوق واهتمام لكن علامات الشك وعدم الثقة لم تفارق عينيها فقال لها: نانسي، إنني أريد فتاة شابة مثلك تفهم لغة الحب ولا تعرف شيئاً عن لغة المال لأن المرء إذا ما وجد من يبادله الحب فإن كل شيء في العالم يصبح جميلاً.

قالت له متسائلة: شخص ما مثلي؟

أجاب: لن أحاول في يوم ما يا نانسي أن أخدعك أو أفعل شيئاً يسيء لك، أنت فتاة شابة وأنا كذلك ومن الصواب بالنسبة لي أن أحبك وأخطط معك للمستقبل و...

قاطعته قائلة: أولاً وقبل كل شيء أنا أشعر بالخوف يا فريدي، إن كل الشباب في لاجوس ينطقون بكلمات حلوة وجذابة في البداية كما تفعل أنت الآن، ولكنهم عندما يشبعون رغبتهم في السرير لا تجدهم مرة ثانية، وإذا ما أثمرت تلك الرغبة طفلاً فإن الفتاة فقط هي التي تتولى رعاية هذا الطفل ويلوذ هو بالفرار، إنه لأمر سيئ ذلك الذي يفعله الشباب ولذلك فإنني أشعر دائماً بالخوف .

ابتسم وقال: لا، أنا لا أحاول أن أفعل مثلهم يا نانسي وهذا ما أرغب بإخبارك به.

ثم تساءل بينه وبين نفسه: هل تشعر بصدق ما أقول؟

تنهدتْ نانسي وقالت: إذا عرفت چاجوا و....

قاطعها وقال: لا تقلقي بشأن چاجوا فأنت تملكين حياتك الخاصة يا نانسي.

يعرف فريدي أن چاجوا تحبه بطريقتها الخاصة وأنه مدين لها بالعرفان لأنها لم تبخل عليه ببراعتها في الحب، وكثيراً ما أشبعت رغباته الجسدية لكنها لم تستطع إشباع أي شيء آخر على العكس مما يشعر به مع نانسي التي تستطيع أن تزوده بالمتعة الجسدية وأشياء أخرى هو في احتياج لها، إنها ما تزال شابة ولديها أحلامها التي لم تتنازل عنها حتى الآن.

قال لها عندئذ: انظري يا نانسي، أنا لا أستطيع فعل شيء حيال چاجوا لأنني لا أرغب بإيذائها، إنها امرأة رقيقة وتملك حساً مرهفاً كما أن لديها بعض المال وتتمتع بالشياكة في ملبسها وتجيد إيقاع الرجال في حبائلها لكنها لا تناسبني، بالإضافة إلى أن طموحاتها وطريقة حياتها تفوق قدرتي على الالتزام، لقد انجذبت لي لأنني شاب ووسيم كما قالت لكنها تبيع جسدها للرجال من أجل المال وتحاول أن تستبقيني للزواج منها بعدما تصبح عجوزاً وينطفئ بريقها، إنني ما زلت شاباً صغيراً ولست على استعداد لأن أبيع نفسي بهذه الطريقة.

اقتربت منه فقام بتقبيلها وعندئذ همست قائلة: أوه فريدي،، أنت وسيم وبارع.

-نانسي.

-قبلني يا فريدي، لماذا لم تنتبه لي كل ذلك الوقت؟

قام بتقبيلها مرة أخرى وراح يعض شفتيها الساخنتين فشعر بفمها الحلو وقلة خبرتها أما جسدها فكان مشتعلاً وتسللت إلى عروقه عاطفة ملتهبة وانتابه إحساس مثير لم يشعر به من قبل، ثم تمالك نفسه وقال: أنت جميلة جداً يا نانسي كما أنك مثيرة وبارعة.

التقطت نانسي أنفاسها بصعوبة بينما كانت أطراف أصابع فريدي تتسلل تحت التنورة حتى استطاع أن يتحسس الجزء السفلي من بطنها وقالت: لا، ليس اليوم يا فريدي، ربما في يوم آخر، أعدك بذلك فالأمر كله مفاجئ بالنسبة لي.

لملمتْ نفسها وبدأت بالسير بسرعة نحو الطريق المزدحم بالسيارات والحافلات وهي تعيد ترتيب فستانها، وراح فريدي ينادي عليها قائلاً: تعالي يا نانسي، لا تذهبي.

لم تلتفت نانسي إلى الخلف وكأنها لم تسمعه وظل هو في مكانه على أمل أن تعود، وحين لم تستجب لنداءاته غادر مكانه وسط الأخشاب وسارع خلفها.

مشيا معاً بصمت بعد أن غرق كلاهما بالتفكير في ذلك الاكتشاف الجديد المفعم بالمشاعر المثيرة، شيء ما أكثر عمقاً من كل الوعود قد اكتشفاه معاً هذه الليلة وإذا ما قدر له الاستمرار فإنهما لن يستطيعا الفرار منه وسيلتحم

كلاهما بالآخر، شعر فريدي بكل ذلك وعرف أيضاً بأن ذلك اللقاء الممتع سيكون سراً بينهما ولن تعرف چاجوا شيئاً عنه.

وصلا إلى أحد المنعطفات المتلألئة بالضوء حيث تلقي أشجار اللوز بظلالها وتخفي العشاق الصغار بين أغصانها، إن كل الطرق المؤدية إلى المدينة أو الخارجة منها تتقابل عند هذا المنعطف الذي يتجمع عنده كل فتيات تروبيكانا اللاتي يفضلن اصطياد الرجال من الشارع، شاهد فريدي بعضهن وهن يتحركن ببطء ويقمن بهز أردافهن بطريقة بارعة كالنساء المتمرسات رغم علامات الارتباك والخجل البادية عليهن.

توقف فريدي بالقرب من موقف الحافلات ونظر إلى وجه نانسي المفعم بالنضارة والشباب وقال: لا تشغلي بالك بچاجوا يا نانسي، أتسمعينني؟

كان فريدي يفكر في ذلك الفارق الكبير بين الحب الحقيقي الذي يجتاحه الآن وبين تلك اللقاءات العابرة مع فتيات تروبيكانا حين اقتربت الحافلة بلونها الأصفر الشاحب وراح الكمساري بزيه الكاكي يزعق قائلاً: هل أنتم قادمون؟

صعدت نانسي بمفردها فسارع فريدي بالقول: تصبحين على خير أيتها الفاتنة، سوف تحلمين بي.

أجابت نانسي: نعم فريدي، أنا لا أعرف كيف سأنام هذه الليلة.

ابتعدت الحافلة شيئاً فشيئاً فاستطاع فريدي أن يلحظ وجهها الجميل وشعرها المصفف بعناية وذلك الوميض المنبعث من عينيها.

تذكرَ - أثناء وقوفه وانتظاره الحافلة الأخرى التي سوف تقله - تلك الأيام السعيدة الخالية من الهموم حين كانت أم نانسي تأتي إلى چاجوا في حجرتها وتجده متكئاً فوق المقعد فتسألها: هل لديك الوقت الكافي لتصفيف شعري أم إن صديقك وحبيبك في احتياج لك؟

لم تكن چاجوا تنظر إلى وجهه لكنها كانت تقول: اجلسي يا أم نانسي، إن بيتي هو بيتك وسوف أصفف شعرك بالتأكيد وأيضاً على آخر صيحة ولا تقلقي بشأن فريدي لأنني أعرف بأنه لن يتضايق.

كانت نانسي تجلس بينهما وكان من اليسير ملاحظة الفارق بين شبابها المتألق وبين شباب چاجوا وأمها الذي ذبل وانقضى، وفي تلك الأيام لم يكن

فريدي يشعر أبداً بوجود نانسي الدافئة، كانت مجرد طفلة صغيرة بالنسبة له ولا تتعدى كونها شيئاً ككل الأشياء الموجودة في البيت كما أنه لم يشاركها السرير في يوم ما وفي بعض الأحيان كان يجلس بالقرب منهن ويستذكر دروسه في القانون لكنه كثيراً ما كان يغادرهن ويمضي إلى حجرته في الطابق الأسفل، لم تشاهد نانسي وأمها حجرته أبداً وكانا يلتقيان به فقط في بيت چاجوا، كانت نانسي وأمها يذهبان كثيراً إلى بيت چاجوا للاستماع إلى الفونوغراف والرقص على أنغام الجاز والرومبا ومختلف أنواع الأسطوانات التي تحتفظ بها چاجوا.

كانت تربطه بهن صداقة حميمة لكن الأمر مختلف الآن خاصة بعد أن قام بتقبيل نانسي وشعر بذلك المذاق الجديد العذب في شفتيه وأصبح لزاماً عليه مواجهة چاجوا والتحرر من قبضتها وسيطرتها.

# (٥)

هبط فريدي من الحافلة عند شارع سكاي لارك الكبير واشترى لنفسه رغيفاً من الخبز وظل واقفاً بضع لحظات حيث كان الشارع في ذلك الوقت من الليل ضاجّاً بالحياة التي تجتذب كل الناس حتى أولئك الذين يسكنون فيه، كان الشارع صاخباً واستطاع فريدي أن يستمع إلى إيقاعات تلك الموسيقى المتدفقة من مكبرات الصوت، وكانت السيارات في الجانب المقابل من الشارع تمضي ناحية محطة الوقود حيث الفتيات بملابسهن الفضفاضة الشبيهة بملابس رواد الفضاء يندفعن كالدراويش لتعبئة خزانات الوقود.

وعلى بعد مئات الياردات من حجرته استطاع أن يتعرف إلى مايك الذي يعمل خادماً عند چاجوا، كان مايك واقفاً فوق أحد السلالم وهو يفرك يديه وقال: سيدي، حمداً لله أنك عدت، إن المدام تريدك الآن وبسرعة.

-مدام؟، لكنني كنت معها في تروبيكانا وتركتها منذ قليل.

-لا يا سيدي، لقد بعثت لي برسالة من قسم الشرطة لأخبرك بالذهاب إليها هناك لإطلاق سراحها.

-إطلاق سراحها؟ ماذا؟ قسم الشرطة؟

-لقد تشاجرت مع ماما نانسي في تروبيكانا وقامتا بتحطيم كل الطاولات والزجاجات حتى أصابتهما الجروح .

-ماذا تقول؟ وعن أي شيء تتحدث؟ هل تشاجرت چاجوا مع ماما نانسي؟

-نعم، لقد تم القبض عليهن وحجزهن في غرفة الحراسة.

رفع فريدي حاجبيه وقال لنفسه: إن أي مدرس يحترم نفسه لا يقبل أن يكون طرفاً في أي نزاع داخل أقسام الشرطة وخاصة أنا.

غيَر ملابسه ودخل الحمام للاستحمام ثم أطفأ الأنوار وألقى بجسده فوق السرير وكأنه يهرب من ظله.

لم يستطع في البداية أن يرى شيئاً في الظلام لكنه لمح بعد لحظات وجه چاجوا، كانت تحدِق فيه وتتهمه بالخذلان، وثمة ابتسامة فاترة وغير

متسامحة كانت تتأرجح فوق وجهها وهي تقول له: أهكذا تتصرف معي في محنتي يا فريدي؟ أهكذا تذهب لتنام وتتركني أعاني؟.

شعر بوجهها المعبر وصدق كلامها فلم يستطع أن يتحمل تلك الإدانة الرهيبة المنطلقة من عينيها، وعندئذ قفز من فوق السرير وأضاء الحجرة ثم تناول كتاب القانون من خزانة الكتب ووضعه تحت ذراعه وخرج قاصداً قسم الشرطة.

شاهد الرقيب جالساً إلى المنضدة الطويلة مشغولاً بتدوين بعض الملاحظات في دفتر كبير الحجم فقال له: أريد أن أرى چاجوا.

قال له الرقيب: أتعتقد بأنني ألعب؟

ثم رفع رأسه من فوق الدفتر ولوَح بقلمه إلى كل الواقفين أمام المنضدة الطويلة وخاطبهم قائلاً: أنتم جميعاً، أترون هذا الرجل؟ إنه يعتقد بأنني جئت إلى هنا لكي ألعب.

نظر إلى فريدي وقال له: اذهب إلي هناك واجلس أيها الرجل حتى يأتي دورك، هاها، نحن في قسم الشرطة ولسنا في مدرسة!!

عند أحد أركان الحجرة ذات الرائحة الكريهة كانت امرأة شابة تدلي بتصريحاتها وتعرض قضيتها، كانت المرأة واقفة بعيداً عن المنضدة الطويلة الممتدة عبر الحجرة وبدأت تصرخ وتقسم للشرطي الشاب الذي لم ينتبه لها وظل يكتب بسرعة في دفتره، لاحظ فريدي أن رجال الشرطة الآخرين شعروا بالرضا من تصرفات المرأة الشابة التي اتسمت عيناها بالتحدي، وكانت أنفاسها معبأة برائحة الخمر وقميصها ممزق عند أحد ذراعيها وكانت أثداؤها النافرة الصغيرة شبه عارية وبدا أنها مدركة تماماً لقوة أنوثتها ومدى تأثيرها على رجال الشرطة الذين يرتدون الزي ذي اللون الكاكي .

نظر فريدي إلى تلك المرأة ذات الملابس الممزقة والتي لم تدخر جهداً في الدفاع عن نفسها وشعر أنها تناضل ببسالة من أجل الحياة، ثم أدرك حجم المأساة التي يعاني منها أولئك البسطاء المهزومون في لاجوس، كان جميع الرجال يسخرون منها بطريقة جافة فقال لنفسه: لا بد أنها مدمنة!

قاطعه الرقيب بصوته العالي حين نادى عليه واصطحبه إلى غرف الحجز خلف مكتب التحقيقات، فقفزت إلى أنفه رائحة البول الكريهة المنتشرة في

الجو وبدت الرائحة في أرجاء الصالة وكأنها ملتصقة بحوائط غير مرئية من الضباب .

اقترب الوقت حينئذ من منتصف الليل، وكان بعض السجناء والمحجوزين قد استسلموا لقدرهم ورقدوا فوق الأرض الإسمنتية الباردة بلا سرير أو وسادات وسط برازهم لكن چاجوا كانت مستيقظة تماماً وشاهدها فريدي واقفة خلف القضبان وهي تنظر مباشرة إليه نظرات صامتة وخالية من أي انفعال، ولم يكن وجهها كذلك الوجه الذي اعتاد على رؤيته في حجرته المظلمة، ها هي رفيقته تعاني من الخجل وتشعر بالقذارة نتيجة لتلك الحياة التي اختارتها، شعر بمزيج من العار والحزن والشفقة وتمنى لو لم يتعرف عليه أحد، لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة حين أمسك الشرطي بالمفتاح الكبير وفتح غرفة چاجوا التي كانت خاضعة وصامتة وكان رأسها مربوطاً بضمادة من القماش وبعد أن انتهتْ من توقيع الأوراق وتقديم التعهدات خرجت معه إلى البيت.

كان فريدي مكتئباً وتمنى ألا تراه چاجوا في مثل هذه الأماكن المشبوهة، لقد تشاجرا كثيراً في تروبيكانا بسبب جنونها وتصرفاتها غير اللائقة، وهو يتذكر ذلك اليوم الذي تحولت فيه إلى امرأة شريرة لكن ما يغضبه الآن هو وجهها الذي لا يوحي بأي نوع من الحزن أو الأسى وكأنها على استعداد لمزيد من تلك المواقف.

عادا إلى حجرتها فسألها فريدي على الفور: لماذا تشاجرت يا چاجوا؟

كانت چاجوا تخلع ملابسها المتسخة ورغم غضبه لم يستطع أن يتغلب على ذلك الإحساس الشهواني الذي تسلل إليه وهو يشاهدها، كانت بشرتها ناعمة كالحرير وأكثر شحوباً من وجهها وخاصة عند الجزء الخلفي من رقبتها وعند أسفل ذراعيها، وعندما أصبحت في مواجهته عرف بأنها لا ترتدي أي نوع من المشدات، ثم حين استدارت وأصبح ظهرها في مواجهته وراحت تتحرر من ملابسها شعر بالإثارة من فخذيها الكبيرتين فازدادت حدة غضبه لذلك الضعف الذي انتابه تجاهها وتجاه أنوثتها فسألها مرة أخرى: ألا تريدين الاجابة على سؤالي؟ لماذا تشاجرت؟

أشعلت سيجارة دون أن تكترث بأي شيء وبعد أن وضعتِ السيجارة بين شفتيها وأخذتْ نفساً عميقاً سألها قائلاً: لماذا أرسلت في طلبي؟ ألم أقل لك أن نغادر تروبيكانا ونمضي إلى البيت؟ نعم، لقد قلت لك ذلك لكنك شاهدت الرجل السوري وأردت أن تسلبي أمواله وهكذا شعرت أنا بالخزي، وبدلاً من

حصولك على الأموال فإنك تعرضت للهجوم والاعتداء وذهبت إلى غرفة الحجز وكان لزاماً عليك أن تدفعي الغرامة، هل تدركين ما حدث؟

خرجتْ من الحمام وقامت بتمشيط شعرها ثم توجهت معه إلى السرير وراحت تهمس له قائلة: لست سيئة إلى هذا الحد يا فريدي ولا أتمنى أن أكون كذلك، صدقني يا فريدي فأنا أعني ما أقول.

احتضنته وقامت بتقبيله وغمرته بالحنان والحب كما كانت تفعل دائماً عند ارتكابها شيئاً خاطئاً وتريده أن ينسى ثم قالت: سأعود لممارسة التجارة النظيفة وأنا أرتب الآن للتحدث مع مدير الشركة التجارية، إنه يرغب بافتتاح فرع جديد خاص بي حيث أستطيع أن أبيع الملابس المخملية والأربطة والشرائط والمشدات، وعندما يثق بي سيكون المحل تحت سيطرتي.

بدا عدم الاقتناع بادياً فوق وجه فريدي، فكثيراً ما وعدت چاجوا أن تكون إنسانة صالحة وأخذت على عاتقها قراراً بالاستقرار وأن تفتح محلاً للبيع بالتجزئة وتتفرغ لبعض الأعمال التجارية الصغيرة وبخاصة الأقمشة القطنية المطبوعة بالشمع، وهو يعرف أنها ربحت بعض المال من تجارتها في الملابس وبيع الأقمشة الحريرية وأقمشة مانشستر الشفافة الجميلة التي يحلو لنوع من الفتيات مثل نانسي أن يربطنها حول التنورة بطريقة لافتة ومثيرة كما يحلو لبعضهن الإلقاء بها فوق البلوزة، إن چاجوا تعرف الساحل الغربي لأفريقيا من جامبيا إلى لاجوس وتعرف أن غانا هي مركز الموضة الفارسية، وكانت قبل أن يتعرف عليها فريدي قد اعتادت أن تسافر إلى غانا والمناطق المجاورة لها بانتظام لشراء بعض تلك الموضات وبيعها في لاجوس، وحيث إنها كانت تتميز ببضاعتها ذات الطابع الأنيق الفاخر فقد أطلقوا عليها اسم چاجوا، كان أي شيء ترتديه يتحول بسرعة إلى موضة في لاجوس، وكانت النساء والفتيات يتزاحمن عندها بأعداد كبيرة لسؤالها عن ذلك الفستان أو تلك التنورة، فكانت تدخل إلى حجرتها وتعرض عليهن مختلف الأنواع والأشكال حتى اتسعت شهرتها بين النساء اللاتي كن يتوافدن عليها بكثرة، كانت چاجوا في تلك الأثناء معروفة لدى رجال الجمارك ولدى رجال الحدود وما حدث لها لا يستطيع فريدي قوله، كانت تتحدث أحياناً عن عزمها الذهاب إلى أونيتشا على حدود النيجر حيث كانت تأمل أن تصبح واحدة من أهم التاجرات اللاتي يستطعن كسب عشرات الآلاف من الجنيهات، كان فريدي يعرف بأنها قادرة على فعل ذلك لكنها لا تستطيع مغادرة لاجوس حيث لا تبذل مجهوداً كبيراً في الحصول على المال، لقد مضت ثلاث سنوات حتى الآن منذ عودتها من غانا وفي خلال تلك السنوات الثلاث تفرغت تماماً لنادي تروبيكانا الذي استنفد كل طاقتها وحيويتها وبدت أنها واحدة من تلك

النساء اللاتي يحاولن دائماً أن يثبتن للرجال أنهن ما يزلن شابات يافعات، ولتحقيق ذلك الغرض كان لا بد لها أن تظل دائماً أمام ناظريهم لأن مجرد الابتعاد وقطع العلاقات قد يتسبب في نسيانها .

عرف فريدي بما حدث في تروبيكانا بعد أن رحل وترك چاجوا مع الرجل السوري بعد أن أخبرته چاجوا أن ماما نانسي جاءت وقامت بإغراء الرجل السوري وحاولت أن تأخذه منها.

غضب فريدي من تلك القصة التي روتها له وتساءل بينه وبين نفسه: ولكن لماذا فعلت ماما نانسي ذلك؟

كانت چاجوا تثق بفريدي وتأتمنه على أسرارها فقالت له: يجب أن تعرف يا فريدي بأنني أشعر بالأسف لما حدث وينتابني إحساس كبير بالخجل وكان لا بد أن أخبرك بذلك الأسف والخجل حتى أكون صادقة معك لأنني حين كنت راقدة في غرفة الحراسة لم أكن أفكر بأحد سواك وكنت أنت الرجل الوحيد الذي أريده في ذلك الوقت.

كان فريدي معتاداً على مثل هذه اللحظات من الندم وطلب التوبة فلم يقل شيئاً غير أن چاجوا أضافت: أنت الرجل الذي أريده يا فريدي، إنني أعني ما أقول، أنا أريدك ليس فقط كحبيب وعاشق ولكنني أريدك للأبد وعندئذ سيشير الناس ويقولون إن فريدي هو زوج چاجوا، أوه، سيمتلئ قلبي بالفخر ولن يعنيني حينئذ أي شيء آخر.

قال لها: وإذن لماذا يا چاجوا؟ لماذا تتسببين دائماً بالمشاكل وتجلبين المتاعب، لقد قلت لك أن نرحل من تروبيكانا وأخبرتك بأنني أريد الذهاب للقراءة في القانون حتى يمكنني اجتياز كل الاختبارات وأصبح رجلاً حقيقياً وذا شأن، لكنك لا ترغبين في ذلك ودائماً ما تجلبين المتاعب لي فكيف إذن أستطيع أن أنعم بالهدوء وراحة البال؟.

-لا تقلق يا فريدي، سأساعدك في السفر إلى انجلترا وإذا لم تستطع أن تنعم بالهدوءهنا فإن ذلك لا يعني أنك لن تكون محامياً، ستذهب إلى إنجلترا وتدرس القانون.

ابتسم فريدي ابتسامة متسامحة وقال: هراء، أنت تمزحين يا چاجوا لأنك لن تقدري على مساعدتي بأموالك حيث إنك ترغبين باستثمار أموالك في أشياء أخرى.

- نعم، لديَ أشياء أخرى لكن إرسالك إلى إنجلترا للدراسة هو أهم هذه الأشياء، ستسافر لكي تعود وتتزوج من حبيبتك چاجوا، نعم يا فريدي فأنا أريدك أن تصبح زوجي حتى أتجنب تلك الإهانات التي تلحق بي، أنت لا تستطيع الزواج الآن من رفيقتك چاجوا لأنك لست سوى مدرس فقير فلا بد أن تذهب ولتدرس وتعود في وضع أفضل حتى تصبح الرجل المناسب وعندئذ سأنجب لك طفلاً وسيكون بمقدورك الاعتناء بي حين أتقدم في العمر.

- وإذن فأنت تساعديننى على السفر فقط من أجل أن أتزوجك بعد أن أعود؟

- هناك سبب آخر، إن ماما نانسي تريد أن تتحداني وتخونني، لقد سمعتها تقول بأنها سترسل حبيبها الشاب إلى إنجلترا وسوف يتزوجها بعد عودته.

كان فريدي مستلقياً فوق السرير فاستدار بجسده حتى أصبح في مواجهة الحائط وهو يردد: أوه!! إن چاجوا رائعة ومثيرة كرفيقة فقط لكنني لا أستطيع أن أتزوجها خاصة وأن شابة فاتنة مثل نانسي لن ترفض الزواج مني.

بدأت چاجوا بتقبيله ووضعت شفتيها فوق أذنيه ثم طوقته بذراعيها وقالت: سأساعدك في السفر إلى إنجلترا وعندئذ ستستطيع أن تتزوجني عندما تعود.

لم يشاركها فريدي تلك البهجة والمتعة التي شعرت بهما فيما حدث بعد ذلك.

# (٦)

مضتِ الأيام مسرعة فأدرك فريدي أن چاجوا كانت تعني كل كلمة قالتها، لقد تغلَبتْ چاجوا على كل العقبات والحواجز التي وضعتها الحكومة في وجه الطلبة الطموحين الراغبين في السفر، إن الحكومة النيجيرية تنظر إلى طموح الطالب ورغبته في السفر إلى إنجلترا بالطريقة المظلمة نفسها التي تنظر بها الحكومة الفرنسية إلى الذين يهرولون في محاولات يائسة لعبور الصحراء على دراجة.

كشفت چاجوا عن امتلاكها لبعض المال الذي وفرته من تجارة الملابس في غانا وعن قدرتها على أن تدفع ثمن وجبات فريدي في الفنادق الصغيرة وتحويل ما يكفي من المال لمساعدته في إيجاد سكن مناسب لمدة عام كامل وتزويده بالملابس الملائمة وتمكينه من شراء الكتب.

أثناء انتظاره الطويل لخطابات مكاتب الهجرة بدأ فريدي يرى الحياة بشكل مختلف، واستطاع أن يشعر بأشياء جديدة لم يكن يشعر بها من قبل، لكنهم أخبروه بعد شهور من الانتظار بأنه سيسافر على قارب الشحن النرويجي وأن الرحلة ستكون طويلة ومملة لكن الطعام سيكون بالمجان طوال الرحلة غير أنهم لم يحددوا موعد الإبحار، كان رصيف الميناء مكدساً بالشحنات الجاهزة للإبحار فلم يستطع فريدي أن يبتعد عن لاجوس ويذهب إلى موطنه الأصلي باجانا بشرق لاجوس لكي يودع أصدقاءه وأقرباءه، كان راغباً أكثر في رؤية أمه وتساءل بينه وبين نفسه: ولِمَ لا تذهب چاجوا معه وتقدم نفسها لوالديه؟

لكن چاجوا نفسها كانت عاجزة عن مغادرة لاجوس في ذلك الوقت حيث إنها ما تزال في فترة الكفالة، وقد شاهدها فريدي وهي تدفع غرامة قدرها ثلاثون شلناً بعد أن قاموا بتحذيرها من الشغب وإثارة المشاكل، وإذن فليس ثمة وقت كاف للرحيل إلى باجانا بالإضافة إلى عدم قدرتهما على التخطيط للزيارة.

قبل موعد الإبحار بأسبوع لم يكن لدى فريدي متسع من الوقت لإنجاز أي شيء آخر سوى الإعداد للسفر، وحين انتشرت الأخبار بين أصدقائه لم يترددوا في توبيخه وعتابه لعدم إخبارهم لكنهم أقاموا الحفلات لتوديعه وفي تلك الحفلات كان يرتدي بنطلوناته المخملية الفضفاضة وطربوشه ويجلس في الهواء الرطب الدافئ للاستماع إلى كلام أصدقائه الذين أجمعوا

على أنه مثال جيد لتمثيل أفريقيا في البحث عن المعرفة، وأنه صالح لتولي القيادة، كما أعلنوا بأن مستقبل نيجيريا وخلاصها يعتمد على أمثاله من المبعوثين للتدريب، عرف فريدي من خلال النظر إلى عيون أصدقائه المتحدثين أن إيمانه بما كان يقول قد لمس قلوبهم فآمنوا به وبالتالي لم يترددوا في اختياره ليكون مبعوثهم للدراسة بالخارج بعد أن رأوا بأنه يمثل كل طموحاتهم الخاصة السرية، لكنه لم يشأ أن يقوموا بتكريمه في حفل وداع خاص وأصبح واثقاً من السفر في القريب العاجل.

كانت چاجوا هي أكثر ما يعاني منه في تلك الفترة الانتقالية بعد أن أصبحت سريعة الغضب وانتابتها الكآبة وأصبح مزاجها سيئاً، لاحظ فريدي ذلك الفتور الذي اعتراها وعدم الود في معاملتها، كانت تجبره على السير معها بوجه تعلوه علامات الأسى والاكتئاب، وكانت تبدأ بتوبيخه وتوجيه كثير من الاتهامات له دونما سبب محدد وربما لأتفه الأسباب، فهل كان ذلك نتيجة لعدم رغبتها في رحيله بعيداً عنها؟

كان يحاول في كل مرة من تلك الأوقات إقناعها بالحجة، وعمل جاهداً على تهدئتها لكنه لم ينجح في محاولاته فشعر بروحه تنقبض وانتابه إحساس بالضيق الشديد ورغب في تلك الأثناء أن يكون بصحبة نانسي لعلها تخفف عنه وتعمل على تهدئته.

شاهدها ذات مساء عند الميدان فامتلأ قلبه بالبهجة وسارع باتجاهها وسط زحام تلك الأجساد المتسارعة وهي تتخبط بعضها بالبعض في محاولة للحاق بالحافلات أو الإمساك بدرابزين الباب، تسلَلت رائحة تلك الليلة الدافئة في الحال إلى أنفه وهو يجري تحت الخمائل وسط الزحام، وحين أمسك بيدها شعر بلمسة حريرية حلوة، لم يجد فريدي صعوبة في التعرف على نانسي من بعيد لأنها تتمتع بطريقة خاصة في المشي كما أن أردافها وهي تتبختر وتحرك جسدها بطريقة مثيرة ومتميزة تحت ملابسها ذات اللون الأصفر والبني ساعدته كثيراً في التعرف عليها، كان جسدها المترنح المليء بالذبذبات هو ما جعله يسارع في الاقتراب منها، وكانت ترتدي بنطلونها القصير المصنوع من الوبر والذي ظل على حالته دون التواءات أو تجعدات ربما بسبب سيرها في الشمس للتسوق، وكانت خرزات زيتية اللون تتلألأ من أطراف البنطلون، تجمَعت قطرات بلورية من العرق فوق شفتها العليا لكنها رمقته بابتسامة رقيقة وبدا في عينيها نوع من الاشتياق الشديد، اختلط لون قميصها الخارجي الفضفاض الأخضر باللون الأصفر واستطاع أن يبصر ظلال ثدييها النافرين وحلمات الثدي السوداء وتلك الأطراف الجانبية التي لا تتوقف عن الارتعاش.

صعدا إلى الحافلة وكان فريدي يحيطها من الخلف واضعاً يده فوق ذراعها الناعم، جلسا فوق المقعد ملتصقين بحميمية، مسحت نانسي جبينها بقطعة صغيرة من القماش وأزالت العرق من فوق شفتيها ثم قالت: سمعت يا فريدي أنك سترحل إلى إنجلترا وأنك لا تهتم بالمجيء لرؤيتي فهل هذا حقيقي؟ لقد أخبرتني بأنك تحبني!

-ليس كذلك يا نانسي، لقد حاولت المجيء للقائك لكن...

رمقته بنظرة مليئة بالاتهام وقالت: نعم سنلتقي هناك في إنجلترا.

-أنت تمزحين.

-أنا أعني ما أقول يا فريدي.

ظل ينظر إلى وجهها في محاولة لقراءة ما يدور برأسها لكنه لم يستطع أن يبصر شيئاً سوي عينيها المتلألئتين الشغوفتين.

تناولت نانسي برتقالتين من حقيبة التسوق وقدمت له واحدة وقالت: إن ماما تحاول مع الشاب السوري المولع بها وسألتني إذا ما كنت راغبة في العمل سكرتيرة على الآلة الكاتبة، إن الرجل السوري سيتكفل بكل المصاريف.

-هل تعنين ما تقولين؟ أحقاً ما تقولين؟ إنه لا يبغي شيئاً سوي المتعة.

لوَحت بالبرتقالة في مرح ثم وضعتها فوق شفتيها وقالت: سوف أذهب إلى إنجلترا

وسنتزوج هناك.

اقتربا من المكان الذي يسكنان فيه فنظرت نانسي إليه فجأة وهمست: سأكون سيدتك الإنجليزية يا فريدي، ألست مسروراً؟ هكذا يصنع الله مشيئته.

حاول فريدي أن يخفف عنها وسارا معاً في الطريق بعض الوقت وفور دخولهما الشارع المؤدي إلى المنزل أمسكت نانسي بحقيبة التسوق ووقفت للحظة تحت الأشجار بعيداً بما يكفي عن الجانب الآخر من الشارع حيث تعيش چاجوا لكنها نجحت في جذبه بعيداً عن مخبئه ومضيا إلى الأمام خطوة وراء أخرى حتى وجد فريدي نفسه بالقرب من نهاية الشارع.

نظر إليها وهي تبتعد، كان كتفاها الصغيران ممشوقين وكانت مؤخرتها تترنح بإثارة مع خطواتها الرشيقة، وعندما اختفت خلف شجرة المانجو بالقرب من بائع الطعام نظر إلى أعلى فأبصر چاجوا نانا وهي تحدِق به من الشرفة، ورغم ابتسامتها فإنها لم تستطع إخفاء مسحة الغضب المرتسمة فوق وجهها، لا بد أنها شاهدت كل شيء.

-فريدي، من تلك التي شاهدتها معك؟

تطلَع إلى الأمام وقال: أتعنين تلك الفتاة التي كانت معي؟ أوه، إنها ليست سوى نانسي، لقد عادت إلى أمها، إنها ليست سوى نانسي...

- ماذا تعني بقولك أنها ليست سوى نانسي؟ أليست نانسي امرأة؟ ألا تستطيع بسهولة أن تلد منك بعد أن تنام معها؟

- إنني قادم إليك يا چاجوا لأشرح لك الموقف، عليك بالصبر فإن شيئاً لم يحدث، لا شيء على الإطلاق، سأصعد إليك في الحال لتفسير ما حدث.

# (٧)

سارع فريدي بالدخول إلى حجرته وألقى بحقيبة التسوق العالقة بذراعه فوق السرير، وكان مدركاً تماماً لمدى حساسية چاجوا تجاه عمرها وشعورها الدائم بأنها لم تعد فتاة صغيرة، شعر في هذه اللحظة بأهمية أن يزودها بالتحدي اللازم الذي يجعلها لا تقبل المقارنة بفتاة مراهقة مثل نانسي ابنة منافستها أم نانسي، ورأى أن الوقت مناسب لتذكيرها بأنها قامت بكثير من التضحيات من أجله أيضاً.

توقف أمام باب حجرتها وتردد في طرق الباب حين اخترقت أذنيه بعض الأحاديث الهامسة وأصوات كؤوس تتخبط ببعضها البعض، طرق الباب الذي انفتح على الفور وسرعان ما تشبعت فتحات أنفه برائحة البيرة المركزة، لكن دخان السجائر المتصاعد الكثيف جعله غير قادر للحظات على رؤية الموجودين داخل الحجرة التي كانت شبيهة بما يحدث في نادي تروبيكانا، تلاشى الدخان قليلاً فاستطاع مشاهدة ثلاثة من الرجال لم يكن قد شاهدهم أو قابلهم من قبل لكنه لم يجد صعوبة في التعرف على هويتهم، إنهم من رجال لاجوس ذوي النفوذ وربما من رجال الأعمال الذين يتمتعون بشهرة خاصة أو من أعضاء الأحزاب السياسية. كانوا في بداية الخمسينيات من أعمارهم مما يتناسب مع عمر چاجوا، وكانوا يلقون بنقودهم بين أيديها لتعويض شبابهم وقوتهم وجاذبيتهم التي لم يعد لها وجود ويبادرون بالحديث عن براعتهم الفائقة الوهمية مع كثير من النساء في مختلف البلاد. كان منظر الرجال الثلاثة وهم يحتسون البيرة المثلجة ويجلسون بثقة وتكاسل ولا مبالاة فوق مقاعد چاجوا نانا قد ألقى بظلال من الغضب بينه وبين چاجوا فاندفع أمامها دون أن يعيرها اهتماماً ودخل الحجرة وقدمتهم چاجوا له على أنهم مجرد ثلاثة رجال عائدين لتوهم من غانا ومن وراء البحار، لكن فريدي لم يقتنع وكان يعرف بأنهم جاؤوا خصيصاً من أجل چاجوا المرأة، لقد علمته الحياة في لاجوس أن الأمور تسير هكذا، يأتي الرجال إلى أي امرأة مثل چاجوا في وضح النهار في مجموعات ثم ينصرفون على أن يتسللوا عائدين في الليل فرادى وأحياناً في الصباح عندما يكون عمال المكاتب غارقين في ملفاتهم تحت مراوح السقف التي لا تكف عن الدوران، في مثل تلك الأوقات يواصلون احتساء البيرة ويدفعون لشراء الحب والمتعة. اعتبر فريدي زيارة الرجال الثلاثة تقييماً لبيت چاجوا مهما فعلوا لإخفاء نواياهم، عرف فريدي كل شيء مما جعله ينظر إلى كل تصرفاتهم بغضب.

إنها المرة الأولى التي يجد نفسه فيها غير قادر على الاستياء أو الغضب فراح يفكر هامساً لنفسه: إنني ذلك المدرس الفقير الذي لا يستطيع مجرد التفكير بإغراق چاجوا بالهدايا أو مجاراة أولئك الرجال فيما ينعمون به عليها.

لم تخفف تلك الفكرة من آلامه حيث المال في هذه المدينة هو معبود النساء، وهو الإله الذي يتوجهن بالتضرع إليه في كل حركة وكل لحظة من لحظات النوم، أما العاطفة والوجدان ورقة الشعور فتلك أشياء لا تتعدى مجرد تسلية لقضاء بعض الوقت، كما أن فريدي بالنسبة لچاجوا لا يتعدى كونه فكرة عاطفية.

نظر إليها في تلك اللحظة وأبصر ملابسها المثيرة التي تستخدمها في بيع جسدها وإثارة رغبة الرجال، كانت ذراعاها المستديرتان ناعمتين ورقبتها الطويلة خالية من التجاعيد وكانت تتفوق على كل النساء بساقيها المفرودتين الناعمتين، وعندما كانت ترفع الزجاجة من فوق الطاولة الصغيرة لملء كأس الرجل بالبيرة كانت تنحني إلى الأمام وتحرص على ألا يمتلئ الكأس بالرغاوي فيظهر عندئذ ثدياها المفعمتان بالإثارة والتي لا تتوقف عن الاهتزاز.

استطاع فريدي رؤية ثدييها بوضوح من خلال حمالة النهدين النايلون التي ترتديها تحت قميصها الشفاف الفضفاض كما لاحظ أيضاً - وهو يتألم من الغيرة - أن شعرها مصفف بعناية نحو الخلف وأنه مزين بشريط من الذهب حتى إنها بدت له في تلك اللحظة وكأنها لا تتعدى الثلاثين من عمرها.

شعر فريدي بالأسى لعدم قدرته على فعل أي شيء فاستدار خارجاً وحاول إغلاق الباب خلفه، لكن چاجوا أمسكت الباب وأبقت عليه مفتوحاً ثم شدته إلى الداخل واقتادته إلى حجرة النوم وقالت له بأنها لا تعرف أولئك الرجال ولم يسبق لها أن شاهدتهم من قبل أبداً إلا بعد ظهر اليوم حين ظهروا فجأة وكانوا يبحثون عن شخص ما كان يقيم قبلها في هذا العنوان نفسه.

سألها فريدي: كيف؟ هل ضلوا طريقهم إلى حجرتك الخاصة؟ هل قمت باستدعائي لأواجه بنفسي أولئك الرجال الذين ينافسونني عليك كي أشعر بالخزي والإذلال؟

قالت چاجوا: متأسفة يا فريدي، أنا لم أفعل معهم شيئاً، لقد قلت لك بأنني لا أعرفهم.

قامت چاجوا بحل قطعة القماش من حول خصرها ثم أعادت ربطها من جديد فتمكن فريدي من اختلاس نظرة سريعة إلى فخذيها الآسرتين ثم نظرت إليه بثبات وقالت: هل تعتقد بأنني أكذب عليك؟ إنني لم أخبرك سوى بالحقيقة.

كان فريدي يعرف بأنها تكذب فأجابها قائلاً: سوف تتخلصين من أكاذيبك عندما أعود.

شاهد بريقاً من الخوف في عينيها فأدرك أنه سيد الموقف.

كان حديث الرجال الثلاثة في الحجرة الأخرى فاتراً، وعندما سمع فريدي أحدهم يتحدث عن أيامه في إنجلترا أدرك أنه على صواب.

كانوا يصفرون بأفواههم لجذب انتباه چاجوا، وكان الرجل الذي يتحدث عن إنجلترا محترفاً في جذب النساء، حاولوا استغلال موهبتهم في أن يثبتوا لچاجوا أنهم متميزون ومتفوقون على كل رجال لاجوس الآخرين خاصة وأنها تعيش بمفردها دون رجل يحبها ويشاركها الحياة. غضب فريدي من طريقتهم وثقتهم بأنفسهم، ولم يكن متأكداً من أن السبب وراء غضبه يكمن في معرفته بأن النساء مثل چاجوا يصبحن بطريقة أوتوماتيكية أحد ممتلكات مثل أولئك الرجال الثلاثة، ازدادت حدة غضبه حين عرف مكانته الحقيقية عند چاجوا التي ساهم وجود هؤلاء الرجال في إظهارها.

إنه الشاب الفاتن الساحر في حياة چاجوا، إنه عاشق المرأة الجميلة المتقدمة في العمر الذي لا يجب أن يعمل على إثارة المشاكل في وجود أولئك الذين يقدمون الهدايا الثمينة ويدفعون بسخاء، لم يكن أمامه من شيء في تلك اللحظة سوى أن يتخذ وضعه المناسب وألا يتعدى حدوده وأن يظل مستتراً خلف المشهد حتى يرحل الرجال الثلاثة، ولأنه يتحلى بروح رياضية مرنة فقد كان مسموحاً له أن يلعب دور العاشق الذي اختاره.

مضى فجأة نحو الباب لكن چاجوا أمسكت بالمقبض وقالت: فريدي، هل سترحل؟ اسمعني، سوف أشرح لك كل شيء عندما يرحل أولئك الغرباء.

لم يهتم بكلماتها ولم يجب عليها كما لم يكن راغباً بسماع تفسيرها للموقف، كانت ما تزال تتكلم وهو يتقدم بالسير عبر حجرة الجلوس قابضاً على أنفاسه حماية من كثافة الدخان المتصاعد.

كانت حجرته الكائنة خلف حجرة چاجوا في الدور الأرضي واحدة من عشر حجرات محاطة بممر ضيق، وكان كل دور يحتوي على مكان مشترك للطهي وحمام ودلو للغسيل، وفي الخلف كان الحوش الصغير الذي يلعب فيه الأطفال ويقصده الباعة الجائلون ببضائعهم المختلفة حيث تزيد الحركة وتنتشر الأحاديث المتبادلة، كان صاحب المبنى موظفاً حكومياً وبعد ما يربو على الثلاثين عاماً من العمل وقبل أن يخرج على المعاش استطاع أن يوفر مبلغاً من المال ساعده في بناء ذلك البيت، سئم فريدي من تقديم الشكوى له لأن الرجل لم يكن مستعداً لإنفاق مزيد من المال من أجل إصلاح البيت وإنما كان يجلس في حجرته أو في الردهة المجاورة محدقاً من خلال النافذة إلى الشارع وكأنه في حالة انتظار وشوق لليوم الأخير من الشهر حيث يدفع له السكان ما يقرب من مائة وعشرين جنيهاً.

عاد فريدي إلى هدوء حجرته الخاصة وحاول أن يرتب أفكاره وسط ذلك الجو الخانق الذي تبعثه تلك الجدران الإسمنتية الساخنة. وضع مشترياته جانباً وتناول كتاباً من فوق الأرفف ثم جلس فوق مقعد منخفض وراح يقلب صفحات الكتاب بعفوية وهو يفكر في چاجوا، لكن صخب الأطفال ودقات طبولهم وقيامهم بالغناء في الشارع أعاقه عن التفكير بالإضافة إلى صوت القطارات الزاعق وتلك الضحكات الكريهة لذلك الرجل الذي ربح رهان البيرة تحت شجرة المانجو الواقفة خارج المبنى.

أصابته حالة من الكراهية تجاه كل شيء وكل شخص لأنه شعر بعدم قدرته على كبح جماحهم، خاصة وأنه كان في حاجة ماسة لأن ينعم ببعض الهدوء، وفوق كل ذلك كان صوت چاجوا الساخر يحتل موقعاً بارزاً وسط ذلك الضجيج. وحين تذكر الرجل السوري الذي شاهده في نادي تروبيكانا شعر فجأة بألم حاد، فقد كان السوري مدركاً لقدرته على الفوز بچاجوا بسهولة بسبب امتلاكه للنقود مما جعله يشعر بالإهانة، بالاضافة إلى ذلك الشموخ الزائف لأولئك الرجال الموجودين في حجرتها الآن وذلك العذاب الناتج عن وقوعه في عبودية ممارسة الجنس مع امرأة أكبر منه كثيراً وأكثر منه براعة وجاذبية وطموحاً ورغبة في التملك، لكنه إذا قرر أن يبتعد عنها فسوف يفقد فرصته في السفر للخارج من أجل الدراسة خاصة وأنه يعلم أن مثل هذه الفرصة لا تحدث مرتين في حياة أي نيجيري.

سمع طرقاً على الباب وحين سارع بفتحه دخلت چاجوا على الفور ووضعت يدها فوق رأسه، لكنه أمسك بيدها وأنزلها بسرعة فقالت: فريدي ليس الأمر كما تتصور، أنا متأكدة أنك أخطأت في فهم الأمر كله، سوف أذهب معهم فقط لإطلاعهم على مكان ما.

لم ينطق فريدي بكلمة واحدة فاستدارت چاجوا نحو الباب وقبل أن تهم بالخروج قالت له: سأذهب لأدلهم على المكان الذي يريدونه في لاجوس وسأعود حالاً حتى أتمكن من توضيح كل شيء وإزالة سوء الفهم العالق بذهنك.

بدا وكأنه لاحظ فستانها فجأة، فستان جديد يراه للمرة الأولى كما لفت انتباهه ذلك الماكياج الصارخ فوق وجهها وتلك الخطوط العريضة المرتسمة على شكل أقواس فوق حاجبيها والممتدة بانحناءة لائقة إلى جانبي خديها حتى بدت شبيهة بأحد الأقنعة التي شاهدها في المتحف ذات يوم، وكان واضحاً أن چاجوا لم تكن تعرف كيف تقلل من شأنها فرمقته بنظرات جذابة ومغناجة في آن واحد تحمل في طياتها المعنى الدال على أنها امرأة لعوب.

قال فريدي: كيف ترتدين مثل هذا الفستان الفاضح يا چاجوا؟ هل من أجل أولئك الرجال الثلاثة الذين كانوا في إنجلترا؟ وهل أنت متأكدة من عودتك هذه الليلة؟

ابتسمت وأجابت قائلة: سأعود حالاً، فقط سأريهم المكان الذي يريدونه وأعود على الفور فليس هناك ما يستدعي أن أبدد وقتي من أجله كما أن لدي الكثير مما يجب أن أقوم بعمله في البيت.

ضحك فريدي ضحكات ساخرة وبدا كأنه يسخر من نفسه ثم قال: چاجوا، أتحاولين خداعي؟ أعلم أنك ذاهبة معهم في مهمة عمل.

اقتربت منه وقالت: أبداً، أقسم لك يا فريدي، ألا تثق بي؟

-أقسمي بالحقيقة يا چاجوا.

وضعت إصبعها فوق لسانها ثم رفعت الإصبع إلى السماء وقالت: إذا كنت ذاهبة معهم في عمل ما فلتدهسني إحدى السيارات قبل أن أصل إلى الطريق الرئيسي، هل أنت مقتنع الآن؟

نهض فريدي من فوق المقعد وقال: چاجوا، لقد أخبرني أحد الأصدقاء بأنك لا تخرجين في الليل للتنزه أو للبحث عن عمل وأنت تفعلين الآن ما يسمونه هم بالاستجداء، أنت تخرجين للتجول في الشارع كي يراك الرجال البيض ويصطحبونك في سياراتهم إلى منازلهم وها أنت تقسمين الآن كذباً، لقد سمعت ذلك منذ زمن بعيد لكنني لم أتحدث بشأنه لأنني لست سوى مدرس فقير لا يملك ما يكفي من النقود لإعالة چاجوا والإنفاق عليها.

-كذب وهراء يا فريدي، إنها كذبة كبيرة فآنا لم أقم باستجداء أو إغواء أحد من قبل.

رفع فريدي يده محذراً وقال: چاجوا، سنعرف ذلك ونتأكد منه في يوم من الأيام لكنني أنبهك بأنني لا أهتم بما تفعلين، نحن اليوم لسنا رفيقين وأشد ما يغضبني هو محاولاتك الدائمة في إقناعي بأنك عذراء وأنك لم تعرفي أبداً أي رجل آخر في لاجوس أو في أي مكان تذهبين إليه سوى فريدي الشاب وهذا ما يحيرني كثيراً ويجعلني أشعر بالغيظ الشديد.

قرأ في عينيها ظلالاً من الشك حين قالت: يجب أن أذهب الآن، إنهم بانتظاري.

أدارت مقبض الباب وأضافت: أقسم بالله أنني لم أقم بإغواء أحد، أرجو ألا تستمع لأحد يا فريدي، إن الناس هنا في لاجوس يتحدثون كثيراً ويتدخلون فيما لا يعنيهم ويختلقون الأكاذيب.

خرجت چاجوا ثم سمع فريدي صوت محرك السيارة، إنها إحدى السيارات الفارهة التي يقودها سائق خاص، تذكر أنه شاهد السيارة عندما جاء إلى حجرته غير أنه لم يربط بينها وبين چاجوا أما الآن فعليه أن يقرّ ويعترف أن السيارة جاءت من أجل چاجوا، إن غيرته لم تساعده في فهم أي شيء، لقد كانت كما هي لكنه تساءل بينه وبين نفسه قائلاً: هل من الطبيعي بالنسبة لكل النساء - بمن فيهم چاجوا- أن يعملن على تأكيد براءتهن؟ وماذا ستفعل إذا أمسك بها متلبسة في الفراش مع رجل؟ إنه مشتاق لمعرفة ما ستفعله حينئذ ومعرفة ما ستقوله رغم تأكده بأنها ستواصل الإنكار غير أن إحساساً قوياً ينتابه بأنها ستنجح في إقناعه بأن الأمر كله مجرد سوء فهم.

لم ترجع چاجوا إلى بيتها في تلك الليلة.

بعد ظهر اليوم التالي كان فريدي جالساً إلى طاولته يكتب عندما سمع طرقاً على الباب، كانت نانسي التي بدت جميلة في فستانها الأبيض البسيط المعقود بحزام أسود عند المنتصف فتراءت له متوهجة بالشباب وحسن المظهر، وكانت عيناها السوداوتان توحيان باللهفة والشغف، وكانت تحمل طرداً في يدها وبدت مترددة في الدخول.

ابتسم فريدي قائلاً: تفضلي يا نانسي، أنت تأتين دائماً عندما يكون مزاجي سيئاً، إن چاجوا ليست هنا فلا تخافي.

وضع كف يده فوق فمه وبعد أن لاحظ عينيها المفعمتين بالحيوية والتألق استطرد قائلاً: لقد رحلت منذ مساء الأمس مع ثلاثة رجال ولم تعد حتى الان، أتعرفين ما قالته لي؟، لقد أخبرتني أنها ستعود حالاً وأنها تبدد وقتها من أجل لا شيء وأن لديها الكثير مما يجب أن تفعله في البيت، ها، ها يا نانسي، هل تستطيعين معرفة ما أشعر به؟ إن چاجوا لديها الكثير مما يجب أن تفعله في البيت لكنها ذهبت مع الرجال الثلاثة في سيارة فارهة منذ الأمس ولم تعد إلى هذا البيت، ادخلي يا نانسي فأنا أشعر بمزاج سيئ وحالة من الاكتئاب.

نظرت إليه برقة وحنان ثم تقدمت نحوه وأحاطت رأسه بكلتا يديها وقالت: أنت تتحدث وكأنك مخمور يا فريدي، هل تشعر بالأذى؟ لقد جرحت چاجوا غرورك ولعلك تيقنت من عدم قدرتك على السيطرة على المرأة التي تعتقد أنها ملك لك.

تنهدت نانسي وأضافت: أحياناً لا يساورني أدنى شك في أنك تحب هذه المرأة بجنون.

- أحياناً، ولكن قد يكون الأمر مجرد اعتياد على هذه المرأة، مجرد اعتياد لا أستطيع الفكاك منه، إنها تملك قدراً كبيراً على إثارتي وإيقاظ مشاعري كما أنني أشعر بضعف شديد تجاهها.

- ذلك ما أعتقده يا فريدي، تلك المرأة لا تمنحك دواءً للحب لتقوم باحتسائه مع طبق لذيذ من الشوربة.

نظر إليها فريدي بعينين خائفتين وقال: دواء للحب!!، ولكن ما الذي يجعل چاجوا تهتم بعمل هذا الدواء لي؟

وضعت نانسي الطرد فوق الطاولة وراحت تتفرس الحجرة بنظراتها، لم تكن الحجرة مرتبة على الإطلاق وتسودها الفوضى في كل مكان، ولم يكن هناك من مكان مناسب للجلوس سوى السرير، جلست نانسي فوق السرير فشعر فريدي بالسرور ثم قالت: إن امرأة مثل چاجوا تعمل في ذلك المجال منذ زمن بعيد لا بد وأنها تملك الكثير من القوة والنفوذ، إنها فاتنة وتأثيرها لا يقاوم كما أنها تمارس أعمالاً سحرية، إنها تنفق كل نقودها على الرجل الذي يصنع لها الأعشاب والأدوية التي تجعل الرجال يقعون في حبها، إنها تعرف أن دواءها سيتمكن منك ولن تقدر على الفكاك من حبها، وهكذا فهي مطمئنة تماماً ولا تشعر بأي نوع من القلق.

شعر فريدي باليأس حين أدرك بعض الحقيقة في كلام نانسي وإلا فلماذا لا يستطيع أن يهجرها ويتخلى عنها؟، إنها امرأة غير جديرة بالاحترام رغم كل ما تتمتع به من جاذبية وفتنة، هو يعرف ذلك ويعرف أيضاً أنها لا تستقر على رأي وأن نزواتها هي التي تحركها كما أنها أنفقت كثيراً من المال من أجل أن يدرس في إنجلترا وراهنت على شيء غير متوقع قد يحدث نتيجة رحيله إلى إنجلترا.

انتبه فجأة لوجود نانسي وقال: متأسف بشأن هذه الفوضى التي تسود الحجرة يا نانسي، كل شيء مرتبك لأنني كما ترين أحزم أشيائي والله وحده هو الذي يعرف الحقيقة، إنني أعاني ألماً شديداً في رأسي حين أري بعيني قدرة جاجوا على عمل أي شيء تحبه، وأتألم بالقدر نفسه حين تقع عيناي على كل تلك الفوضى وذلك السلوك الأحمق، لكنني سأصبح رجلاً سعيداً بمجرد أن أضع قدمي في السفينة وحينئذ لن يستطيع أحد مضايقتي.

وضعت نانسي يديها بين ركبتيها وراحت تؤرجح قدميها بطريقة مثيرة ثم قالت: كل شيء سيكون على ما يرام يا فريدي، إنني ذاهبة على أية حال فلقد أرسلتني ماما لمساعدتك في ترتيب أغراضك وحزم أمتعتك.

ارتسمت علامات الدهشة فوق وجهه وقال: لمساعدتي أنا؟ هل أنت متأكدة مما تقولين؟

أجابت نانسي: وفيمَ الاندهاش يا فريدي؟ أتعتقد أن ماما لا تعرف شيئاً عنك وعني؟، لقد حكيت لها كل شيء.

أشارت إلى الطرد الموضوع فوق الطاولة وتلألأت عيناها ببريق غامض ثم أضافت: لقد أخبرتني أن أقدم لك هذا الطرد.

تقدَم فريدي نحو الطاولة وتناول الطرد، كان أحد العناوين في لندن مكتوباً بخط واضح فوق الطرد فنظر إليها بعينين متسائلتين لكنها أجابته بسرعة: انه طعام منزلي، بعض الكاري والفلفل وطعام الأوكرو لابن خالتي الذي يعيش في لندن ويدرس الهندسة هناك، أرجو أن تخبره بأن أمي تبعث له بحبها وتحياتها وأنني سألحق به قريباً، أنت تعرف أنهم في لندن يشعرون بالغربة ويقتلهم الحنين للوطن، وعندما يتلقون أخباراً من بلدهم فإنهم يواصلون الصمود ويتسلحون بالقوة الكافية للانتهاء من المهمة التي رحلوا من أجلها.

شدَت حاجبيها ورفعت عينيها وبدت جادة فيما تقول مما أثار انتباه فريدي فقال: يجب أن يصل إليه هذا الطرد كما هو وإلا فلن أسافر مرة أخرى.

ابتسم وأضاف: إن چاجوا هي التي ساعدتني على السفر كما تعلمين.

اقترب منها أكثر وحين نظر إلى عينيها شعر بالندم فسارع بالقول: لم أقدم لك شيئاً، ماذا ستشربين يا نانسي؟ آه، يمكنني إرسال سام ليشتري لك شراباً بارداً.

-لي أنا؟ لا يا فريدي، يجب أن أذهب الآن.

أمسك يديها فتدفق الدم إلى وجهها واحمرت خجلاً ثم توجهت نظراتها إلى الباب دون وعي منها وعندئذ جلس فريدي إلى جوارها فوق السرير وأحاط معصمها بيديه وراح يتفحص أصابعها الطويلة الجميلة، استدارت بوجهها ناحيته وبرغم أنه قرأ الرسالة التحذيرية إلا أنه لم يتردد في تقبيلها، أغلقت عينيها ورفرفت أهدابها فوق خديها ثم بدأ فريدي يتحسس بشرتها الناعمة ويشم رائحة عطرها الفتاك فتراءى له العالم جميلاً ولم يعد غاضباً كما كان.

دفعته برفق وسمعها تقول بصوت رقيق: ستعود مرة أخرى يا فريدي وسترغب دائماً في ذلك، سوف تشتاق لمعانقتي في أي وقت تراني فهل هذا هو كل ما تحبه وترغبه يا فريدي؟

تسللت أصابعه إلى كتفها العاري حتى وصل إلى داخل قميصها الفضفاض، لم تكن ترتدي حمالة ثديين فراح ثديها يتراقص وسط أصابع يده المتوهجة.

همست بدلال وقالت: إن الباب مفتوح يا فريدي!

ظل يضغط على ثديها ويمرر إصبعه بطريقة دائرية فوق حلمتها ثم توجه إلى الباب وأغلقه وقال: لا تخافي يا نانسي، لن يأتي أحد الآن.

قالت: لكن الجو حار جداً الآن يا فريدي، إن حرارة الجو الشديدة هذه لا يصلح معها فعل أي شيء حقيقي، فلنفعل ذلك في وقت آخر.

ضمها بين ذراعيه حتى التصق كل منهما بالآخر وقال بمزيج من الهيام والأسى: نعم يا عزيزتي.

سمع صرخة نانسي الأخيرة، كانت تستنجد للهرب من تلك اللذة التي وقعت فيها ومن ذلك الرجل النهم الجائع ثم قالت: فريدي، فريدي، أوه! أتوسل إليك، دعنا نفعل ذلك في وقت آخر إذا كنت تحبني يا فريدي فأنا لن أتخلى عنك وسأكون لك، لن أهب نفسي لأي رجل آخر طالما أنني أحبك.

تحول صوتها في أذنيه إلى هدير صاخب وكانت أصابعه ترتعش حول أزرار القميص وتلك الأربطة المعقدة في ملابسها حتى تكشف له جسدها البكر المثير فلم يستطع مقاومة الانحناء للحظة لتقبيل كتفيها الرقيقتين وثديها النافر ذي الحلمة الطويلة، وحين امتزجت أنفاسها الحادة بأنفاسه شعر بقشعريرة تسري في كل جسده.

خلعت ثوبها وقميصها وهمست قائلة: برفق وهدوء يا فريدي لئلا تتجعد ملابسي وعندئذ ستعرف ماما ما حدث.

كان خصرها نحيلاً وبطنها مستوية بدون تجاعيد أو نتوءات فبسط كفه فوقها حتى يصدق ما يراه، وكان ردفاها صغيرين على غير ما تتسم به أرداف الفتاة النيجيرية لكنها أرداف ناعمة وملساء مثل سمك الرعاش فشعر برجفة من الجنون تستولي على كل جسده.

أمسك بخصرها النحيل فأصابته الدهشة ثم جذبها ناحيته وامتزج بجسدها المراهق المفعم بالحيوية والإثارة وتصبب كلاهما بالعرق حتى انصهرا عشقاً وأصابتهما نوبة من الغياب والشبق الشديد. وبدأت نانسي بالصراخ بصوت مرتفع كي تشعره بمزيد من النشوة وقالت: فريدي، إنني أتحرق شوقاً، أنت توجعني ولقد فقدت السيطرة على نفسي، أوه يا إلهي!

قرص أذنها وانتابه إحساس جميل ورائع بعد انطلاق كل رغباته المكبوتة، لقد وجد متعة كبيرة في شباب نانسي اليافع وفي قوة إحساسها حتى إنه شعر للحظة أنها مجرد خرافة ولم يستطع أن يتوقف عن المقارنة بين بشرتها الناعمة الملساء القوية وبشرة چاجوا المترهلة رغم كل براعتها، إن نانسي لم تصرخ إلا حين شعرت بالمتعة وذلك الألم اللذيذ وليس لأنها تمثل دوراً اعتادت على القيام به، وكانت عيناها متدفقتين بالبهجة والنشوة وعندما جلست بجواره تتنهد بعد انتهاء عملية الحب شعر بالقلق وراح يقبل دموعها وخديها الناعمين، إنها فتاة صادقة ولا تعرف الرياء.

سأل فريدي نفسه: هل توجد تلك الرفيقة الصادقة؟ وماذا سيكون إحساس چاجوا إذا عرفت؟ لا بد أن ذلك سيكون أكبر خيانة تعرفها في حياتها.

أمسكت نانسي به وراحت تقبله وقالت: قل لي يا فريدي أنك تحبني.

كان يتمتم بين القبلات المتلاحقة ويقول: إنني أحبك يا نانسي ولكنني لا أعرف لماذا تبكين، أنت جميلة جداً حتى إنني لا أصدق وكأنني أعيش لحظة من لحظات الحلم الجميل.

بكت نانسي من جديد وأبصر فريدي عينيها الغارقتين في الدموع، كانت تنظر إليه وفيما وراءه بعينيها السمراوتين المشبعتين بالحزن والأسى فتناول فريدي منديلاً وراح يمسح الدموع برفق وقال لها بصوت حنون: انهضي وارتدي ملابسك ودعينا نستلقي بعض الوقت.

نهضت من فوق السرير بسرعة وبدأت بارتداء قميصها بطريقة متوترة ثم قال فريدي وهو يتحسس فخذيها: من أي بلد أنت يا نانسي؟

- لقد جاء أبي وأمي إلى هنا من فريتاون Freetown في سيراليون، لقد كان أبي يعمل منذ وقت طويل في السكرتارية قبل أن يموت ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش مع أمي التي أرسلتني إلى المدرسة لأتعلم، إنها تعمل في تفصيل الملابس وأحياناً في صنع المخبوزات، كما أننا نملك دكاناً متواضعاً نبيع فيه الكعك والخبز.

كانت ترتدي لباسها التحتاني فأمسكت بكتفه حتى تحتفظ باتزانها ثم قال لها وهو يساعدها بارتداء القميص: وإذن فهل تعرف أمك كل شيء عنا؟

- قلت لها بأنني أحبك وأريد الزواج منك لكنها لم تصدقني واعتقدت أنني غير جادة فقالت لي: لا تنسي يا نانسي أننا قطعنا كل هذا الطريق وجئنا من فريتاون وإذا أردت الزواج من ذلك الشاب النيجيري فلا بد أن تهجري موطنك الأصلي، ذلك ما قالته أمي لكنني لم أستمع إليها ولم أهتم بكلامها مما جعلها تستطرد وتقول بأنني إذا رغبت في الزواج منك فلا بد أن أقتل چاجوا أولاً، كل ما قالته ماما هو الحقيقة بعينها يا فريدي، يجب أن أقتل چاجوا أولاً.

استطردت نانسي قائلة: أخبرني يا فريدي، هل ستحاربني چاجوا إذا رغبت بالزواج منك؟ أجبني بالحقيقة ليس لأن بينك وبينها خلافاً أو أي شيء ولكن لأنني أحبك يا فريدي.

أبصر ذلك الألم الذي تحاول أن تخفيه داخل عينيها وقال: لا يا نانسي فأنا لست عازماً على الزواج من چاجوا، كنت أعتقد في البداية أن چاجوا جادة معي لكنني عرفت فيما بعد أن كل شيء مجرد أكاذيب، إن رغبتها في الحصول على المال جعلتها تحترف الكذب في كل علاقاتها المختلفة مع الرجال كما أنها لا تشعر بالسعادة أبداً إذا لم تمارس الحب كل يوم مع رجل مختلف، وأهم من ذلك كله أنها تعاملني كطفل صغير وكثيراً ما خدعتني وحين كنت أضبطها متلبسة كانت تداقع عن نفسها وتبدأ في سرد قصة طويلة لا أساس لها من الصحة، لقد انتابني شعور بالازدراء يا نانسي وليس

من الصواب أن تعرف چاجوا شيئاً الآن، يجب أن أنتظر حتى موعد إقلاع السفينة التي ستقلني إلى لندن وعندئذ فقط ستعرفين ما أعتزم القيام به.

ألقت بنفسها بين ذراعيه ولم يتردد في ضمها إليه بطريقة رقيقة ومليئة بالحب ثم قالت: ولكن ماذا ستفعل يا فريدي؟ لقد أثقلتك چاجوا بالديون فكيف ستردها ؟

داعبها بضربة خفيفة فوق فخذيها وأجاب: مهلاً، دعيني أصل إلى لندن أولاً وأبدأ بدراسة القانون.

قالت نانسي: أتعلم يا فريدي إنه من الواجب أن أذهب لزيارة مدينتك في باجانا قبل أن أغادر إلى لندن، يجب أن أذهب لمعرفة باجانا والسلام على أبيك وأمك، سوف أطلب من ماما أن تأخذني معها كي تتأكد بنفسها أن ذلك الرجل النيجيري صالح للزواج من طفلتها، لقد جئنا فعلاً من فريتاون لكنني ولدت هنا وذهبت إلى المدرسة هنا، إن نيجيريا هي وطني الثاني.

قام فريدي بتقبيلها مرة أخري ثم سمع طرقاً قوياً ومتواصلاً على الباب.

# (٨)

افتح الباب، افتح الباب يا فريدي، أتسمعني؟، افتح الباب بسرعة وإلا فإنني سأقوم بتحطيمه.

إنه صوت چاجوا وإذا لم يفتح الباب بسرعة ويعمل على تهدئتها فإنها ستحطم البيت فوق رأسيهما، فكانت فكرة القفز من النافذة وسحب نانسي وراءه هي أول شيء خطر بباله لكن شبكة الناموس المليئة بالأسلاك الرقيقة لا تسمح بتنفيذ تلك الفكرة، حدَق بقدميه العاريتين وقفز بهما إلى بنطلونه وقام بتثبيت الأزرار بسرعة بينما كانت چاجوا في تلك اللحظة تحمل شيئاً ثقيلاً وتضرب به الباب، فقال فريدي بصوت عال: لحظة واحدة، ماذا حدث يا چاجوا؟

رمق فريدي نانسي بنظرة خاطفة ووضع إصبعه فوق شفتيه ثم مضى نحو الباب وفتحه فاندفعت چاجوا على الفور إلى داخل الحجرة واتجهت مباشرة ناحية نانسي وقالت لها بصوت مضطرب وهي تلهث: ماذا تفعلين في هذه الحجرة؟ أنت تعتبرين نفسك فتاة صالحة ومهذبة فماذا تفعلين هنا مع الرجل الذي أحبه داخل غرفة مغلقة؟

أجابت نانسي قائلة: هل هذا هو الرجل الذي تحبينه؟ لماذا إذن تتعاملين مع رجال آخرين ولا تستطيعين النوم في سريرك الخاص؟

أصيب فريدي بالدهشة من جرأة نانسي فأدرك على الفور أن حرباً على وشك الاندلاع، وقف على أصابع قدميه وشعر بالفضيحة التي يمكن أن تلحق بسمعته كمدرس وقال: أتوسل إليك يا چاجوا ألا تكوني سبباً في حدوث مشكلة، إنه مجرد سوء فهم وسوف أشرح لك كل شيء.

كان لكلماته تأثير عكسي فقالت چاجوا بغضب: اخرس يا فريدي فالأمر لا يتعلق بك الآن.

استدارت نحو نانسي واستطردت: هذه هي الزانية المسكينة وسوف ألقنها درساً يساعدها في المرة التالية على اختيار رجل من مستواها، من قال لك يا نانسي أنني أبيع نفسي لرجال آخرين؟

أبصر فريدي عيني چاجوا الملتهبتين فسارع بإغلاق الباب لكن چاجوا كررت السؤال: من الذي أخبرك بذلك؟ أجيبيني.

قالت نانسي: وأنت، من الذي أخبرك بأنني هنا في الحجرة مع فريدي؟ ولماذا كنت متلهفة لدخول الحجرة؟ ، أعرف أن شخصاً ما أخبرك بوجودي هنا وذلك ما جعلك تسرعين بالمجيء وتقذفين الباب بالحجارة.

كانت نانسي تتحدث بقوة وثقة فشعر فريدي برغبة جارفة في رفعها بذراعه عالياً ثم الصياح قائلاً: رائع وجميل.

أضافت نانسي قائلة: لقد أخبرتك يا چاجوا أنني أحب فريدي، إنه في طريقه للذهاب إلى إنجلترا وعندما يعود سيصبح زوجي البريطاني.

قالت چاجوا بعصبية : اخرسي، أنت لصة صغيرة، وكيف تتحدثين معي بهذه الطريقة؟

قفزت چاجوا فوقها وقالت: سوف ألقنك درساً ويمكنك أن تستدعي أمك أيضاً لأشق رأسها.

لم يكن فريدي قد شاهد من قبل ذلك الإصرار في عيني چاجوا لكنه سمع ضربة قوية وشاهد نانسي وهي ترتجف ثم وضع يده فوق خدها.

أمسكت كلتاهما بالأخرى بإحكام فصرخت نانسي وقالت: أوه، إنها تعضني يا فريدي، إن المرأة العجوز تعضني.

قال فريدي: افعلي مثلها أنت أيضاً، أليست لك أسنان؟ افعلي مثلها بقوة وفي أماكن حساسة من جسدها.

شاهد نانسي وهي تنطحها وسمع صراخ چاجوا فانتابه إحساس بالبهجة من جراء ذلك الخزي الذي لحق بچاجوا وبسبب تلك القوة والجرأة التي اتسمت بهما نانسي، ثم سارع محاولاً الفصل بينهما وإبقاء كلتاهما بعيدة عن الأخرى، غير أن الضربات المتسارعة من الطرفين أصابته في ضلوعه وجمجمة رأسه كما سددت چاجوا إليه ضربة بيدها اليمني فوق خده فأمسك بقبضتها لكنها قاومت بغضب واستطاعت التخلص منه ثم قالت: اتركني يا فريدي، أنت لم تذهب إلى إنجلترا حتى هذه اللحظة وها أنت تطارد امرأة أخرى! أتعتقد بأنني حمقاء؟

- أنا لا أطاردها يا چاجوا، لقد أرسلتها أمها لي فماذا تتوقعين أن أفعل خاصة وأنك ذهبت مع رجل آخر؟

- ماذا أتوقع أن تفعل؟! لقد قمت بفعل ما يجب أن تفعله، لقد ضاجعت نانسي، نعم، فماذا بوسع رجل شاب مثلك سوى أن يضاجع مثل هذه الفتاة الرقيقة الناعمة؟ أتعتقد أن أم نانسي لا تعرف ما يمكن أن يحدث عندما ترسل ابنتها بمفردها إلى حجرتك ؟

هز فريدي رأسه بسخرية وقال: أين ذهبت بعد أن ركبت السيارة الفارهة مع الرجال الثلاثة؟ ماذا تريدين مني أن أفعل؟ أتظنين أنني كنت سأجلس ولا أفعل شيئاً سوى البكاء؟ أيجب أن أقدم لنفسي العزاء؟ إن الفقراء من أمثالي والذين لا يملكون السيارات الفارهة لا يملكون سوى تقديم العزاء لأنفسهم!

قاطعته بسرعة وبصوت حاد قائلة: ما هو شأنك بأم نانسي وما مدى العلاقة بينك وبينها حتى تتجرأ وترسل لك ابنتها الوحيدة وهي تعرف أنك شاب ووحيد؟ لقد أرسلت لك نانسي الآن كي تفكر بالزواج منها لكنني بالمناسبة أود أن أذكرك يا فريدي بمن ساعدك في استخراج جواز السفر وبمن عانى كثيراً وقام برشوة الرجال من أجل الموافقة على عمل جواز سفر لك، أم إنك لا تعرف ضوابط وقوانين الحكومة ولا تعرف مدى صعوبة الحصول على جواز السفر؟ لماذا لم تحاول أم نانسي مساعدتك؟ ومن الذي دفع مصاريف دراستك وتكاليف حجرتك في إنجلترا؟ ألست أنا التي قمت بكل ذلك بينما كانت نانسي وأمها غائبتين؟

صمتت چاجوا لحظة قصيرة ثم وضعت يدها فوق خصرها وراحت تحدِق بفريدي ونانسي الصغيرة الجميلة ثم لاحظ فريدي أنها تدقق النظر إلى احدي حقائبه فاندفع متقدماً نحو الحقيبة التي تحوي بداخلها جواز السفر وقال: ماذا تريدين يا چاجوا؟ أرجو أن تنتبهي وتحذري مما يجول بخاطرك.

فتحت چاجوا الحقيبة بعصبية بعد أن فقدت صوابها وبدت كالمجنونة ثم راحت تفتش بين الملابس حتى عثرت على الوثيقة الثمينة فتناولتها ومزقتها بقوة إلى قطع صغيرة، اتجهت ناحيته فشعر بنفسه ممزقاً هو الآخرإلى قطع صغيرة متناثرة، إنها وثيقة جواز السفر التي تكلفت أكثر من ستة أشهر من التزوير والرشوة، شعر فريدي بالدموع تتحرك تحت جفنيه وحين حاول أن يعترض قفزت فوقه وأطبقت عليه بأصابعها وأسنانها وبدت في شراستها كالنار المستعرة حتى إنه شعر بحرارة في جسده وبعد ذلك رفعت الحقيبة وألقت بها إلى الخارج فتبعثرت أشياءه وتدحرجت القطعة

النقدية الصغيرة حتى استقرت تحت السلالم بينما لم يتوقف فريدي عن متابعتها والتحديق فيها.

أشارت چاجوا إلى نانسي وقالت له: اذهب معها واتركني في لاجوس، إنني لست سوى امرأة عجوز ولا فائدة من وجودك معي، خذ إذن حبيبتك نانسي وارحل.

تناولتْ فأساً وقبل أن تهرع إلى الخارج عرفتْ كيف تستخدمه بمهارة في شق الصناديق إلى نصفين، خافت نانسي وراحت تتعلَق بفريدي.

خرج كل السكان من حجراتهم لكن چاجوا رفعت الفأس في وجوههم، كانت تربط قطعة من القماش حول خصرها وتقف كالمقاتل الذي ينتظر جرس البداية، وكان ثدياها يهتزان وعيناها تحترقان بالغضب حين قالت: إذا حاول أحدكم أن يلمسني فإنني سأحطم رأسه بالفأس.

قال فريدي بصوت كصوت فحيح الأفعي معبراً عن استهجانه: امرأة مجنونة غيورة، ستصيبك الغيرة بالجنون.

ظلوا جميعاً ينظرون إليها بصمت، صعدتِ السلالم وأغلقتْ بابها الأمامي ثم هبطتْ وأشارت إلى سائق سيارة الأجرة الذي مضى بها مسرعاً في اتجاه وسط لاجوس، وحين ظهر الشرطي في موقع الحدث لم يجد من يقوم باستجوابه، كانوا قد انسحبوا بسرعة وأغلقوا أبواب حجراتهم فراح الشرطي يطلق الشتائم ومضى يجوب الشوارع لمواصلة عمله.

استدار فريدي ناحية نانسي وقال: معذرة لكل ما حدث، إنها غلطتي، ذلك هو نوع النساء من أمثال چاجوا التي تحبني غير أنني لا أحب أحداً سواك، لقد تحول حبها إلى حالة من حالات المرض ولقد أصابها الجنون وهي الآن على استعداد لقتل أي شخص فليساعدها الله.

- لا عليك يا فريدي، سأعود الآن إلى البيت وسأترك الطرد معك.

- نعم، وإذا فشلت كل محاولاتي ولم أستطع السفر إلى إنجلترا فسوف أعيده لك، لقد مزقت چاجوا جواز السفر لكنني سأحاول مرة أخرى.

خرجت نانسي مسرعة فجلس فريدي فوق السرير وعندما حضر الناس كان الباب مفتوحاً فشاهدوه وهو مستغرق في التفكير لكنهم عادوا مسرعين بعد

أن سمعهم وهم يتمتمون بالكلمات ويتحدثون عنه وعن قلبه القاسي وعن نانسي التي أصبحت أكثر سروراً.

كانت فكرة عدم الرحيل إلى إنجلترا فكرة مؤرقة وغير مقبولة خاصة بعد أن طلب منه كثير من الناس توصيل الرسائل والطرود إلى ذويهم وبرغم طلبه الذي تقدم به للحصول على المنحة الحكومية إلا أن فرصة الفوز بها ضعيفة خاصة وأن عدد المتقدمين للحصول على المنحة نفسها تجاوز الثلاثمائة بالإضافة إلى الآلاف من المتقدمين الذين لا يعرفهم، وإذن فليس من الصواب أن يخدع نفسه إلا إذا كان أحمقَ.

ذهب إلى المكتب المختص باستخراج جوازات السفر حاملاً معه بقايا جواز سفره الممزق، وكالعادة كان المكتب مزدحماً ومليئاً بالزوجات اللاتي يأملن في الحصول على جوازات سفرهن كي يلحقن بأزواجهن في إنجلترا، شق فريدي طريقه وسط الزحام بصعوبة فاصطدم بكثير من الزوجات وبرجل لبناني يحمل الجنسية النيجيرية حتى وجد نفسه في النهاية جالساً فوق أحد المقاعد في مواجهة ضابط الهجرة.

كان الضابط يرتدي الزي الكاكي المرصع بالأزرار النحاسية البراقة، لكن فريدي لم يخف أو يتردد غير أنه أصيب بالفزع حين شاهد ابتسامته الجميلة وأسلحة الجنود المعلقة.

فرك الضابط يديه وقال: أعطني ملف فريدي.

أصدر الشرطي المسؤول صوتاً بكعب قدميه ومضى سائراً حتى اختفى، وحين عاد بعد لحظة كان يحمل في يده ملفاً مكتوباً عليه (إدارة الأمن)، بدأ الضابط بتقليب صفحات الملف بإبهامه ثم صاح طالباً المزيد من الملفات وبعض الاستمارات التي استوفى أصحابها كل بياناتها للحصول على جواز السفر، وعندئذ قال لفريدي: املأ هذه الأوراق.

تناول فريدي الأوراق وتساءل : أهذا كل شيء؟

- نعم .

ذهب إلى بيته حاملاً الأوراق بإحكام بين يديه وقام باستيفاء كل البيانات وبعد أن سلمها ظل يتردد على مكتب الهجرة أكثر من مائة مرة لدرجة أنه استطاع أن يرسم صورة دقيقة لشارب الضابط الجالس قبالة جدران المكتب

العارية، ورغم تردده الدائم على مكتب الهجرة إلا أن شيئاً لم يحدث وكانوا يخبرونه في كل مرة قائلين: (ما زلنا ننظر في حالتك) .

لو أن فريدي سمعهم يقولون ذلك مرة واحدة لكان ذلك يعني شيئاً ما، لكنهم من كثرة تكرار الجملة نفسها أصبح يسمعها في أحلامه، وكانت چاجوا دائماً تقف في منتصف تلك الأحلام.

أثناء خروجه ذات مساء شاهد فريدي واحداً من الرجال الثلاثة الذين خرجت معهم چاجوا في تلك الليلة ، توقف الرجل بسيارته وسأل مايك: أين ذهبت چاجوا؟

تباطأ فريدي في مشيته لمعرفة إجابة مايك الذي قال وهو يشير إلى ورقة معلقة فوق الباب: لا أعرف متى ستعود فهي لم تقل شيئاً، ويمكنك كتابة ما تريد فوق هذه الورقة.

لم يشأ الرجل أن يدوّن شيئاً باسمه على الورقة نفسها التي علقتها چاجوا خصيصاً للزائرين، ثم غادر وهو يتمتم بكلمات فهم منها مايك أنه سيعود لاحقاً، وعندئذ ظنَ فريدي أنها ذهبت لتقيم مع رجل ما قد يكون واحداً من أولئك الرجال الثلاثة وفكر في احتمال أنها تشعر بالراحة والطمأنينة في المكان الذي تعيش فيه وأنها قد لا تفكر بمجرد العودة مرة أخرى.

ازدحم رأس فريدي بكثير من الخيالات الغريبة، فلم تكن چاجوا مجرد شيء عابر في حياته لكنها تعني الكثير بالنسبة له وليس من اليسير تجاهلها وهو يدرك مدى ابتهاجه لكونه منزعجاً من غيابها ، إنه يفتقد انفعالاتها ومزاجها المتقلب وحالات التهور التي تنتابها من حين لآخر، وكما أن نادي تروبيكانا يمثل لها إدماناً ولا تستطيع التوقف عن الذهاب إليه فإنها أيضاً تمثل بالنسبة له الجرعة اليومية التي تثير شهوته ورغبته الجنسية العارمة وكذلك الكرب والانحلال وضعف الإرادة، توجه إلى حجرتها متسلحاً بكل الذرائع لكنه فوجئ بقفل كبير وثقيل فوق الباب، ثم فوجئ بنفسه وهو يحدِق في القفل للحظات طويلة، حاول أن يتجنب الجيران لأنه يعرف أنهم سيوجهون له الكثير من الأسئلة التي لا يحب الإجابة عليها.

ازدادت عيناه اتساعاً وكبرت أثناء حلمه بالليل واستطاع أن يرى من خلال ثقب الباب ومن كل أرجاء الحجرة، شاهد چاجوا راقدة بملابسها الداخلية الشفافة بعد أن صبت عطراً مثيراً فوق ثدييها، وكان وجهها متألقاً كوجه فتاة صغيرة لكنها كانت ترتدي قناعاً بدت من خلاله كالراقصات المتنكرات في مدينة السحر ولم يكن وجهها مبتسماً أو وقوراً، كان أنفها صغيراً كأنوف

الإغريق وشفتاها رقيقتين وخداها متوردين بلون أبيض ولا يشبهان خدود النساء الأفريقيات، وبينما كان يتفحص چاجوا بعينيه الكبيرتين الواسعتين استدارت وراحت تحدِق في ثقب الباب غير أنها لم تشاهد عين فريدي الكبيرة فنهضت ومضت نحو الدولاب، وقفت فوق مكان معتم قليلاً فتحولت عيناها إلى اللون الأسود البرَاق وكانت عيناها مليئتين بالشك وهي تعاود النظر من ثقب الباب، ظلت بقايا ابتسامة مرتسمة فوق شفتيها لكن عينيها لم تتحرك أبداً، ثم شاهد شفتيها تتحركان ببطء شديد وقالت بصوت مرتفع: فريدي، إنني أراك يا فريدي، لقد خدعتني واخترت امرأة أخرى لأن چاجوا أصبحت كبيرة، هل كبرت چاجوا؟ نعم يا فريدي، سأستعير وجهاً آخر.

تحول صوتها العالي إلى صدى امتلأت به الحجرة قبل أن يعود إليها مرة أخرى.

شاهدها بعينه المتصلبة فوق ثقب الباب وهي عارية في ذلك الجزء المظلم وراح يتفحص كل تفاصيل جسدها، كان جسدها محاطاً بدائرة خضراء من الضوء ولم تكن مهتمة بالتحرك بعيداً عنها، تناولت حمالة النهدين المتلألئة وحاولت تثبيتها فوق صدرها لكن يدها لم تستطع الوصول إلى المشبك الخلفي فألقت بها بعيداً ومالت برأسها إلى الوراء، ثم ضحكت وتناولت بنطالها القصير الضيق الذي ترتديه تحت الفستان ورفعت قدميها إلى أعلي خزانة الثياب وراحت تضغط على فخذيها حتى تتمكن من حشرهما داخل البنطلون.

شاهد كل ذلك بعينه ثم شعر بكل جسده يذوب ويرتعش لكنه كان راغباً في رؤية المزيد بعينه الفضولية الشرهة.

بذل مجهوداً كبيراً للتوقف عن النظر إليها ثم وقع فجأة فوق الأرضية الإسمنتية فتورمت عينه وخارت قواه أمام الباب، وعندئذ نهض من فوق سريره مرتعشاً وكانت ملابسه مبللة وملتصقة بجسده من كثرة العرق فأدرك أنه كان نائماً وأن كل ما شاهده لم يكن سوى أحد الكوابيس التي تنتابه من حين لآخر، بحث تحت الوسادة وتناول البطارية ووجه إضاءتها نحو الساعة، إنها الثانية بعد منتصف الليل وهكذا فإن اعتياده الجديد على النوم مبكراً بعد رحيل چاجوا لم يساعده على الاستمتاع بنوم هادئ، فهل من الممكن أن تكون چاجوا - كما قالت نانسي - قد لجأت إلى السحر الأسود لتعذيبه؟ وهل هي ساحرة تمتلك قدرات شريرة داخل روحها؟

في ذلك الصباح فقط ولأول مرة راح يخبر التلاميذ بعدم وجود مثل ذلك السحر الشرير وتلك الأعمال السحرية إلا في الخيال، وأن تلك الخيالات الحسية ليست سوى نتيجة لظروف وأحوال غامضة وحاول أن يبرهن لهم على ذلك بالحقائق العلمية.

كانت لاجوس غارقة في الصمت والهدوء حين كان يستمع إلى أصوات الليل لكنه استطاع أن يسمع من مسافة قريبة نغمات الساكسفون الضعيفة وهي تنطلق في البرية، إنها الساعة الثانية بعد منتصف الليل ولا بد أن نادي تروبيكانا مزدحم بالناس الآن، إنه الوقت الأكثر تألقاً في تروبيكانا فهل من الممكن أن تكون چاجوا هناك؟، تنهدَ وعاد للرقاد فوق سريره لكنه لم يستطع النوم فقد كان رأسه يؤلمه من كثرة الأفكار العالقة به.

سمع صوتاً ضعيفاً يقول: فريدي، هل معك أحد في الحجرة؟، أجبني يا حبيبي، هل يوجد أحد معك في الحجرة؟

تطلَع حواليه في الظلام وتساءل بينه وبين نفسه: هل هي چاجوا؟ وهل تناديني من الجانب الآخر لجزيرة الشيطان وهي متسلحة بكل أعمالها السحرية؟

تسللت چاجوا إلى عروقه حتى أصبحت كالجرثومة التي يصعب الفكاك منها فشعر بالخوف يسري في عظامه ثم حاول أن يحافظ على هدوئه لكنه رغب في الوقت نفسه لو أنه تضاءل وانكمش حتى يختفي تماماً ويتحول إلى لا شيء.

سمع الصوت نفسه يكرر: فريدي، هل معك أحد في الحجرة؟

انتبه على الفور وفكر بأنه لا يزال يحلم وحين ساورته الشكوك حاول أن يجرب صوته فقال وهو يحرك شفتيه بصوت غير مسموع: لا أحد معي.

قالت چاجوا: أتوسل إليك فأنا أريد الدخول يا فريدي، إنني چاجوا حبيبتك يا فريدي.

تأكد في تلك اللحظة أنها چاجوا التي يعرفها، چاجوا التي ينتابها العنف والجنون في لحظة ما لكنها سرعان ما تهدأ وتعلن توبتها وأسفها بعد قليل، فكر في الأمر ملياً وقال بصوت ظل يتردد صداه في أرجاء الحجرة: هل عدت للشجار معي أم لمؤازرتي أم إنك جئت لتقتليننني؟

- افتح أولاً يا فريدي، أرجوك أن تفتح أولاً فأنا واقفة أمام الباب والوقت متأخر.

فكر فريدي هذه المرة أنها جاءت لتقتله ولكن بماذا سيفيده الخوف؟، استطاع العثور على مقعد في الظلام ووضعه في مواجهة الباب ثم صعد فوقه وراح ينظر بإمعان إلى چاجوا، كانت تقف مستندة إلى الباب بمفردها وترتدي فستاناً أبيض من تلك الفساتين التي ترتديها النساء في المناسبات الرسمية، وكانت العباءة الداكنة ملقاة فوق كتفيها وفجأة شعر بالشفقة تجاهها.

بدأت بالبكاء بمجرد أن سمح لها بالدخول ولم يستطع أن يتحمل دموعها، جلس فوق سريره وحيداً ومرتبكاً وتركها بعض الوقت لتواصل بكاءها بينما كان يحدِق بثدييها اللذين لم يتوقفا عن الصعود والهبوط داخل قميصها الشفاف وينظر إلى عينيها المجهدتين المنتفختين وإلي شعرها المصفف بعناية والذي لا شك أنها قامت بتصفيفه على هذا النحو لإرضائه، كانت تطفح بالأنوثة والفتنة والحيوية أثناء ممارسة الحب لكنها كانت تنطفئ وتفقد سحرها عندما يتشاجران فأدرك - بطريقة ما - أن چاجوا تعيش من أجله .

-هل ستسامحني يا فريدي؟ إنني آسفة على كل شيء.

تثاءب وقال: ولكن أفعالك تحيرني يا چاجوا كما أن رأسك مليء بالأفكار التي لا أستطيع أن أفهمها وتتصرفين أحياناً كامرأة مجنونة، افترضي أن الشرطة قبضت عليك مرة أخري في قضية أخرى.

وضعت منديلاً فوق عينيها ثم قالت وهي تجفف دموعها: إنه الحب يا فريدي، إنني أفكرفي كل ذلك وهذا ما يؤلمني.

تذكر فريدي كل المتاعب التي واجهته في مكتب الجوازات فأصابه الغضب وقال: أنا لم أقطع رأسك بالفأس رغم كل ما أسمعه عن تصرفاتك في نادي تروبيكانا وفي الشارع.

كانت تقف أمامه ورغم احتياجه الشديد لها إلا أن غضبه ازداد اشتعالاً فقالت له: كل ما تسمعه مجرد حكايات، أخبرني بسرعة بما تسمعه.

- أسمع بأنك معتادة على السير في الشارع ليلاً حتى يأتي رجل أبيض لاصطحابك إلي غرفة نومه، لقد سمعت هذه الحكاية كثيراً لكنني لم أستطع في يوم ما أن أقطع رأسك بالفأس وأتخلص منك!.

نهضت وقالت: سأرحل الآن إذن فها أنت تكرر الكلام نفسه، يجب أن ننسى ذلك يا فريدي فلقد تحدثنا فيه من قبل ولا بد أن تعرف أنها مجرد أكاذيب، إن أهل لاجوس يدسون أنوفهم في كل شيء ويتدخلون فيما لا يعنيهم، انني راحلة وإذا كنت راغباً في عدم رؤيتي بعد الآن فهذا من حقك.

أمسك بيدها وقال: انتظري يا چاجوا.

-لا يا فريدي فأنت ما تزال تناقشني في الموضوع نفسه.

-ليس كذلك يا چاجوا ودعك من هذا الأمر، اجلسي الآن.

جلست فوق السرير ثم جلس مرتبكاً إلى جوارها وكان لا يزال غاضباً فلم يستطع ملاطفتها أو حتى النظر إليها كما أن كبرياءه واعتزازه بنفسه جعله عاجزاً عن التودد إليها.

أطفأت چاجوا النور وضمته بين ذراعيها وراحت تقبله وتقول: ماذا تنتظر يا فريدي؟، أنت شاب مفعم بالحيوية وأخشى أن أكون قد أفسدتك بالإفراط في تدليلك، سأزور مدينتك عندما تسنح لي الفرصة رغم أنك لا ترغب في اصطحابي إلى هناك لأنهم سيقولون بأنني امرأة عجوز ولن يوافق أبوك على الزواج مني، أنا أريد الذهاب لمعرفة مدينتك (باجانا) ورؤية أبيك وأمك فهل ستأخذني معك قبل رحيلك إلى إنجلترا؟

أجاب فريدي قائلاً: إذا كنت سأرحل إلى إنجلترا.

تذكر أن نانسي أخبرته أيضاً أنها تنوي الذهاب إلى باجانا ولا شك أن والديه سيندهشان حينئذ لاستقبال زيارتين متتاليتين من قبل امرأتين فاتنتين إحداهما تقترب من العشرين والأخرى في حوالي الخامسة والأربعين.

بدأت چاجوا بفك أزرار فستانها وقالت: وإذن فهل ستأخذني إلى باجانا؟

إنها امرأة جذابة وجميلة وعاشقة ومبهجة وتمتلك قدرات هائلة على إشباع الرغبات الجنسية، إنها امرأة مسعورة تبعث على الاهتياج الشديد فلم يستطع تجاهلها وبدأ غضبه في التلاشي شيئاً فشيئاً رغماً عنه ثم شعر بدفء لذيذ يزحف إلى عموده الفقري.

ألقت بملابسها فوق مسند المقعد واقتربت منه حتى ركعت إلى جواره وظلت تنظر إلى وجهه من خلال الضوء الخافت باحثة عن ابتسامة، وكانت رائحة

أنفاسها مثيرة وهي تقول: لم أنم ليلة واحدة منذ أن غادرت هذا المكان.

-نعم، لأنك دائماً تذهبين إلى نادي تروبيكانا.

-ليس بالضبط يا فريدي وإنما بسبب التفكير فيك والحلم بك ليل نهار.

كانت تتحسس جسده بأصابعها المتمرسة فشعر بالدفء والألفة واهتزت عروقه بنغمات عذبة من جراء صوتها الهامس المتردد والنابض بالحياة، ثم شعر بدفء فوق بشرة وجهه حين راحت تمرر أصابعها فوق خديه حتى أصبح مغموراً باللذة وفقد السيطرة على مشاعره وغرق في هاوية تلك المرأة الشهوانية المثيرة خاصة بعد أن اصطدم صدرها بوجهه وسارع بمص حلمة ثديها بشفتيه.

في الصباح شاهد الجيران چاجوا وهي تخرج من حجرة فريدي وتصعد إلى حجرتها التي بقيت مغلقة أثناء غيابها الطويل لكنهم لم يندهشوا ولم يسأل أي واحد منهم عن أي شيء، فقد كانت العلاقة بين فريدي وچاجوا تمثل بالنسبة لهم قانوناً خاصاً يفوق قدرتهم على الفهم.

# (٩)

كانت إحدى ليالي نادي تروبيكانا الفقيرة الخالية من الزبائن فشعرت چاجوا بالسأم من تلك المقاعد الشاغرة وراحت الفتيات الجالسات بصمت مثل كومة من النمل يتطلعن بشغف نحو الباب أملاً في دخول بعض الزبائن، وبات مؤكداً أن كثيرات منهن سيقضين الليلة وحدهن بدون رجل وسيمضين يوماً جائعاً بدون جنيه واحد في كيس النقود، وكانت الساعة تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل حين قررت چاجوا العودة إلى بيتها.

مضت في سيرها بين سيارات الأجرة الواقفة في صف الانتظار وكانت أعين الرجال المفعمة بالشهوة تلاحقها وتنظر بخبث إلى مؤخرتها الراقصة، تعجبتْ چاجوا من زحام المشاة والباعة ومن حركة المرور في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل وكان لزاماً عليها أن تمضي في طريقها فوق حافة الرصيف بين باعة الخبز وأمشاط الكبريت والسجائر والشاي والفول والكعك، فشعرت بأنها ليست فوق حافة الطريق وإنما فوق حافة عالم مختلف تماماً عن نادي تروبيكانا، إنها لاجوس الحقيقية المزدحمة والغارقة في الضوضاء تتحدث لغة ما بعد منتصف الليل. كانت چاجوا مشغولة بالأضواء الضعيفة الموضوعة فوق الطاولات الصغيرة أكثر من انشغالها بتلك الأضواء الساطعة الشبيهة بالقمر الصادرة من السيارات والشاحنات. أشارت المرأة ذات الأسنان البيضاء المتألقة وهي جالسة خلف الطاولات إلى چاجوا فأدركت أن بعض أولئك الباعة يعرفونها ثم سمعتْ دقات الطبول وهي تختلط بالضجيج والصخب ويتردد صداها في المكان لكنها لم تفكر في العودة إلى تروبيكانا لأنها لا تريد أن تشعر بمزيد من السأم، ولأن ما حدث في هذه الليلة لا يجب أن يتكرر، واصلت سيرها وهي متأكدة بأن الوضع في تروبيكانا لم يتغير منذ أن غادرتها وأنها مازالت خالية من الزبائن رغم أن دقات الطبول لم تكن سوى دقات لتدفئة الهواء

واصلت السير بارتباك وكانت حريصة على إظهار مفاتنها كما قالت لها النساء في النادي أن تفعل في حال عدم وجود زبائن، فلم يكن أمامها سوى أن تمشي في الطريق بدلال حتى يوقف الرجال سياراتهم بجوارها ويبدؤون بالتودد إليها، لكن هذه الليلة كانت هي المرة الثالثة التي تحاول فيها وتفشل، إنها الأيام الأخيرة من الشهر والناس لا تحصل على رواتبها قبل يوم السادس والعشرين، ولا يملك الرجال في لاجوس في ذلك الوقت من الشهر مزيداً من المال لإنفاقه، إنه الوقت الذي يلجأ فيه الرجال إلى الشراء بالأجل وتضطر

فيه النساء إلى ركوب عربات الكارو بدلاً من الحافلة، وهو الوقت الذي تخلو فيه الأسواق الكبيرة من الزبائن حيث يذهب الناس إلى المحلات الرخيصة لشراء الطعام المعلب المغشوش الذي انتهت صلاحيته أو قاربت على الانتهاء.

تعرف چاجوا كل ذلك لكنها لم تتوقف عن السير، وفجأة تذكرت فريدي الذي يرقد الآن فوق سريره غير أنها حاولت بسرعة أن تنساه.

توقفت إحدى السيارات وأطل منها وجه أبيض ظل يلاحق چاجوا بنظراته ويطلق نفير السيارة لجذب انتباهها، ثم بدأ واحد من الرجال داخل السيارة يلوح لها وينادي عليها لكنها لم تلتفت إليه وواصلت سيرها مما جعل سيارة الرجل الأبيض تتلكأ في الطريق فأعاقت المرور وراح نفير السيارات ينطلق بحدة أكثر وبلا انقطاع حتى امتلأ المكان بالصخب. ولأن الطريق لم يكن مزدوجاً وكانوا يقومون بأعمال الحفر في جزء منه فقد ازداد الأمر سوءاً، أما الجانب الآخر من الطريق فكان مكدساً بأكوام كبيرة من الأنابيب الضخمة، وعندئذ لم يكن أمام الرجل الأبيض من خيار سوى مواصلة السير حتى يجد مكاناً خالياً أو يظل على عناده ويستمر في عرقلة الطريق حتى يتمكن من محادثة چاجوا التي ابتسمت بينها وبين نفسها من محاولاته اليائسة ورغبته في التودد إليها.

سمعته چاجوا وهو يهتف وسط الضجيج قائلاً لها: هل أنت ذاهبة في طريقي؟

أطلَ الرجل الأبيض برأسه خارج نافذة السيارة فبدا شعره أكثر سواداً من السيارة الفاخرة السوداء، وحين هزتْ چاجوا رأسها قال: تعالي معي إلى تروبيكانا، تعالي لنحتسي بعض الشراب.

كان باستطاعتها الذهاب معه وبذلك تكون قد حققت نصراً كبيراً أمام الفتيات الأخريات خاصة في ليلة خالية من الزبائن كهذه الليلة، لكنها قالت بعد أن شعرت بالرضا والابتهاج : لا، فأنا عائدة للتو من هناك، ستجد في طريقك كثيراً من النساء.

أدار محرك السيارة بعصبية ومضى في سيره ببطء ثم ظهرت فتاة أخرى كانت تقف في الظلام وظلت تنظر بدهشة إلى چاجوا، كانت فتاة صغيرة وجميلة ولم تكن چاجوا قد شاهدتها من قبل.

قالت الفتاة: ماذا قال لك الرجل الأبيض؟ ولماذا لم تذهبي معه؟ إن نظرة سريعة إلى سيارته تؤكد أنه رجل غني ولا بد أنه كان سيغرقك بالمال.

- دعيني وشأني فأنا متعبة.

أم إنك تخشين من غيرة صديقك؟ - إن من يجد المال في لاجوس لا يشعر بالتعب

تساءلت چاجوا بدهشة: صديق؟ وأي صديق تعنيه هذه الفتاة؟

نظرتْ إلى وجه الفتاة فعرفت أنها جميلة جداً وأنها تعمل الآن مثلها رغم صغر سنها وقالت: أنا لم أشاهدك من قبل أبداً، هل أنت معتادة على الذهاب إلى تروبيكانا؟

- أحياناً، اسمي روزا ولقد رأيتك كثيراً في تروبيكانا، ألست أنت چاجوا نانا؟

- نعم يا عزيزتي روزا، إنني چاجوا نانا ولقد تعلمت أن أكون حذرة من أولئك الرجال الذين يمتلكون السيارات.

هبَت الرياح فتطلعتْ چاجوا إلى السماء وأضافت: أتمنى ألا يتساقط المطر لأنني أريد العودة إلى بيتي سيراً على الأقدام فما زال الليل في أوله.

نظرت روزا إلى السماء بعين متفحصة وقالت: لا، لن يتساقط المطر يا چاجوا لكنني متأكدة بأنك لم تذهبي مع ذلك الرجل لأنك امرأة غنية ولو حدث الشيء نفسه معي فإنني....

توقفتْ سيارة أخرى إلى جوارهما أثناء حديثهما فاخترقت أضواء السيارة المتلألئة أعينهما، ثم أشار الرجل القابض على عجلة القيادة إلى چاجوا التي اتجهت ناحيته وقد ملأها شعور بالابتهاج والغرور وهي تقول لروزا: معذرة يا روزا، سأذهب لمعرفة ماذا يريدان.

اعتقدتْ چاجوا في البداية أنها شاهدت رجلين لكنها حين اقتربت تأكدتْ أنها مجرد ظلال للرجل نفسه فمالت بجسدها وأطلّتْ برأسها داخل السيارة وقالت: مساء الخير.

كان الرجل يرتدي نظارة سوداء وتفوح منه رائحة عطر مثير، فأدركت چاجوا على الفور أنه من أولئك النيجيريين ذوي النفوذ، كانت أضواء السيارات

العابرة تتلألأ فوق حاجبيه السوداوين وفوق أنفه الحاد.

قال الرجل: إنني أراك دائماً أثناء عودتي إلى البيت وأنت واقفة هنا، أنا أعمل في المطار.

ضحكت چاجوا وقالت: أقف هنا لأنني أنتظر شخصاً ما.

قال مستنكراً: كل ليلة؟ من تنتظرين؟ أتمنى أن أكون أنا هو الشخص الذي تنتظرينه، حسناً، هيا اصعدي إلى السيارة ودعينا نذهب من هنا.

صمتتْ بعض الوقت شاهدت خلاله سيارة أخرى تقف على بعد مسافة قريبة سرعان ما جرت روزا نحوها.

سألها: أين تعيشين؟

أجابت: إيكويي.

فتح باب السيارة وقال: اصعدي ولنذهب إلى هناك.

راحتْ تلتقط أنفاسها وهي تفكر في إيكويي حيث الرجال البيض وذوو الشأن من الأفارقة ينعمون بخدمات الحياة الراقية، إيكويي حيث الشوارع المعبدة المستقيمة بلا مطبات وحيث يلعبون الجولف فوق الرمال المكشوفة وحيث قسم الشرطة الخاص بهم ومحطة الكهرباء وقوارب الشاطئ البخارية، إنه حقاً مكان رومانسي ولا بد أن هذا الرجل من ذوي الشأن خاصة وأن الرجل الإنجليزي الذي اعتادت على رؤيته يعيش هناك في شقة على شاطيء البحر.

هبَت رياح معتدلة محملة برائحة سامة ثم قالت چاجوا: لديَ مكاني الخاص وإذا أردت أن تراني فيجب أن تأتي إلى مكاني فأنا لا أنام أبداً في بيت رجل آخر.

استطاعت أن تدرك بصعوبة سبب ترددها في الصعود إلى سيارة الرجل لكنه يمتلك بيتاً هناك أو شقة فاخرة مليئة بالأشياء الجديدة وغير المألوفة وقد يكون شاباً قليل الخبرة فتستطيع بسهولة أن تسيطر عليه بمفاتنها وأنوثتها حتى يخرج كل نقوده من محفظته، إن سيارته الجديدة تؤكد أنه ضحية سهلة، وإذا كرر دعوته فسوف تذهب معه إلى شقته ولكنها لن تبقى معه حتى الصباح لأنها قد تكتشف أنه رجل متزوج وأن زوجته ذهبت لقضاء

إجازتها في مكان ما وعندئذ سترى صورة الزفاف مع زوجته ومن المحتمل أن ترتدي قميص نوم زوجته وتستحم في الحمام نفسه وستجد نفسها محاطة بكل التفاصيل الزوجية، وأثناء تلك الفترة سيكون التظاهر بالود شيئاً جميلاً وعندما يأتي الصباح سيدفع لها الرجل حسابها بطريقة مهذبة أو بطريقة مهينة تبين سلوكه ومدى ذكائه لتعود مرة أخرى من خلال الشوارع الباردة إلى ما كانت عليه. وعلى أية حال فإن أحداً لا يهتم كما أن الزوجات الحقيقيات لسن أفضل منها حالاً فهي قادرة على التظاهر بالعيش مع كل أولئك الرجال المختلفين كأنهم أزواج لبعض الوقت. اتسختْ تنورتها من الرمال القادمة مع الرياح فكان من الأجدر أن تذهب مع ذلك الرجل رغم جسده النحيل فهي تعرف أن رجال نيجيريا من أصحاب السيارات وذوي الشأن دائماً ما يتسمون بالجسد النحيل وسيكون ذلك أفضل من التسكع دون أن تجني شيئاً وتمضي الليلة هباءً.

فكرتْ في الفتيات الكثيرات اللاتي يستعرضن مفاتنهن في تروبيكانا الآن انتظاراً لعروض الرجال وفي كيفية انتظارهن الطويل الذي ينتهي غالباً بالإسراع إلى مخادعهن الفارغة الباردة تجنباً لتساقط الأمطار الغزيرة، وحين فتح الرجل باب سيارته عن آخره لم تتردد چاجوا في الصعود بسرعة، ومع دوران محرك السيارة استعداداً للانطلاق ظلتْ تنظر إلى الرجل الشاب الذي ابتسم وقال: انهض يا فريدي، أنت مدين لي بعشرة شلنات، لقد كسبت الرهان، لقد أخبرتك أنني رأيتها من قبل!

اقتربت چاجوا منه وقالت: ماذا تقول؟

- انهض الآن يا فريدي فأنت مدين لي بعشرة شلنات.

عرفت چاجوا حقيقة ما يجري وراحت تتلفت حولها ثم سمعت صوت فريدي قادماً من المقعد الخلفي قائلاً: انتظر، سأعطيك نقودك.

شاهدت چاجوا رأس فريدي وهو يرتفع عن المقعد شيئاً فشيئاً وكأنه مشدود بحبل فاستطرد الرجل الشاب قائلاً: قلت لك بأنني أعرفها وأعرف طريقتها في الخداع لكنك لم تصدقني أبداً.

قال فريدي: أنت على صواب، يا إلهي، نعم، لقد أخبرتني والآن يجب أن أشق رأسها بالفأس.

تصببتْ چاجوا بالعرق وشعرت بقشعريرة باردة تسري في جسدها ولم تستطع النظر للخلف كما فقدت القدرة على التركيز حتى اختلط وجه الشاب

الجالس إلى جوارها مع كل شيء داخل السيارة ومع أضواء الشوارع وتشقق رأسها ولكن لماذا يعمل فريدي على إذلالها هكذا؟ إنه الرجل الوحيد الذي لا يجب أن يراها في مثل ذلك الوضع المخجل، لا بد أنهم تحدثوا إليه كثيراً وأجبروه على القيام بمراقبتها فالناس في لاجوس لا يتوقفون عن التدخل في شؤون الآخرين.

توقفت السيارة لكن دوائر الصور المختلطة كانت ما تزال تسبح أمام عينيها حتى إنها لم تدرك أن المكان الذي توقفت أمامه السيارة ليس هو إيكويي وإنما هو المكان الذي تعيش فيه في لاجوس، نزلتْ من السيارة وشاهدت فريدي وهو يهبط أيضاً من السيارة ويقدم الشكر للسائق الشاب ثم تبعته إلى داخل الحجرة حيث جلس فوق السريرلكنها كانت خائفة بشدة فلم تستطع الجلوس إلى جواره، أمسك برأسه بين يديه وراح يدلك عينيه وخديه بالطريقة نفسها التي يفعلها دائماً حين يكون غاضباً وقال: يجب أن تعرفي يا چاجوا أنني لم أعد أريدك.

ظلتْ صامتة فاستطرد فريدي: أنت لم تقولي لي كلمة واحدة حقيقية في أي يوم من الأيام ولم أسمع منك سوى الأكاذيب طوال الوقت كما قلت لي بأنك تحبينني في الوقت الذي تذهبين فيه لمضاجعة أي رجل يصادفك من أجل المال، لقد قلت بأنك لا تستطيعين الإنجاب لكنك تواصلين إفساد دمك بأفعالك الحقيرة كما عبرت عن رغبتك في أن تكوني زوجتي في الوقت نفسه الذي تهرعين فيه خلف أي رجل يملك سيارة أو نقوداً، انني فعلاً لا أستطيع أن أفهم سلوكك هذا وليس غريباً ما يقولونه بأن شاباً مثلي قد سقط مغشياً عليه في بئر ذلك الجمال والسحر الذي تتمتعين به، إنهم يقولون أيضاً بأنك تستخدمين أعمالاً سحرية معي لأظل إلى الأبد أسيراً لك ولأنوثتك الطاغية وربما ذلك ما يجعلني عاجزاً عن حب أي امرأة أخرى سواك وهذا ما يجعلك تعامليننى كولد صغير لا يفهم شيئاً ولا يملك إحساساً.

أبصرتْ چاجوا دموعاً حقيقية تتدفق من عينيه وهي تعرف أن تدفق مثل تلك الدموع بالنسبة لرجل يعني وجود جراح عميقة لكنها لم تقترب منه لأنها وفي لحظة خاطفة أدركتْ بأنها فعلاً امرأة غير طاهرة وغير شريفة ولقد أصبح فريدي بالنسبة لها قوياً وقادراً على اتخاذ القرار.

قال لها: ماذا تريدين من الدنيا يا چاجوا؟ أنت امرأة غيورة وتحرصين على الاحتفاظ بي لكن أفعالك غير اللائقة لا تمكنك من ذلك كما أنك لا تستطيعين مقاومة النقود ولا تترددين في اللحاق بأي رجل يلوح لك بالمال، وحتى إذا كان ذلك الرجل يحمل مرضاً معدياً في جسده فإنك لا تبالين طالما أنه يملك

النقود، لقد أصبح الذهاب إلى تروبيكانا كل ليلة أمراً ضرورياً بالنسبة لك كما أنك أصبحت مدمنة على ممارسة الحب مع أي رجل كل ليلة لدرجة أنك تشعرين بالسأم في اليوم الذي لا تلتقين فيه برجل مختلف، وإذا كان هذا هو نوع الحياة التي ترغبين فيها فلماذا إذن تريدينني؟

ظل فريدي يتحدث بلا انقطاع ولم يكن بوسع چاجوا إلا الاستسلام والصمت في مواجهة كلامه القاسي وسخريته وأحكامه القاسية بالإدانة.

لم تستطع مغادرته حتى ساعات الصباح الأولى وعندما حاولت أن ترقد بجواره فوق السرير سارع بالنزول وفرش لنفسه حصيرة فوق الأرض وقال: لا تقتربي مني يا چاجوا فأنا أشم رائحة رجل آخر في جسدك.

شعرتْ بالخوف خاصة وأن فريدي لم يستطع من قبل أبداً أن يرفض مداعبتها ومضاجعتها، ثم نهضتْ من فوق السرير ونظرتْ إلى أطراف جسده الطويلة المشدودة فوق الأرض وقالت: فريدي، أتوسل إليك...

كان متصلباً في رقدته فقاطعها قائلاً: لا تقتربي مني.

شعرتْ بالرهبة والفزع من كلماته لكنها ألقتْ بنفسها فوق جسده وقالت: اقتلني ومن الأجدر أن نموت معاً الآن .

كانت تعني كل كلمة قالتها في تلك اللحظة ولم تكن تتمنى شيئاً أفضل من أن يقتلها أو يطعنها، وتمنت لو أنه استخدم العنف لإزالة العار والخجل الذي تشعر به الآن، وكانت تعبيرات وجه فريدي توحي بالأفكار نفسها.

شعرت بذلك النوع من الألم الجميل بعد أن هاجمها فريدي وكان الوقت يقترب من الثالثة صباحاً حين اندفع ناحيتها وبدأ بتمزيق ملابسها ثم دفعها نحو الحائط ففتحت فمها عن آخره وصرخت طلباً للمساعدة وكان صوتها يفوق في حدته صوت صفارة القطار لكن أحداً لم يأت لنجدتها، وضع فريدي أظافره فوق قصبتها الهوائية كالمخالب محاولاً تمزيقها بينما راحت چاجوا تدق بيديها فوق الباب حتى سمعت أصواتاً مذعورة خلف الباب فصرخت طالبة النجدة غير أن صرختها كانت خافتة ولم تتجاوز أرجاء الحجرة، وفي تلك الأثناء كان فريدي يواصل ضرب رأسها فوق الباب الذي تساقط وانهار وسرعان ما امتلأت الحجرة بالغرباء، كانت چاجوا تئن من الألم وهي عارية تماماً فأمسكت بملابسها الممزقة وراحت تداري نفسها.

تسللت چاجوا من بين الناس الذين اقتحموا الحجرة وصعدت السلالم متوجهة إلى غرفتها وقد سمعت فريدي وهو يطلب من الغرباء مغادرة حجرته وبعد أن أغلقت باب حجرتها خلفها سمعت كثيراً من اللغو والكلام غير المفهوم، وما هي إلا لحظات قليلة حتى لم تعد تسمع شيئاً فعرفت أنهم عادوا لمواصلة نومهم، جلست فوق ذراع المقعد وهي تحرك رأسها من جانب إلى آخر وراحت تفكر في الجانب المرير من حياتها، إنه فريدي الشاب ذو الخمسة والعشرين عاماً الذي يريد أن ينظم حياة امرأة في الخامسة والأربعين ويرغب في تأديبها ومعاقبتها وذلك فقط لأنه مارس معها الحب وشاركها السرير نفسه، إنها تستطيع الآن الذهاب إلى قسم الشرطة للإبلاغ عنه وهي تعرف أنهم سيتهمونه بالهجوم عليها، كما أنها تستطيع إخبارهم بأنه كان يحاول اغتصابها لكنها حركت رأسها من جانب إلى آخر ثم بكت وتدفقتِ الدموع فوق خديها ووجدتْ نفسها غير قادرة على فعل ذلك لأنها ما زالت تحبه، إنه محق في غيرته وله مطلق الحرية في ضربها، إنه اختيارها ويجب أن تتوقع حدوث أي شيء وليس فقط الجانب الجميل من العلاقة.

في الساعات المبكرة من الصباح وقبل أن تستسلم للنوم سمعتْ سيارة تقف بالخارج، خرج أحد الرجال من السيارة وراح يطرق باب حجرتها لكنها سمعت وقع أقدامه بعد لحظة قصيرة وهو يهبط السلالم.

استيقظت بعد نوم عميق فلم تسمع أي صوت يتردد في طول البيت وعرضه، تثاءبتْ ونهضتْ من فوق السرير وبدا لها الأمس بعيداً جداً، كانت حنجرتها مغلقة كالأنبوبة المسدودة وشعرت بعطش شديد لكنها لم تستطع أن تشرب، وضعتْ أصابع قدمها داخل الشبشب ومن خلال المرآة المجاورة للسرير استطاعت رؤية وجهها وشفتيها المتورمتين وعينيها السوداويين. لقد وضعت المرآة في ذلك المكان من الحجرة لتنعم برؤية أقدامها وأقدام الرجال الذين يمارسون معها الحب، لكنها في هذه اللحظة لم تكن قادرة على النظر إليها فنهضت واستدارت إلى اليسار وراحت تربِت فوق ردفيها ثم أدارت رأسها ناحية اليمين وتفحصتْ انحناءات جسدها المثير فعرفت عندئذ أنها تمتلك جسداً فاتناً كثيراً تشعر بمتعة بالغة أثناء تحسسه والتدقيق في مفاتنه، ثدياها المثيران يعدان مصدراً لارتواء الإنسانية كلها، وكذلك كتفاها الساحران وبشرتها البرتقالية بلون زيت الزيتون والتي تتسم بها أجمل نساء غرب نيجيريا غير أن مفاصلها في ذلك الصباح كانت متيبسة وكان مزاجها متوتراً.

أبصرت ضوءاً متلألئاً يخترق النافذة فأدركت أن لاجوس قد استيقظت منذ وقت طويل وأن الرجال في أعمالهم الآن ولا بد أن فريدي أيضاً في المدرسة

ولكن ما الذي حدث له في الليلة الماضية؟ آوه، فريدي، لا بد أن تجد طريقة ما لإرضائه بعد عودته من المدرسة كأن تجهز له مثلاً وجبة شهية، ويجب أن ترتدي ثياباً مثيرة وتستخدم كل مفاتنها وخبرتها للعمل على إثارته وإجباره على النوم معها وبعد ذلك يمكنها أن تطلب منه المغفرة.

هبطتْ السلالم وكان الهواء مثقلاً بالأدخنة ورائحة الديزل التي تخلفها الحافلات وثمة أصوات مزعجة كانت تنبعث من الأجراس المستديرة، وكانت القطارات تنتقل من خط إلى آخر فوق خطوط السكك الحديدية، والباعة الجائلون في الشوارع ينادون على بضائعهم ويرتجلون الأغاني لتسويق تلك البضائع البسيطة، وكان باب فريدي مفتوحاً في ذلك الوقت غير أنها لم تنزعج لأنه كثيراً ما يترك الباب مفتوحاً عندما يذهب إلى المدرسة.

عندما اقتربت من الباب لم تجد أحداً بالداخل وكانت الحجرة خالية من الأثاث وليس ثمة علامة واحدة تثبت أن أحداً كان يقيم فيها، نظرت حواليها بحثاً عن خادم فريدي وهي تنادي قائلة: سام، صامويل.

لم يرد عليها أحد فراحت تنادي على خادمها: مايك، ميشيل.

جاء ميشيل على الفور فسألته: أين فريدي وسام؟

- لقد رحلا يا مدام.

- ألم يخبرك بالمكان الذي ذهب إليه؟

- لا، عندما عاد في الصباح سارع باستدعاء أحد سيارات الأجرة ووضع فيه كل أغراضه ومضى بينما كنت أنت نائمة ولم أشأ أن أزعجك لأنك حتماً ستعرفين لكنني سمعته يقول بأنه ذاهب لمقابلة أخيه.

استندت چاجوا على الحائط وقالت: وإذن فقد رحل فريدي وتركني هكذا، أوه يا إلهي.

ظلَت تطوف في أركان حجرة فريدي وتبكي دون أن تجد دليلاً واحداً تستطيع من خلاله أن تفهم شيئاً.

حاولتْ أن تتعقبه في لاجوس لكنها لم تفلح، وحين أصابها اليأس ذهبت إلى المدرسة التي يعمل بها فقال لها المديرالمسؤول إنه لم يعد يعمل هنا بعد أن قدَم استقالته منذ أيام قليلة، سمعتْ چاجوا شائعة تقول بأن فريدي بدأ

بالعمل في مدرسة ليلية في إحدى ضواحي لاجوس فشعرت بالإخفاق وعرفت أن فريدي - رغم هدوئه ورقته - كان يخطط للرحيل منذ وقت طويل.

سمعتْ اسمه يتردد ذات يوم في تروبيكانا، قالوا بأن اسمه قد ظهر ضمن ثلاثمائة اسم في صحيفة النبأ اليومية وأنه حصل على المنحة الحكومية وأن تاريخ سفره مدون إلى جوار اسمه، شعرتْ چاجوا عندئذ بأنه قد غرر بها وأنها ضحية لخيانة لم يكن من المتوقع التنبؤ بها، ثم قررت في تلك اللحظة أنها ستقتله إذا ما شاهدته وجهاً لوجه.

طلبتْ كأساً مزدوجاً من الويسكي وبدأت مرة أخرى باحتساء الخمر بكميات كبيرة، وفي تلك اللحظة بالتحديد كانت راغبة بشراب أكبر كمية من الخمر المعتق القوي، أشعلتْ سيجارة فاحترق التبغ من شدة السحب وتصاعد الدخان من فتحتي أنفها مثلما يتصاعد العادم من سيارة قديمة، جاء النادل حاملاً الويسكي فوق الصينية ووضعه أمامها بلطف مصطنع وقال: تفضلي يا مدام.

كانت تعرف أنه منافق وأنه فقط يطمع في نقودها فالتقطت الباقي الذي وضعه بعناية فوق الصينية وتركت له شلناً ثم سارعت باحتساء الويسكي في جرعة واحدة وطلبت كأساً آخر وهي تحدث نفسها وتقول بأن الحياة قصيرة وأن لاجوس مليئة بالرجال وحتى إذا رحل فريدي إلى إنجلترا فلا بد أنه سيعود إلى وطنه نيجيريا في نهاية الأمر وإلى لاجوس، وعندئذ سوف تقابله وجهاً لوجه ولن يستطيع مقاومة تجاربه الروحية الأولى ببساطة، إن الشباب يخدعون أنفسهم حين يتوهمون بأنهم قادرون على الفكاك من أسْر تجاربهم الأولي، لقد عاشت چاجوا عمراً يعادل ضعف العمر الذي عاشه فريدي وهي تدرك أن الأمر ليس يسيراً كما يتخيل هو.

لم تستطع أبداً التفكير فيه دون إحساس بالمرارة التي أدت إلى إصابتها بالاكتئاب، وكان عليها أن تبتعد عن أجواء تروبيكانا، وبعد تفكير طويل لم تجد مكاناً أفضل من الغابة فلملمتْ حقيبتها وتسللت إلى الخارج.

ما إن وصلت إلى الطريق المتعرج حتى ابتهلت إلى الله أن يعبر رجل أبيض بسيارته وينادي عليها حيث لن تتردد في الدخول بسرعة إلى داخل أول سيارة تقف بجوارها، مضت في بسيرها بطريقة راقصة وهي تهز فخذيها وتؤرجح ثدييها وكلما سمعت صوت محرك أي سيارة أو شاهدت أشعة من الضوء تقترب منها كانت تتباطأ في مشيتها، وحين اقترب منها أحد الرجال

وأخرج وجهه من السيارة وطلب منها الركوب ابتسمت وصرخت فيه قائلة: فلتمض في طريقك.

شعرتْ بالتحرر قليلاً لكن مزاجها ظل معتلاً ولم تستطع التخلص من حالة الاكتئاب التي تلازمها، وراحتْ تفكر في فريدي وهو جالس في المطار استعداداً للرحيل إلى إنجلترا وفيما يمكن أن يحدث إذا ذهبت إلى المطار من دون أن يدعوها أحد، وإذا وجدت نانسي في المطار غارقة في الدموع بصحبة أمها وصديقه الذي خطط معه للإيقاع بها.

اقتربت منها سيارة أخرى بعد أن قررت الذهاب إلى المطار لتفسد عليهم كل ما يخططون له، ثم ابتسمت وهي تعبر الطريق وصرخت: اتركني وشأني.

مضت السيارة بسرعة لتبتعد عن چاجوا التي اختفت بين الأشجار.

# (١٠)

وقفت چاجوا أمام المحطة أكثر من نصف ساعة انتظاراً للحافلة التي ستقلها للعودة إلى بيتها، ثم شاهدت رجلاً وحيداً يصدر شخيراً ويلوح بيديه من داخل سيارته البونتياك ، نظرتْ إليه چاجوا فعرفت أنه من المترددين على تروبيكانا وأنه أحد أقطاب الحزب، كان فانوس السيارة الخلفي يتلألأ حين قالت له: يجب أن تمضي في طريقك ودعني وشأني.

فتح لها باب السيارة وقال: أنا ذاهب إلى المطار ولا أعرف إذا ما كان بمقدورك المجيء معي أم لا، قد لا تعرفينني لكنني أعرفك، أنت چاجوا وأنا تايو غير أنهم ينادونني بالعم تايو.

ضحك بصوت عال وأضاف: هيا اصعدي إلى داخل السيارة.

فتحت الباب وجلست إلى جواره وكان مقعد السيارة منخفضاً ومريحاً فقالت: شكراً لك.

كانت المسافة المتبقية للوصول إلى المطار تزيد قليلاً على العشرين ميلاً وكان الوقت متأخراً فانطلق بالسيارة مسرعاً وفي الطريق انطلقت من الجبال المجاورة عاصفة من الدخان الكثيف وتسللت إليهما.

عرفت چاجوا أن تلك العاصفة ستعمل على تعطيل الحركة الملاحية في المطار وستصبغ وجوه العاملين في محطات الوقود باللون الأسود، أوقف العم تايو سيارته البونتياك تحت ظلال أشجار المانجو حيث كانت أكثر من ثلاثمائة سيارة أخرى تقف في صفوف، سيارات صغيرة ذات مقعدين فقط وسيارات الليموزين ذات المقاعد الثمانية التي يستخدمها رجال الحزب من أمثال العم تايو.

كانت چاجوا ترتدي تنورة ضيقة وجميلة، وعندما خرجت من السيارة راحت مجموعة من الشباب العاطلين تعاكسها وتصفر لها كما صاح بعضهم منادياً باسمها لكنها تجاهلتهم جميعاً وتظاهرت بعدم الاهتمام رغم شعورها الداخلي بالسرور، فهي تدري تماماً أن قميصها القطني الفضفاض ليس سوى قميص عادي غير أنه دائماً ما يظهر ما فوق ثدييها ويكشف عن ذراعيها وكتفيها كما أنها متأكدة بأنها تمتلك ثديين نصف عاريين مفعمين بالإثارة، انها تعرف جيداً الأجزاء المثيرة في جسدها.

كانت تنورتها مفتوحة عند الجانب الأيسر من فخذها فكان من اليسير ظهور جزء كبير من ساقها أثناء السير، وكانت حريصة على تحريك شعرها برقة إلى الوراء وربطه فوق مؤخرة عنقها خاصة وأن تصفيفه في محل الكوافير قد كلفها ثلاثين شلناً.

أغلق العم تايو سيارته ولحق بها فراحت تهز فخذيها بطريقة تتناسب مع امرأة تمشي جنباً إلى جنب مع رجل يعمل سكرتيراً في الحزب فأثارت شهية الشباب الذين شعروا بالبهجة وراحوا يهتفون باسمها بصوت أعلى من المرة الأولى، أشار لهم العم تايو بالابتعاد وهو يقول شيئاً ما بصوت خفيض فعرفت چاجوا أنه شعر بالزهو ولم تعد تفكر بقدرتها على تحريك فخذيها بحرية ويسر ولا بكعب حذائها العالي أو تنورتها الضيقة التي تظهر مفاتنها لأنها حتى حين ترتدي ثياباً عادية غير مثيرة فإن الرجال يشعرون بوهج الأنوثة المنبعثة منها كلما مرت أمامهم.

لم يكن الوقت بالنسبة لها مناسباً لاصطياد الرجال، فقد كان فريدي في طريقه للرحيل إلى المملكة المتحدة والمطار يعج بالحركة، اخترق أزيز الطائرة أذنيها وسمعت كثيراً من كلمات الوداع ومضت في سيرها بجوار العم تايو نحو المسافرين وكانوا يعلنون عن الأسماء طوال الوقت لكنها لم تسمع اسم فريدي.

شاهدته بعد ذلك وكان يرتدي بذلة من الصوف الإنجليزي بدا من خلالها إنجليزياً، ثم تذكرت بأنهم قاموا بتحذيرها في تروبيكانا من مخاطرة السماح له بالذهاب إلى إنجلترا لأنه عندئذ سوف ينساها ولن يتردد فور وصوله إلى هناك في مغازلة الفتيات البيض والعودة مع إحداهن إلى بيته.

سألوها بعد ذلك قائلين: وإذن ماذا سوف تفعلين يا چاجوا عندما يعود فريدي وبصحبته امرأة بيضاء؟

وقال أحدهم: ماذا ستفعلين عندئذ؟ أعتقد بأنك تبددين نقودك فيما لا طائل منه خاصة وأنك تستطيعين استثمار هذه النقود في أعمال تجارية.

لم تكن متأكدة من أن فريدي في تلك اللحظة كان راغباً في تبادل الحديث معها بعد ما حدث بينهما من شجار خاصة وأن رحلته على وشك الإقلاع، لكنها اتجهت ناحيته حيث كان واقفاً وهو يحمل المعطف فوق يده وقالت له: هل يمكنني التحدث معك يا فريدي؟

اصطحبها إلى جانب الردهة بينما مضي تايو وأصدقاؤه نحو مكان الشحن فاستطردتْ چاجوا قائلة: لماذا تتجه ببصرك بعيداً عني؟ هل لأنك ذاهب في منحة دراسية؟

-من قال لك ذلك؟

-سمعت أنك حصلت على المنحة و...

قاطعها وقد سطعتْ عيناه بالضوء وقال: هراء! هكذا هم أهل لاجوس.

ثم حدثها عن معاناته في استرداد جواز سفره وعن كثرة تردده على مكتب الهجرة وشرح لها كيف أن والده استطاع أن يرسل له مبلغاً متواضعاً من المال يكفي بالكاد تكاليف السفر والعناية بنفسه لمدة لا تتجاوز بضعة أسابيع رغم خلافه مع مشيخة القبيلة ورغم ظروفه الصعبة، ثم أخبرها بأنه لن يذهب إلى إنجلترا ليعيش حياة النبلاء ولكنه يعرف أنه سيعاني من أجل تحقيق أهدافه حتى يصبح رجلاً يمكن الاعتماد عليه.

لم يكن الوقت كافياً لسؤاله عن الطريقة التي حصل بها أخيراً على جواز سفره وعن كل النقود التي اقترضها منها حيث لم تكن تلك اللحظة بعينها مناسبة لمثل تلك الأسئلة.

ظهر العم تايو متألقاً بطربوشه المخملي الناعم وهو يلعب بمفاتيح سيارته البونتياك فابتسم له فريدي وبادله العم تايو الابتسامة نفسها وقال: الطقس مناسب للطيران.

- نعم، طقس جميل بالفعل، ليس حاراً بشدة وليس بارداً بما يكفي ويمكن القول بأنه معتدل مما يجعل حركة الملاحة آمنة، شيء جميل أن تعبر الصحاري في الليل.

-كم من الوقت ستقضيه هناك؟

-حوالي عامين فأنا ذاهب لدراسة القانون كما أخبرتك چاجوا على ما أعتقد.

-تلألأت عينا العم تايو ونظر إلى چاجوا وهو يضحك ويقول: وهل سترحل تاركاً وراءك هذه السيدة الجميلة؟

قاطعته چاجوا وقالت: لن يتركني وراءه يا عم تايو فأنت والآخرون ستعملون على حمايتي ورعايتي، أليس كذلك؟ وهل توافقني يا فريدي؟

ضحك العم تايو ضحكة مجلجلة وقال لها : كيف تتوقعين أن يوافقك؟ وهل تتوقعين بأنني يمكن أن أوافق لو كنت مكانه؟

ثم استدار ناحية فريدي وأضاف قائلاً: وعلي أية حال يا سيد فريدي فأنا لست الشخص الذي يمكن أن تخاف منه.

وضع تايو يديه فوق جانبيه مرة أخرى واستطرد : إن زوجاتي الثلاث سوف يعتنين بي وبصديقتك چاجوا.

قالت چاجوا: أعرف أن فريدي يتمتع بعقل راجح كما أنه شاب ذكي يستطيع أن يستوعب دروسه في وقت قصير وهكذا فإنه سيعود بسرعة.

-تمنياتي لك بحظ موفق أيها الشاب.

أضافت چاجوا: إذا سمحت له الفتيات الشقراوات.

تذكرتْ نانسي فسألته على الفور: أين نانسي؟ هل عادتْ بعد الانتهاء من مراسم التوديع.

قبل أن يجيب فريدي سمع صوتاً ضعيفاً عبر الميكروفون يعلن قائلاً: على المسافرين على الرحلة رقم 23416B التابعة للخطوط الجوية النيجيرية ضرورة حمل حقائب اليد الصغيرة والتوجه إلى الطائرة.

نظرتْ چاجوا بإمعان في وجه فريدي المتجهم فأدركت بأنه لم يغفر لها بعد ثم قالت: فريدي، لا وقت لدينا الآن لنتشاجر، سامحني يا فريدي، أتوسل إليك أن تغفر لي كل شيء فأنت ذاهب في رحلة طويلة ومن الأفضل أن تذهب بروح صافية وسوف يرعاك الرب وأنا أتمني لك كل شيء طيب، سوف تعود سالماً وتسعد بلقائنا جميعاً في لاجوس.

تنهدَ فريدي بحسرة واشتياق فشعرتْ بألم عميق ولمحتْ جزءاً متجعداً فوق أحد جوانب وجهه ثم شاهدتْ أسنانه المتلألئة وبدا لها كرجل تعرض لعاصفة قوية، لقد أحبت شكل فريدي الجميل ودائماً ما تستعر شهوتها ويتحرك شيء ما داخل رحمها كلما نظرتْ إلى وجهه، لقد تمنت كثيراً أن تنجب منه أطفالاً وقد حاولا معاً لمدة ثمانية عشر شهراً لكنهما فشلا، وبخها فريدي كثيراً

وانتقد انحرافاتها مع الرجال الذين تذهب معهم رغم اضطرارها لذلك لأنها تعلم أن تلك هي الوسيلة الوحيدة لتظل على قيد الحياة خاصة وأن فريدي ليس سوى مدرس وأن راتبه لا يكفي لشراء فستان واحد جميل، هي تعرف بأنه لا يملك نقوداً وأنه يعيش في حجرة واحدة مع خادمه سام فكيف إذن تستطيع أن تحتفظ بنفسها له هو فقط؟ ذلك ما لا يمكن تحقيقه في لاجوس، لقد حاولت أن تكون حذرة وحكيمة لكنه لم يتركها وشأنها ولم يستطع احتمال الصدمة.

تناولت ُ معطفه وضمته إلى صدرها لكنه قطَب حاجبيه بشدة مرة أخرى معلناً عن عدم رغبته في الاقتراب منها فبادرته بالقول : عندما تصل إلى إنجلترا يا فريدي حاول جاهداً أن...

-سأحاول يا چاجوا فأنا لست ذاهباً لتضييع الوقت أو للمزاح، انها أرض العلم والثقافة وسأرى إذا ما كان باستطاعتي عمل شيء ما.

-فلتعمل على اجتياز كل الاختبارات بسرعة لتعود لنا محامياً وعندئذ نستطيع الاستمتاع بحياتنا يا فريدي وتذكر بأنني تقدمت في العمر.

حبس أنفاسه وقال: يا إلهي، ها أنت تكررين الكلام نفسه رغم أنني أخبرتك بأنك ما زلت چاجوا ولم تتغيري.

بعد أن قال لها ذلك اشتاقت بشدة إلى الارتماء بين أحضانه رغم علمها بأنه متحفظ تجاه ذلك النوع من الاشتياق، اختطف منها المعطف وبدأ بالتحرك، كان المطار متلألئاً بالأضواء وحين ابتعد عنها لوح لها بيديه مودعاً من خلف السور ومضى في طريقه بين عمال البترول بقبعاتهم الصفراء وكان المسافرون وغالبيتهم من الإنجليز يمسكون بمعاطفهم.

شاهدته وهو يصعد سلم الطائرة فأغمضت عينيها ونظرت إلى الوراء وبعد أن رفعوا سلم الطائرة سادت لحظة من الحيرة والقلق الشديدين، وقف أحد الرجال أمام الطائرة العملاقة وأشار إلى المحركات التي بدأت تعمل فوراً ثم حلَقت الطائرة الكبيرة وراحت تبتعد شيئاً فشيئاً وهي تميل في الجو دون أن تتوقف چاجوا عن النظر إليها ومتابعتها باهتمام بالغ بينما كانت دموعها تتدفق فوق خديها وتتسلل إلى شفتيها، كان أزيز الطائرة صاخباً حين حلَقت ببطء فوق أشجار النخيل على بعد حوالي ميل واحد وامتلأ الجو بحزام من الدخان الأزرق فلم تستطع رؤية الطائرة بوضوح ثم انطلقت الطائرة بكامل سرعتها فحدث ما يشبه الانفجار في الجو، عرفت چاجوا أن الطائرة ستظل مرتفعة عن سطح الأرض مسافة لا تقل عن أربعة آلاف ميل لمدة عشر

ساعات كاملة فانتابها الخوف على فريدي، ورغم أن ذلك المشهد كان طقساً اعتادت على رؤيته لكنها ظلت تذهب إلى المطار كل يوم أحد لرؤيته من جديد.

تذكرت الكارثة التي وقعت في مطار كانو التي راح ضحيتها كثير من النيجيريين والأوروبيين حين انفجرت بهم الطائرة ولقوا حتفهم على بعد مسافة قصيرة من المطار فلم تتخيل يوماً أن يسافر فريدي بالطائرة وهو الرجل الذي تكن له فيضاً من المشاعر الجياشة الملتهبة، لكنها حاولت تهدئة نفسها فتذكرت أنها كانت بالمطار حين جاءت صاحبة الجلالة الملكة إليزابيث وكان استقبالاً مهيباً يليق بجلالتها، وشهدت في المطار أيضاً حضور عازف الجاز الفرنسي الشهير وهو يهبط من الطائرة بقبعته المصنوعة في بنما ويمسك بآلته الموسيقية بين يديه، إن الكوارث لا تحدث مع مثل أولئك المشاهير والشخصيات الهامة كما أن حوادث الطائرات لا تحدث كل يوم ومع ذلك فإن أحداً لا يستطيع التنبؤ بالقدر.

كان فريدي جالساً إلى جوار نافذة الطائرة وربما كان ينظر إلى چاجوا ويلوح لها لكنه تغير وأصبح كالسجين الذي أبعدوه عن كل معارفه ومحبيه، لقد فقد القدرة على التلويح غير أن چاجوا كانت تلوح له وتبكي حتى لو انطوى ذلك على كثير من الحماقة، ارتفعت الطائرة عن الأرض وهي تتأرجح كمخلوق ضخم قادم من أعماق الأدغال ومثل حورية الماء الخارجة لتوها من نهر النيجر واستجمعت الطائرة كل قوتها فوق مهبط الطائرات وراحت تصدر أزيزاً مدوياً، لمحت چاجوا عجلات الطائرة وهي تنثني شيئاً فشيئاً حتى اختفت في بطن الطائرة وعندئذ تنهدت بصوت مسموع وتبعثر الناس من حولها.

-مع السلامة، مع السلامة.

-غداً صباحاً سيصلون إلى لندن.

-إن الرجل الأبيض يمتلك قدرات هائلة.

-غداً صباحاً وقبل أن تغسل وجهك سيصلون إلى لندن وسيرتعشون من شدة البرد.

كانت چاجوا تستمع إلى ما يقوله الناس بينما ظلت عيناها متعلقة بالسماء، وكانت السماء خالية من النجوم لكن أطراف أجنحة الطائرة ومقدمتها وذيلها

كانت متلألئة بالنجوم ذات الألوان المختلفة أثناء تقدمها نحو كانو على بعد ثمانمائة ميل حيث الجو أكثر حرارة لكنه أقل رطوبة من لاجوس.

استطاعت أن تتمتم فقط وتقول: مع السلامة يا فريدي.

وقالت لنفسها بعد أن شعرت بمدى افتقاده وبعد أن ضعفت روحها واحتواها فراغ مروع: والآن سأذهب إلى باجانا لرؤية أهلك.

كان فريدي قد حكى لها كثيراً عن أبيه وأمه وعن نشأته في باجانا فرغبت في الذهاب إلى هناك لمعرفة أهله والتعرف عن قرب على مدينته، لم تكن مدينتها الأصلية أوجابو بعيدة عن باجانا وما عليها سوى أن تعبر نهر النيجر وستكون فرصة لها أن ترى أوجابو وتمشي فوق أرضها وترى أمها وأباها بعد غياب عشر سنوات.

فكرتْ في كيفية استقبال والد فريدي لها عندما يعرف أنها چاجوا نانا ذات الخمسة والأربعين عاماً وعندما يدرك أنها تحب ابنه الغالي وأنها لم تبخل في إنفاق نقودها بلا تردد من أجل أن يحصل فريدي على جواز السفر ليرحل إلى إنجلترا ويواصل دراسته، لم تستطع چاجوا أن تنسى أنها هي التي تكفلت بإطعام فريدي وتكاليف إقامته لمدة طويلة قبل أن يساهم أبوه في مصاريف الرحلة.

كان العم تايو واقفاً إلى جوارها وهو يقلِب المفاتيح بين يديه ويقول: إلى أي مكان تريدين الذهاب يا چاجوا؟ يمكنني توصيلك إلى حيث تشائين.

لم تكن تفكر في مكان بعينه، ثم تجمع العاطلون عن العمل حول السيارة البونتياك وعبروا عن إعجابهم بشكل السيارة وتصميمها، وحين تذكرت أن مقاعد السيارة منخفضة جداً عمدت إلى إخفاء قميص نومها تحت التنورة الضيقة فلم يستطيعوا رؤية أي شيء رغم نظراتهم الجائعة إلى ركبتيها.

# (١١)

أرسل فريدي كثيراً من الخطابات إلى چاجوا في الأشهر الثلاثة الأولى فلم تستطع إخفاء سعادتها ولم تكن تعرف أن الوحدة والشعور بالغربة في صقيع إنجلترا سيدفعانه إلى كتابة كل تلك الرسائل، شعرتْ بالبهجة والسرور وعرفتْ أن فريدي قد غفر لها ولم يستطع الفكاك من حبها، وحين توقفت الخطابات بعد الأشهر الثلاثة الأولى ولم تعد تسمع منه شيئاً قالتْ لنفسها كي لا تساورها الشكوك: إن فريدي مولع دائماً بالدراسة ومشغول بها لكنني متأكدة بأنه لم يتوقف عن التفكير في كل اللحظات التي أمضاها معي.

عاود فريدي الكتابة إليها بعد توقف طويل فسارعتْ چاجوا إلى أحد الرجال الذين يجيدون صياغة الخطابات ليكتب لها الرد بعد أن دفعتْ له شلنين وستة بنسات، جلستْ چاجوا إلى جواره فوق الدكة عند مرساة السفن بالقرب من البنك المجاور للمراحيض العامة وكان شباب كانو من خلفها يعرضون خشب الأبنوس المنحوت على الملأ لبيعه لركاب البواخر الواقفة في المياه الضحلة القريبة من الشاطئ، كانتْ محشورة في قميصها الجميل وهي تستعرض حذاءها الأنيق وتمسك بمظلة مزدانة باللون الأصفر المضيء فوق رأسها، رفع الرجل العجوز رأسه فشاهدت شعره المتسخ، وحين ابتسم لها برقة من خلال نظارته راحتْ تحكي له عن فريدي فاستقبل العجوز كل كلمة بجدية واهتمام كما يفعل الكاهن أو القس في لحظة الاعتراف مما أثار اهتمام چاجوا وجعلها تثق به، فأخبرته بكل شيء وحكتْ له عن أدق التفاصيل وعن كل ما يريد معرفته عن فريدي، أعرب العجوز عن سروره بشجاعة الشاب وقدرته على العفو، وفي تلك اللحظة نفسها أدركتْ چاجوا معنًى جديداً وواضحاً في علاقتها مع فريدي.

غمس كاتب الخطابات العجوز قلمه في زجاجة الحبر ثم أشار به راسماً دوائر في الهواء قبل أن يضع سن القلم فوق الورقة وقال: بهدوء أرجوك، انتظري حتى لا أنسى ما يجب أن أكتبه، هيه، هيه، والآن عليك بمواصلة الحكي.

كانت چاجوا بحاجة إلى المزيد من الأفكار فقالت له: اقرأ لي ما قمت بكتابته.

لم تستطع أن تفهم تماماً كل ما قرأه عليها الرجل العجوز لكنها شعرت بما يمكن أن يحدثه ذلك الخطاب من تأثير على فريدي ونجحت الكلمات الجميلة التي كتبها الرجل بمهارة في تغيير أحاسيسها بالكامل مما جعلها تكن له نوعاً خاصاً من الود.

قبل أن يقرأ لها الخطاب بالكامل خلع نظارته وقام بتلميعها ثم عاود ارتداءها ووضع الورقة على مسافة مناسبة من عينيه وبدأ بالقراءة:

(حبيبي فريدي):

لقد تذكرت ذلك اليوم الذي رحلت فيه إلى إنجلترا حيث كنت مفتونة بوجهك الجميل الذي حلَق بي في أعماق الليل إلى أرض الأحلام، أنت تعرف أن القلوب حين تتفق فإنها تجلب السعادة والفرح، لقد سحرني حبك واشتعل قلبي والتهبت روحي، إن أي مخلوق إنساني لا يستطيع أن يمحو حبك من قلبي سوى الله، لقد شاهدت وجهك الجميل الباسم في الحلم ليلة أمس لكنه بدا لي كالخيال.

عليك أن تفكر يا حبيبي بأن شعوري نحوك هو شعور حقيقي وجارف وأتمنى أن تبادلني بعضاً منه خلال إقامتك الطويلة تحت سماء تلك المملكة المتحدة ، سأحبك دائماً من كل قلبي ولن أتوقف عن التفكير فيك والهيام بك حتى تعود، إن الحب لا يموت وهو مصدر سعادة الروح فهل ستقاوم وتوفر قوتك من أجلي كما أفعل أنا؟ لا أحد يا حبيبي يستطيع أن يتوقع ما يمكن أن يفعله الله لأن قدراته هائلة ولانهائية ومليئة بالأسرار ولذلك دعنا نعيش بمفردنا ولننعم بالسعادة كما ترغبها فأنت أكثر نبلاً وجاذبية من كل رفاقك، ألا ترى أن الله خلقك بمعزل عنهم؟ إنني فخورة بك وأكن لك احتراماً خاصاً والله يعلم الطريقة التي يجب أن نتعامل بها ولا نستطيع أن نحلم بأفضل منها.

أحبك من أعماق قلبي وأتمنى أن يصلني الرد بأسرع ما تستطيع، أتمنى لك السعادة بكل ما أحمل من حب حقيقي وعاطفة جياشة تجاهك حتى تعود وأتمكن من النظر إلى عينيك المبهجتين وأسمع صوتك الرنان من جديد.

كانت چاجوا تضع يدها فوق ذقنها وهي تستمع إلى الخطاب وكانت تتنهد وتتمايل برأسها، وبعد أن انتهى كاتب الخطاب العجوز من قراءة الخطاب رفع رأسه وقال: ذلك كل ما استطعت كتابته.

قالتْ له چاجوا: ذلك يكفي وليس عندي المزيد لإضافته سوى أن تقول له وداعاً وليباركه الله حيثما ذهب، دعني الآن أضع اسمي في ذيل الرسالة.

ذهبتْ بنفسها إلى مكتب البريد وأرسلتِ الخطاب وشعرتْ بحالة من النشوة وهي تعبر الشوارع في طريق العودة، وعندما تذكرت فحوى الخطاب انتابها مزيج من مشاعر البهجة والقلق، لقد اختطف الخطاب روحها داخل المظروف وها هي روحها في الطريق إلى فريدي على بعد أربعة آلاف ميل من هنا،

شعرتْ بإرهاق شديد ولم تدرك سبب الندم الذي ساورها وذلك الإحساس بعدم الرضا الذي سيطر عليها فراحتْ تواصل خطواتها بتثاقل وهي تمضي نحو المتجر الكبير، وحين دخلتِ المتجر سمعتْ بوضوح كلاماً كثيراً متفرقاً وظلت تستمع إلى الكلام المتناثر باهتمام ثم شاهدتْ فتاة في قسم التصوير تستند بذراعيها فوق أحد الأجهزة وتبتسم لها ففكرتْ چاجوا وهمستْ لنفسها قائلة: إن الفتيات العاملات في المحلات التجارية دائماً ما يبتسمن لكل الزبائن.

كانت تمشي بجوار الصيدلية حين لمحتْ رجلاً أبيض وهو يخترقها بنظراته الغريبة، تطلعتْ چاجوا إلى قسمات وجهه فعرفت أنه تجاوز الخمسين من عمره ولا بد أنه محارب قديم شارك في الحرب العالمية الأولى وشاهد أهوالها، كان الرجل يصطحب فتاة نيجيرية فاتنة ويمشي إلى جوارها بين ممرات محلات التسوق بفخر وابتهاج، كانت الفتاة النيجيرية صغيرة جداً وبدا ثدياها الكبيران موشكين على الانفجار داخل قميصها القطني الأسود الضيق، وكانت شفتاها مصبوغتين باللون الأحمر وحين انعكست أضواء المصابيح المشعة فوق بشرتها الناعمة ازدادت الفتاة فتنة وجمالاً مما أثار انتباه كل المحيطين الذين راحوا يحدقون فيها وفي الرجل الذي معها ويتعجبون من تلك الصحبة الغريبة، وبرغم ذلك فإن الصخب لم يتوقف ولم تتوقف معها أجراس القائمين على تحصيل النقود.

مضتْ چاجوا في سيرها وحين اقتربتْ من محل ملابس السيدات سمعتْ من ينادي على اسمها لكنها لم تهتم لأنها تعرف بأنهم يعرفونها في ذلك المحل الذي أنفقت فيه كثيراً من نقودها، غير أنها اكتشفت أن النداء لم يكن قادماً من أحد العاملين في المحل ولكنها ماما نانسي، لاحظتْ چاجوا أنها ترتدي فستاناً غالي الثمن وكان الفستان واسعاً من أعلي وضيقاً من الأسفل ومليئاً بالطيات، كما لم تستطع أن تخفي إعجابها بقميصها السويسري الذي يكشف عن كتفيها الناعمين المثيرين، وكانت قطعة القماش الخضراء التي تلفها حول خصرها وتتدلى حتي تصل إلى أصابع قدميها المشذبة ذات طراز فريد وجميل وكانت تعلق حقيبة فوق أحد كتفيها بإهمال ولامبالاة، أما نانسي الصغيرة فقد كانت تشِع بالفتنة والجاذبية وبقدر ما اشتاقت أضواء المحل لبشرتها الناعمة بقدر ما نظرت إليها چاجوا بحسد.

ابتسمتْ چاجوا ابتسامة مزيفة وقالت: ماما نانسي، أوه ونانسي أيضاً، ماذا تشتريان من هنا؟

-أحاول أن أجد بعض الملابس المناسبة لنانسي.

استطاعت ماما نانسي داخل المحل أن تتحدث مع نانسي فيما حدث بينهما رغم تظاهرها بالانشغال في الشراء لكن چاجوا - وبعيداً عن الفضول - تظاهرتْ أيضاً بأنها نسيت كل شيء بما في ذلك الشجار الذي حدث بينهما في نادي تروبيكانا الليلي ورائحة السجن العفنة والمحكمة وسألتها: هل ستسافر نانسي إلى مكان ما؟

بدتْ ماما نانسي عدوانية وهي تجيب بلا تردد : المملكة المتحدة، لقد عرف كل الناس أن هناك شخصاً ما في طريقه للذهاب إلى المملكة المتحدة وذلك الأمر باهظ التكاليف لكننا نحاول أن ندخر بعض النقود.

انتابتْ چاجوا نوبات من الغضب وهي تستمع إلى ماما نانسي واستطاعت أن تدرك بوضوح من خلال وهج الإضاءة الحمراء السبب في عدم إحساسها بالرضا، كانت مستاءة وغير راضية عن كل ما يحدث في لاجوس وعليها أن تسعى للتغيير منذ هذه اللحظة ويجب أيضاً أن تسافر.

اخترق صوت ماما نانسي أذنيها وهي تقول لها: أوه، نعم، إن نانسي ستسافر خارج الحدود كما أخبرك فريدي.

-لقد أرسلت خطاباً للتو إلى فريدي.

-حسناً، وبالمناسبة أي من هاتين السترتين أفضل؟

لم يعد بوسع چاجوا أن تتجاهل سؤالها فراحت تساعدهما في الاختيار بين السترة الصوفية ذات اللون الأحمر الوردي والأخرى ذات اللون الأصفر ثم شاركتهما في شراء بعض الملابس الداخلية الساخنة، وبعد ذلك حدثتها نفسها بضرورة الخروج من المحل والابتعاد عن نانسي وأمها وعن تروبيكانا وأهمية الرحيل عن لاجوس وأهل لاجوس وقد يكون ذلك هو الوقت المناسب لزيارة باجانا، لكنها كلما أطالت التفكير في الذهاب إلى باجانا كلما ازداد قلقها.

قفزتْ إلى مخيلتها فجأة صورة أبيها وتذكرت يومها الأخير في أوجابو قبل أن تغادرها إلى غير رجعة، كان والدها يرتدي بذلته السوداء القفيرة أثناء خروجه من الكنيسة ويحمل بين يديه كتابة المقدس والذي كانت حافته الحمراء تتلألأ في الشمس، وكانت أمها تقف إلى جواره بعباءتها الوردية الجميلة وقبعتها العريضة وحذائها ذي الكعب السميك الذي لا ترتديه إلا في أيام الآحاد.

كانا في انتظارها حين صاح أخوها فونسو قائلاً: نانا، ماذا تفعلين؟ هل تلعبين بعد الخروج من الكنيسة؟ ألا تعرفين أن بابا بانتظارك؟.

كان حب أبيها لها فريداً ومتميزاً، وبعد عشر سنوات من تجاهل ذلك الحب والرحيل بعيداً عن أبيها كانت چاجوا تعرف أنها ستعود إليه وأنه سيرحب بها.

نظرتْ إلى ماما نانسي وقالت: معذرة، يجب أن أرحل الآن لأنني ذاهبة إلى مكان ما وأجدني مضطرة للذهاب إليه بسرعة.

- خيراً ما فعلت يا چاجوا وشكراً لك.

استدارتْ چاجوا بطريقة متغطرسة حتى أصبح ظهرها في مواجهة نانسي وأمها وراحت تحرك خصرها النحيل وردفيها المكتنزين وتستعرض قدميها الجميلتين وهي تمشي بطريقة متناغمة فأيقظت شهوة الرجال من حولها وراحوا يحدقون فيها بعيون جائعة لم تخطئ في التعرُف عليها، كما عرفت أيضاً أنها ستظل دائماً چاجوا طالما أن هناك رجالاً في لاجوس يفهمون ما تعنيه تلك الطريقة في المشي.

# (١٢)

وقفتْ چاجوا وسط حجرتها وبدأت تنظر حواليها بارتباك، كانت صناديق الثياب نصف المفتوحة متناثرة فوق الأرض وإلى جوارها أواني المطبخ وبعض المقاعد وسرير واحد مكسور فشعرتْ بالفوضى ومزيد من الارتباك وعندما جاء مايك سألها بعض الأسئلة التي ضاعفت من غضبها وسخطها وتساءلت بينها وبين نفسها: كيف أترك الحجرة هكذا بدون ترتيب؟ وما الذي يجب أن أتخلص منه والذي يجب أن أحتفظ به؟

كانت الإجابة صعبة وربما مستحيلة ولو أنها كانت تعرف المدة التي ستغيب فيها عن الحجرة لأصبح أمر ترتيبها سهلاً.

وضعت بعضاً من أفضل ثيابها فوق السرير وفي المساء تملكتها الحيرة وكانت ما تزال مرتبكة وقررت أن تضيف قليلاً من الملابس الأخرى رأت أنها قد تثير الناس في (أونيتشا) و(أوجابو) و(باجانا) وكان عليها أن تقطع مسافة خمسمائة ميل حافلة بالمخاطر، فاختارت السفر بسيارة الشحن المكشوفة التي تعد أسرع الوسائل.

لم تبدأ الرحلة حتى مساء اليوم الثاني وفي ساعات الصباح الأولى من اليوم الذي يليه تحركت الحافلة وخرجت عن الطريق الرئيس لتبدأ سيرها المتأرجح في طرقات الغابة، وبعد أربعمائة ميل من لاجوس تجعدَ شعر چاجوا وملأت الرمال حاجبيها لكنها عرفت أن المسافة المتبقية للوصول إلى مدينتها لا تتجاوز ستة أميال فقط فشعرت بارتياح، ورغم أنها كانت تجلس في الدرجة الأولى أي إلى جوار السائق الشاب ذي العضلات المفتولة إلا أنها أحست بألم في عظامها.

(السائق وشخص واحد فقط )، كانت تلك هي الكلمات المكتوبة بحروف كبيرة وملونة فوق باب الشاحنة، لم يقصد المسؤولون في قسم التراخيص الذين كتبوا تلك الكلمات أن يكون الشخص الواحد امرأة، ومن المؤكد أنهم لم يقصدوا چاجوا بالتحديد، لكنها جاهدت للحصول على ذلك المقعد الأمامي وأصرت على الاحتفاظ به.

كان الوقت فجراً لكن السائق لم يكن منشغلاً بذلك التوقيت المتأخر فأخبر چاجوا بأنه يريد أن يصل بها إلى مدينتها بسرعة ليعود إلى (أونيتشا) في

وقت مناسب كي يلحق بمركب الساعة الثامنة التي ستعود من(آونيتشا) قاصدة (أسابا) و(لاجوس).

تجاوزت الشاحنة أحد المنعطفات ومضت في طريقها عبر الطريق الضيق، فطلبتْ چاجوا من السائق أن يقلل من السرعة بينما كانت تنظر إلى اللافتة التي أمامها وتحاول أن تعرف المكتوب عليها، لاحظتْ چاجوا أن كثيراً من الغابات خالية من الأعشاب وأن عمال البناء بدؤوا يعملون في مساحات شاسعة من الأراضي الخالية وكانت أشجار النخيل المرتفعة بشموخ نحو السماء تحجب عنهم الشمس كلما تقدمت الشاحنة في سيرها.

كان جذع الشجرة يحمل لافتة مكتوب عليها (القس دافيد أوبي) وكانت چاجوا هي أول من شاهد تلك اللافتة فصرختْ بابتهاج وقفزتْ من الشاحنة قبل أن تقف وقالت: لقد وصلنا.

تسللت إلى أنفها رائحة التربة الجافة والأعشاب الرطبة فتذكرت على الفور أيام طفولتها عندما كانت تمضي في ذلك الطريق نفسه لقضاء حاجيات أمها، وعندئذ تدفقت الدموع الساخنة من عينيها وسقطت فوق أرض الغابة، شاهدتْ بيت أبيها المسقوف بالزنك في مكانه القديم نفسه عند نهاية الفناء، وأمام البيت كان بئر المياه الذي لم تشاهده لكنها أبصرتْ دكة النجار في مكانها نفسه تحت شجرة الإيروكو، عشر سنوات وما زالت الشجرة هي الشجرة نفسها التي كانت تلعب حولها مع الأطفال.

جاءت امرأة مسرعة من الطريق وقابلت چاجوا أثناء توجهها إلى البيت وقالت: مرحباً يا ابنتنا.

مسحتْ المرأة يديها بورقة كبيرة من أوراق البطاطا ثم دققتِ النظر بچاجوا لكنها لم تتعرف عليها فقالت چاجوا: أنا ابنة القس.

ارتفعتْ صيحات الفرح في أرجاء المكان حتى انتشرت في كل أجزاء أوجابو معلنة عن قدوم ابنة القس من لاجوس، لكن الأولاد الصغار السود والعرايا البائسين الذين كانوا يلعبون بأطواقهم ويحملون أخوتهم وأخواتهم فوق ظهورهم هربوا بعيداً عن چاجوا لأنها بدت غريبة بالنسبة لهم.

يعمل الناس في أوجابو في فلاحة الأرض ويشربون من مياه النهر ويأكلون البطاطا ويذهبون إلى الكنيسة للتضرع إلى الله الواحد الأحد، لكنهم بعد العودة إلى منازلهم فإن كل واحد منهم لا يعترف إلا بالكهنة والآلهة الخاصة بعائلته، إنهم يعتقدون أن القرية التي يمتلك فيها كل الرجال حقولاً خاصة

لزراعة البطاطا لا بد وأن تكون قلوب رجالها ونسائها وأطفالها مليئة بالسعادة، أما القرية التي لا يمتلك فيها مثل تلك الحقول سوى رجل واحد فإنها قرية لا تنعم بالهدوء ويملؤها الغضب ويشعر أهلها بالحسد تجاه بعضهم البعض كما تتفجر داخلها النزاعات المثيرة للغضب. إن الرجال في أوجابو - كما تعرف چاجوا- لا يفكرون سوى في الأرض ومنتجاتها، وإن النساء تساعدهم على جعلها أكثر ازدهاراً، وهكذا أصبح الناس في بلدها متناغمين مع بعضهم البعض. اكتسب الماكياج فوق بشرتها لوناً شاحباً وراحت النساء تحدق في حاجبيها المزخرفين بالخطوط والألوان وصاح طفل بلغة الإيبو قائلاً لأمه: ماما، إن شفتيها غارقتان بالدم.

سمعتْ چاجوا امرأة أخرى تقول: إنها تمشي كما لو أن مؤخرتها سوف تسقط منها.

ساروا جميعاً خلفها مروراً بمجموعات من البيوت الطينية الحمراء، وكان ثمة رجل عجوز يجلس بجوار المدفأة في إحدى الحجرات الطينية يقول منادياً بعد أن رفع رأسه: بنجو.

جاء الكلب الهزيل ورقد بجوار قدم الرجل العجوز ثم بدأ على الفور بالنباح، كان ذلك الرجل العجوز هو الحارس وقال لچاجوا إن دافيد أوبي وعائلته قد حملوا معظم حاجياتهم وذهبوا لزيارة أحد المناطق المحيطة بأونيتشا على بعد حوالي خمسين ميلاً لكنه لم يستطع أن يخبرها بخط سيره، وعلي أية حال فإن چاجوا تستطيع إذا ذهبت إلى أونيتشا وتوجهت إلى الكنيسة أن تعرف كل شيء من الأسقف أو المطران.

سألته چاجوا عن صحة أبيها خاصة بعد انتقلت إليها أخبار مرضه في لاجوس ثم قالتْ له: ألم يزل مريضاً؟ أم إنه الآن على ما يرام؟

أجاب الرجل العجوز: إن أباك لم يعد شاباً وإذا استطاع أن يجد شخصاً يعتني به ويقوم على رعايته فإنه سيصبح في وضع أفضل، كما أن أمك أيضاً مريضة وكلاهما بحاجة للرعاية.

- هل سمعت أي شيء عن أخي فونسو؟

- إنه يعمل بالتجارة في أونيتشا ويمكنك أن تجديه في السوق في المكان الذي يبيعون فيه قطع غيار الدراجات وكذلك تستطيعين مقابلة زوجته.

عرفت چاجوا أن فونسو قد استقر مع تلك الفتاة رغم معارضة والديه فأخذتْ على نفسها عهداً بزيارته في أونيتشا إذا سمح وقتها بذلك، وقررت في الوقت نفسه أن تقضي بقية ذلك اليوم في أوجابو لتستأنف رحلتها غداً، ولكن بدلاً من الذهاب إلى أونيتشا للسؤال عن أخيها فونسو والاطمئنان على صحة والديها قررت أن تواصل رحلتها باتجاه باجانا التي يقيم فيها أهل فريدي.

كان الجو في أوجابو منعشاً فشعرت چاجوا بالبهجة وراحت تستنشق الهواء بعمق وهي تمسك بمفاصلها وترفع فتحتي أنفها إلى أشجار النخيل فتسربت إليهما رائحة أوراق النخيل الممتزجة برائحة الزهور البرية ورائحة التربة، أشار لها الرجل العجوز إلى حجرته فلم تجد الفراش المناسب وكانت الأرضية مكسوة بالإسمنت ورقائق من الفلين والجدران مزينة ببعض الصور، وكان سطح البيت منخفضاً فلم تستطع چاجوا دخول الحجرة دون انحناء، وفي الداخل كان شعاع الضوء مسلطاً فوق بقعة صغيرة في الظلام.

ظهرت أسنان العجوز وهو يفتح فمه ويقول: ابنتنا، إذا رغبت في النوم ضعي الحصيرة هنا وسوف نجد لك الآن شيئاً لتأكليه.

وفور الانتهاء من كلامه وصل الأولاد حاملين الموز الكبير وسلة من البرتقال، وكان أحدهم يمسك برميلاً صغيراً من النبيذ سرعان ما تناوله العجوز من يده وقال بعد أن تناول رشفة منه: نبيذ جيد.

شعرتْ چاجوا بثقل عظامها وبألم في رأسها فرقدتْ فوق الحصيرة وقالت: إنني مجهدة بعد هذا السفر الطويل ومن الأفضل أن أنام قليلاً.

استيقظتْ بعد الظهر بقليل وكانت الشمس تلقي بظلالها فوق أوراق الموز ولم تعد الطيور تنبش مناقيرها في التربة لكنها كانت ترقد محتمية بالظل، وكان الأولاد ببطونهم المنتفخة يرقدون في المكان نفسه ويديرون أوجههم بعيداً عن وهج الشمس، وبدا واضحاً أنهم سعداء بالقليل الذي وهبته لهم الحياة، إنهم يقرؤون كتبهم على إيقاع عصا الخيزران المتأرجحة التي تحملها معلمتهم للسيطرة عليهم كما يحدث بالضبط مع الشخص الذي يضطر رغماً عنه للعودة إلى أوجابو لقضاء كل مساءات يوم الجمعة مع أمه الأرملة، لم تكن چاجوا في ذلك الوقت راغبة في التفكير بعمق وجدية أو حتى في طرح الأسئلة ولم يعد يشغلها شيء سوى أن أوجابو مصدر راحة واطمئنان كافيين بالنسبة لها.

طلبتْ إسفنجة أو قطعة من القماش وصابونة ثم أخرجت الفوطة من حقيبتها ومشت ببطء نحو النهر وهي حافية القدمين، كانت الرمال ساخنة لكن أهل هذه المناطق يتمتعون ببشرة لا تتأثر بالحرارة، اكتشفتْ أنهم يخططون لبناء كلية في المساحة الشاسعة التي قاموا بإخلائها خلف الكنيسة، وعرفتْ أن الحكومة لم توافق بعد على التكلفة اللازمة للمشروع غير أن أهل أوجابو كانوا متفائلين وبدؤوا بالتنفيذ مستخدمين إمكانياتهم الضعيفة، عندما وصلتْ إلى النهر نظرتْ إليها النسوة وهن يغسلن الملابس نظرات فضولية وغريبة، وكان بعضهن يغسلن أوراق النشا قبل تجفيفها وبعضهن الآخر يحملن أطفالاً فوق ظهورهن ويقمن بتنفيض ملابس الكتان والبياضات فوق الأحجار.

مضتْ چاجوا في سيرها بقدمين عاريتين في مياه النهر حتى وصلت إلى جزء من المياه الشفافة الرائقة، كانت المياه باردة جداً فامتلأت بشرتها بالبثور، إنها تعرف جيداً فن الاستحمام في النهر أمام تحديق العامة، بدأت بدعك وجهها ورقبتها ثم ثدييها وبطنها وظهرها، وعندما رفعت ذراعها راح الرجال الواقفون عند الجانب الآخر من الجسر يتطلعون إلى إبطها وشعرتْ بالسرور لأن إبطها كان خالياً من الشعر رغم علمها بأن الرجال هنا لا يحبون الإبط بدون شعر، مسحتْ جوانب جسدها بالإسفنجة دون أن تفك المشد من حول خصرها حتى وصلت إلى فخذيها وركبتيها وهي تنظر حول النهر بعيون تحمل قليلاً من العداء في محاولة منها لقمع تلك النظرات، ورغم أن العري لم يعد شيئاً غريباً إلا أن السيطرة على الغرائز تعد أمراً مستحيلاً كما أنه لا يمكن حجب جسد الإنسان رغم كل فنون التستر.

شعرتْ بعد ذلك أنها أصبحت نظيفة فجلست في قاع النهر وراحت تدلك جسدها بيديها جيداً، توجهتْ نحو ضفة النهر والتقطت ملابسها ووضعتها فوق كتفها وخلعت المشد من حول خصرها ثم عادت لتغسله في النهر وبدأت تغني ألحاناً عذبة ورقيقة وتستمتع بلحظات الحرية الرائعة النادرة.

عندما أخبرتْ أصدقائها أنها ذاهبة إلى بلدها كانت تعي أن المرأة في المدينة لا تستمتع بحريتها كما يحدث هنا في أوجابو حيث لا يطاردها الرجال ولا يتملقونها، إنها معروفة هنا كشخص كان يعيش معهم وكبر معهم لكنها لم تكن معروفة كامرأة فاتنة أو كشخص يسعى لمجرد اللهو.

ارتاحتْ چاجوا كثيراً لذلك الجو من الحرية والاسترخاء وبدت كل الأشياء جميلة من حولها، وبعد أن غسلت ملابسها وانتهت من الغناء عادت لضفة النهر وقامت بتمشيط شعرها، وفي المساء تجمعت الفتيات وبدأن بالرقص

والغناء وتبادل الحكايات الشعبية، تسللت أشعة القمر المبهرة ببطء عبر الأشجار فهمستْ لنفسها قائلة: لقد انقضت سنوات كثيرة لم أجد خلالها الوقت الكافي خلال الليل للنظر إلى أعلى من أجل رؤية القمر فالناس في لاجوس لا يستطيعون رؤية القمر من كثرة الأضواء البراقة التي تملأ الشوارع.

استسلمتْ لحالة الكسل والاسترخاء وانتفض جسدها عندما تذكرت حبيبها الغيور لكنها كانت تعاني حالة من الخمول لم تستطع معها أن تهتم بأي شيء وحين غلبها النوم لم تستطع أيضاً الشعور بأي شيء.

في صباح اليوم التالي بينما كانت تتناول البطاطا المغلية المغموسة في الزيت جاءت دراجة الأجرة المتوجهة إلى الطريق الرئيس وتم ربط حقيبتها وأغراضها الأخرى فوق الدراجة، انتهت من تناول إفطارها بأسرع ما تستطيع وقامت بتوديع مضيفها ثم تسلقت المقعد الخلفي من الدراجة الثانية وبدأ السائق في التحرك، كان طول طريق الغابة ستة أميال، وكلما جدَف السائق بقدميه بقوة أكثر كانا يتجاوزان دراجات أخرى في الطريق، صبية صغار ببطون عارية كانوا يجرون خلفهما في البداية وواصلوا الجري للحظات انتشر فيها الغبار من حولهما وكان الطريق كله مزدحماً بالخنازير والدجاج والخراف، إنه طريق دراجات الأجرة الذي لم يتعود فيه الناس على استخدام السيارات ذات العجلات الأربع في تنقلاتهم.

كان اليوم هو يوم السوق الذي يقيمونه كل أسبوع عند مفترق الطريق بين الغابة والإسفلت فلم يضطر سائق الدراجة ومعه چاجوا للانتظار مدة طويلة في الطريق الرئيس واتجه مباشرة إلى داخل السوق، وقبل أن تنزل چاجوا أحاط بهما سائقو الشاحنات والباحثون عن الزبائن وقال أحدهم: (بورت هاركورت)!، هل أنت ذاهبة إلى بورت هاركورت؟، اصعدي هنا لأنه دوري في الرحيل إلى بورت هاركورت.

رفعت چاجوا رأسها فلمحت شعاراً لأحد النسور الضخمة ملتصقاً فوق الشاحنة وكانت الشاحنة كاملة العدد فعلاً وجاهزة للرحيل في تلك اللحظة، ففكرت چاجوا وقالت لنفسها: إنني محظوظة لأنني لم أنتظر طويلاً.

سمعت النداء يتكرر كثيراً: بورت هاركورت، هذه الشاحنة في طريقها إلى بورت هاركورت.

كان المنادي يمسك ذراع چاجوا بقبضته القوية فقالت وهي تنزع ذراعها: ولكنني لست ذاهبة إلى بورت هاركورت، أنا ذاهبة إلى بِاجانا.

ضحكوا وقالوا: لا بد أن تصلي إلى بورت هاركورت أولاً يا مدام ومن هناك يمكنك صعود أحد الزوارق المنتشرة على الرصيف لتصلي إلى باجانا في خلال أربع ساعات.

أمسك المنادي بيدها مرة أخري وقال: اتبعيني.

- وهو كذلك، كم هي تكلفة الرحلة إلى بورت هاركورت؟

- فقط ثلاثة شلنات وستة بنسات.

تدخّل في الحديث رجل آخر ذو لحية كبيرة وقال: اصعدي إلى شاحنتي الرخيصة.

ظهر رجال آخرون وزاد عدد الممسكين بيدها وذراعها وظلوا يشدونها إلى مختلف الجهات فصرخت وقالت: إنه كابوس وفوضي، حيرة وتردد، خيانة ولصوصية.

انطلقت بعيداً عنهم جميعاً وتوجهت مباشرة إلى شاحنة ذات لون مشرق مكتوب عليها (لا تثق في أي رجل) وأصبح لزاماً عليها أن تختار بين هذه الشاحنة وبين تلك، التي تحمل شعار النسر الضخم والتي امتلأت مقاعدها بالرجال والنساء مما جعلها تعتقد أنها سترحل قبل الشاحنة الأخرى لكنها سرعان ما اكتشفت حماقتها بعد أن عرفت أنهم قاموا باستئجار أولئك الركاب للخداع، إنهم ليسوا مسافرين لكنهم جاؤوا فقط لشغل المقاعد حتى يعتقد المسافرون الحقيقيون أنهم على وشك الرحيل، حين التفتت چاجوا إلى اللافتة المكتوب عليها (لا تثق في أي رجل) نهض أحد الرجال من مقعده في الشاحنة الأخرى لتجلس مكانه ولم تره بعد ذلك أبداً، وكان بقية الرجال والنساء على استعداد لترك مقاعدهم، وكان المنادون لا يتوقفون في كل لحظة عن اصطياد أي مسافر جديد واقتياده إلى الشاحنة، جلست چاجوا مدة طويلة وهي تراقب مستأجري المقاعد وهم يهبطون من الشاحنة ويسارعون بالاختفاء داخل السوق ولم يكن بمقدورها استرداد ثمن التذكرة فصاحت بهم بغضب رغم علمها بعدم جدوى صياحها.

في بورت هاركورت وجدت چاجوا نفسها وسط حشد من بائعي الصحف والمجلات وأصحاب الزوارق والتجار والعمال والمسافرين المحتشدين حول الرصيف، وكان أحد الزوارق يحمل لافتة السلام ويعج بالنساء اللاتي يحملن البطاطا والخضروات والبرتقال في سلال كبيرة، فعرفت چاجوا السبب الذي من أجله يطلقون على باجانا اسم قرية الصيادين التي يعيش أهلها في

جزيرة صغيرة حيث لا يوجد سوى القليل جداً من المزارع وحيث - على العكس من أوجابو - يشترون طعامهم من مدينة بورت هاركورت.

لم يبدأ زورق السلام بالتحرك إلا بعد ساعة كاملة عاشت چاجوا خلالها وللمرة الثانية لحظات الانتظار المملة، وعندما سمعت صوت المحرك بدأ الزورق يطفو فوق مياه النهر الصغير، وحاولت چاجوا أن تتخيل ما سيكون عليه بيت فريدي غير أن جذور شجرة المانجروف الطويلة والفراشات الصغيرة المحتمية في الوحل لم توح لها بأي شيء. عبر زورق چاجوا كثيراً من الزوارق المليئة بالنساء اللاتي كن يجدفن ويترنمن بألحان غريبة وينعمن بالراحة والطمأنينة في الماء مثلما يحدث مع الطيور في الهواء رغم وجود الطيور الجارحة والتماسيح التي يعلمن تماماً أنها لن تهاجمهن أبداً لأنهن جزء من تلك البيئة.

لاحت باجانا في الأفق بعد ساعتين عانت خلالهما چاجوا من ضربات صوت محرك الديزل المتواصلة وشاهدت برج الكنيسة بوضوح وعند اختفائه كان الزورق قد وصل بالفعل إلى باجانا. لاحظتْ چاجوا البيوت ذات الأسقف الصفيحية فبدت لها مثل قطع القماش المتدلية فوق الجزيرة وعرفت سر جمال باجانا ونظافتها وأدركت أنها تستطيع التجوال في باجانا من أولها إلى آخرها في عشرين دقيقة فقط، إنها حقاً هادئة فلم تلتق في طريقها بأي سيارة لكنها رأت كثيراً من الدراجات وكان أمراً مستحيلاً ألا يعرف كل الناس بقدومها، كان الأولاد والبنات يتجمعون عند الشاطئ لحظة وصول أي زورق، وكان ولد طويل القامة يقود إحدى المجموعات ويرتدي قميصاً بكم طويل ولفافة ذات لون مشرق يراقب چاجوا لحظة وصولها، وسرعان ما استولى على حقيبتها وصاح بأعلى صوته قائلاً: لقد جاءت الأخت، لقد جاءت الأخت.

تجمع أهل باجانا حولها في الحال فشعرت چاجوا بالارتباك، ووسط ذلك الحشد عند الشاطئ لمحتِ امرأة ترتدي فستاناً لا يشبه فساتين النسوة في باجانا وعباءة ذات حزام غير مربوط ولم تصدق نفسها فقالت: ماما نانسي!! هل أنت هنا؟

ثم أضافت بصوت غاضب: الم أقابلك في المحل حين كنت تشترين سترة صوفية لنانسي؟ ألم تخبريني في لاجوس أن نانسي ستسافر إلى الخارج؟ أليس كذلك؟ لقد قمت بخداعي..

ابتسمت ماما نانسي وقالت بعد أن غمرها مزيج من الزهو والإحساس بالانتصار على چاجوا: مرحباً بك يا چاجوا، نعم، لقد تقابلنا في ذلك المحل

وقلت لك إن نانسي ستسافر لكنني نسيت أن أخبرك بأننا سنأتي لزيارة باجانا قبل سفرها.

# (١٣)

لم تستطع چاجوا إخفاء إعجابها بالفتاة الواقفة بجوار ماما نانسي وراحت تنظر إلى قميصها الأصفر وعباءتها المليئة بالنقوش الخضراء المزدهرة، كان ثدياها يهتزان بلا انقطاع تحت القميص، وحين أمعنت النظر إلى بشرتها اعتقدت چاجوا أن الشمس هي التي رسمت كل تلك الظلال الجميلة فوق البشرة، لاحظت ماما نانسي تلك النظرة الخاصة في عيني چاجوا وقالت مخاطبة ابنتها: نانسي، تعالي لتحية العمة چاجوا.

ابتسمت نانسي في وجه چاجوا وقالت: مرحباً بك ماما.

لكن چاجوا - بالرغم من جمال نانسي وطريقتها المهذبة في الترحيب بها - انتابها إحساس عميق بالخيانة.

لم يحدث أبداً أن شعرت چاجوا بالحب تجاه نانسي وأمها فكلتاهما تجيدان الخداع وكثيراً ما احتدمت الصراعات والخلافات بينهن، وها هي چاجوا تدرك الآن أن ثمة صراعات جديدة في طريقها للحدوث .

ابتسمتْ چاجوا بصعوبة وبطريقة مصطنعة وسألتْ نانسي: هل جئت إلى باجانا لرؤية بيت فريدي؟ لقد قلت لي بأنك ستسافرين إلى المملكة المتحدة على ما أعتقد؟ كيف تدبرت أمر وصولك إلى باجانا؟

أجابت نانسي: نعم، ما زلت أنوي الذهاب إلى المملكة المتحدة لكن ماما رأت أن زيارتي لباجانا قبل سفري أمر ضروري.

شعرت چاجوا بغبائها وقالت: أووه، إنها فكرة أمك إذن وليست فكرتك.

كان الجو صافياً حين راحت چاجوا تسير في شوارع باجانا المشمسة وتطأ بقدميها تلك الأرض المرصوفة بطبقات من الصخور الرملية، لاحظتْ أن كثيراً من المباني في بلد فريدي قديمة ومتداعية ومرفوعة إلى ركيزتين فوق الأرض ولا تشبه الطراز النيجيري وأشارت إلى إحداها فقالت ماما نانسي بثقة: إنهم يطلقون عليها اسم المراكب.

قالت چاجوا بغضب: منذ متى وأنت هنا يا ماما نانسي؟

أجابت ماما نانسي: منذ أربعة أيام.

قالت چاجوا: كيفَ عرفت كل ذلك في أربعة أيام فقط؟

- لأننا قابلنا دافيد نام وهو بالمناسبة والد فريدي ولقد أخبرنا بكل شيء قبل رحيله، لقد تأخر وصولك إلى هنا يا چاجوا ولم يحالفك الحظ بلقائه، لقد رحل إلى بورت هاركورت لكنك تستطيعين مقابلة أخيه وهو العم نام، أعترف أنك افتقدت الكثير لعدم لقائك والد فريدي، لقد رحل من هنا بالأمس قاصداً بورت هاركورت لحضور اجتماع المجلس وسيبقى هناك لمدة أسبوعين ولكنني أعتقد بأنك ستحبين عم فريدي.

لم تكن چاجوا راغبة بسماع المزيد من كلام ماما نانسي المتدفق، لكن ماما نانسي ظلت تخبرها بكل جديد كلما سنحت لها الفرصة فاستطردت قائلة: في أحد الأيام الغابرة من القرن التاسع عشر كانت باجانا موقعاً تجارياً كبيراً وكانت عامرة بمختلف أنواع الزيوت لكن زيت النخيل كان هو السلعة الرئيسية التي جاء من أجلها التجار الإنجليز والألمان والمستعمرون الفرنسيون إلى باجانا، كانوا يتاجرون بشراب الجن مع العائلات الكبيرة المسيطرة والتي كانت أسرة نام أكثرها شهرة.

أضافت ماما نانسي: جاء البرتغاليون أيضاً وهم الذين شيدوا ذلك الطراز من البيوت الشبيهة بالمراكب بعد أن أحضروا كل ألواح الخشب من إسبانيا، ونتيجة لكل ذلك التواجد الأوروبي في باجانا ولأنهم جميعاً كانوا يبحثون عن الأشياء نفسها فقد نشبت حروب كثيرة بين الرجال البيض ورجال آخرين من البيض أيضاً وبين العائلات الكبيرة المسيطرة وقبائل أهل باجانا.

أشارت ماما نانسي إلى المدافع القديمة الصدئة المنتشرة عند كل ركن من أركان الشوارع واستطردت: وهكذا ترين أن فريدي ابن عائلة ملكية رغم أنه لم يذكر ذلك أبداً في يوم من الأيام.

توقفتْ لالتقاط أنفاسها فقالت نانسي: ماما، نحن الآن بالقرب من القصر وأعتقد أن العم نام واقف عند المدخل.

شاهدتْ چاجوا رجلاً طويلاً يرتدي قبعة حريرية فبدا لها مثل رجال عصر الملكة فيكتوريا، كان يضم كلتا يديه فوق صدره ويبتسم، وعندما بدأت چاجوا بصعود درجات السلم فرد الرجل يديه وقال: مرحباً، اسمي نام وأنا عم فريدي، مرحباً بك وللأسف فإن والد فريدي غير موجود، لقد ذهب لحضور اجتماع المجلس في بورت هاركورت كما أن أم فريدي ذهبت معه، أتعرفين شيئاً عن تلك الاجتماعات؟ إنهم يواصلون عقد مثل تلك الاجتماعات أحياناً لمدة ثلاثة أسابيع دون أن يتوصلوا إلى نتائج ملموسة.

أمسك يد چاجوا بطريقة مهذبة فشعرت تجاهه بودّ شديد وبدأت ترى علامات النضج والخبرة المتمثلة فيه والتي يتميز بها فريدي أيضاً ثم فكرت بينها وبين نفسها قائلة: كم سيكون جميلاً لو أنني استطعت معانقة فريدي هنا وفي هذه الليلة وفي مدينته التي نشأ بها، يمكنني أن أمسك بيده في النهار وسيكون ذلك امتيازاً خاصاً.

ثم قالت لعم فريدي: وأنا اسمي چاجوا.

صافحها بود وقال: چاجوا؟ لقد بعث فريدي لي برسالة وأخبرني عن مساعدتك له في الحصول على جواز السفر وأشياء أخرى في لاجوس، شكراً لك وأسأل الله أن يحفظك.

شعرتْ چاجوا بالسرور وقالت: جئت من لاجوس لمعرفة البلد التي ينتمي إليها فريدي نام، لقد كان يتحدث كثيراً عن باجانا وها أنذا الآن في باجانا التي أحب العيش فيها مع فريدي.

قال عم فريدي وهو يختار كلماته بعناية ويضفي عليها دلالة وأهمية: أوه، نعم، كل الذين يزورون باجانا يقولون إنها مكان جميل حتى إن رجلاً إنجليزياً من كامبريدج يعيش بيننا الآن ويدرس عاداتنا من أجل أن يؤلف كتاباً عن باجانا.

أشار إلى أسطح البيوت وأضاف: إنه يعيش في حجرة صغيرة بجوار النهر.

لاحظت چاجوا مدي تأثر نانسي بعائلة نام وكيف أنها بدت واثقة من نفسها وكأنها صديقة حميمة للأسرة فقررت أن تكون واحدة من أفراد أسرة نام، إنهم طيبون وكرماء كما يبدو لكن الأمر لم يكن سهلاً في الواقع.

طلب العم نام من إحدى الفتيات أن تتناول حقيبة چاجوا لتضعها داخل الحجرة وأشار إلى أحد المقاعد وقال: اجلسي، سوف أحضر لك بعضاً من طعامنا وشرابنا الذي نصنعه بأنفسنا، هذا شراب الجن الذي نقوم بتقطيره في الأنهار والجداول الصغيرة وهل تعلمين أن الحكومة تحرمه وتعتبره من المحظورات، إن الحكومة لا تملك أي قدر من الحنكة والدهاء لأننا حين بدأنا في صناعة ذلك الشراب الخاص بنا أدركوا أننا لا نعتمد في صناعته على المواد المستوردة وأننا نستطيع الحصول على زجاجة كاملة منه بخمسة شلنات فقط في حين أن تكلفتها في الأسواق خمسة وثلاثون شلناً رغم أنها الزجاجة نفسها والمكونات نفسها لكنني أستطيع أن أخبرك بسر لا يجوز الإفصاح عنه، إن المشكلة الوحيدة التي نعاني منها هي عدم تمتع القائمين

على التقطير بالصبر اللازم، إنهم يستعجلون الحصول على الجن قبل أن يصبح معتقاً، لا بد لشراب الجن أن يأخذ وقته الكافي والإسراع في صناعته يجعل مذاقه مختلفاً بعض الشيء ولاذع الطعم، إن بعض الناس يقوم بتقطير الشراب ويتوقع أن يشرب منه في اليوم نفسه، وذلك بالطبع خطأ كبير ولا عجب لو أنه تسبب في قتل أحدهم، أما الجن الموجود في هذا البيت فقد كان مخزوناً في القبو مدة طويلة لا تقل عن خمس سنوات وربما تزيد.

صفق بيديه فأحضروا على الفور إناءً فخماً مليئاً بالجن، تأثرت چاجوا كثيراً بكل تلك المنزلة الرفيعة وذلك الجلال الذي يتسم به ذلك المكان، ولاحظتْ أن غرفة الجلوس مزينة بثلاث من الصور وكانت إحدى تلك الصور للعم نام الذي لم تخطئ في التعرف عليه بسرعة رغم شحوب الصورة وتغير ألوانها بفعل الزمن، كان يرتدي قميصاً بياقة كبيرة وربطة عنق وقبعة، كما أضافت السلسلة الذهبية قدراً من الحيوية عليه لا تختلف كثيراً عن حيوية فريدي في أحسن أحواله.

أرادت چاجوا أن تتعرف على أصحاب الصورتين الأخريين فقال العم نام: ذلك الذي في الوسط هو دافيد نام، والد فريدي، إنه في بورت هاركورت لحضور اجتماع المجلس كما أخبرتك.

توقف العم نام لحظة شاهدتْ چاجوا خلالها علامات الخجل فوق وجهه ثم استطرد قائلاً: أما الرجل الآخر فإنه أحد رجالنا وتسري في عروقه دماؤنا لكننا حين اختلفنا معه ذهب للعيش في كرينياميه، إنها جزيرة في الجانب الآخر من النهر الصغير.

أشار العم نام من النافذة وأضاف: الزعيم أوفوبارا هو اسمه المعروف به .

اقتربت چاجوا من الصورة وراحت تتفحصها فأبصرت شخصاً شديد التأنق ويتسم بوجه عنيد، كان يرتدي قفازاً في يديه ويمسك بعصا ذات رأس ذهبية مما أثار إعجاب چاجوا التي تساءلت قائلة: لماذا رحل من باجانا وذهب للعيش في كرينياميه؟

رشف العم نام رشفة من شراب الجن وقال: إنها قصة طويلة، كان الأمر كله صراعاً حول الشخص الذي يجب أن يحكم باجانا، أنت تعرفين المنافسة على الزعامة، لقد حكمت قبائل اليانيبا باجانا حسب التقاليد والأعراف، وعندما مات سلطانهم منذ ثلاثين عاماً نجح والد فريدي في خلافته، لكن الزعيم أوفوبارا سرعان ما دافع عن حقه في العرش دون أن يتردد في اللجوء إلى المحاكم، وظلت القضية مؤجلة لمدة خمس سنوات، ثم حدث في تلك الأثناء

أنهم اختاروني للقيام بأعمال الوصاية نيابة عن قبائل الياتيبا، وعندما انسحب أوفوبارو فيما بعد وتخلى عن القضية وجد - حسب اعتقادي - أن ابتعاده أمر مكلف جداً وغير مقبول فبدأ بمساعدة أعوانه ومؤيديه في تجهيز الزوارق وتحميلها بممتلكاتهم والتوجه نحو جزيرة كرينياميه حيث قطعوا أشجار الحقول ووضعوا فخاخ صيد الأسماك في المستنقعات وقاموا بحرث الأرض، وها هم الآن يمتلكون قريتهم الخاصة بهم والتي يتولى حكمها الزعيم أوفوبارا.

استطرد العم نام قائلاً: لكنني لم أفقد احترامي للزعيم أوفوبارا فهو أولاً وقبل كل شيء ابن عمنا، غير أننا في باجانا لا نتعامل مع أهل كرينياميه، إنهم أعداء بالنسبة لنا، فعندما يمسكون بأي شخص من باجانا لا يترددون في قتله ونحو مزيد من التحدي فإنهم يرسلون الجثة في زورق لكي نراها، لكننا أيضاً نفعل الشيء نفسه حين نتمكن من الإمساك بأحدهم.

ضحك بصوت أجش وأضاف: وهكذا فإننا الآن دائماً ما نأخذ حذرنا عند الذهاب إلى النهر للحصول على الماء أو للاستحمام، ذلك ما فعلوه بنا ونحن - كما ترين- لا نعبر أبداً الجزء المؤدي إلى كرينياميه، لقد حاول البعض فابتلعتهم التماسيح وصعدت أرواحهم إلى أرض الميعاد وكان ذلك أفضل من وقوعهم أسرى لدى رجال كرينياميه حيث كانوا يأخذونهم إلى الزعيم أوفوبارا ويقومون بتعذيبهم كما فعلوا مع كل رجال باجانا الذين وقعوا تحت يده باستثناء أولئك الذين أعلنوا ولاءهم له وتأييده وقبلوا بالعيش هناك. أنا أخبرك بكل ذلك يا چاجوا لأنه من الصواب أن تعرفي حتى لا تذهبي للسباحة هناك، أما إذا كنت مغرمة بالسباحة وترغبين بممارستها فعليك معرفة المكان الآمن للسباحة.

صبَتْ چاجوا لنفسها مزيداً من شراب الجن وقامت بارتشافه في جرعة واحدة لتشجيع نفسها على الكلام وقالت: ولكن كيف يمكنني معرفة الجزء الخاص بكرينياميه في ذلك النهر؟

-ذلك أمر يسير فالمرشد سوف يقول لك.

-أيها العم نام، كيف تسمح الحكومة للزعيم أوفوبارا أن يفعل كل ذلك دون أن توقفه عند حده؟

ابتسم العم نام وقال: ماذا بوسع الحكومة أن تفعل؟، إن أراضينا التي تحيطها المياه من كل اتجاه صغيرة جداً ومنعزلة وبعيدة عن مراكز القيادة ولا يستطيعون توفير قوات الشرطة اللازمة، نحن أهل باجانا نحب السلام

وأحياناً تأتي قوات الشرطة وتلقي القبض على بعض الناس فيسود الهدوء بعض الوقت ولكن سرعان ما يضطرب الوضع من جديد، إن الكراهية موجودة دائماً بين الطرفين ويحدث أحياناً أن يتفجر الصراع بينهما لأسباب صغيرة وتافهة.

صمت لحظة ثم أضاف: أتعرفين أننا هنا في باجانا مازلنا نؤمن بأن نام هو المؤسس الأول لشعب باجانا رغم رحيل الكثير منهم إلى أماكن متفرقة؟، لقد أعلن الزعيم أوفوبارا على أية حال أنه الحاكم الوحيد الذي يسيطر على البيت الملكي وليس نام، لكن الحقيقة أننا نملك الدليل على أن نام هو مكتشف باجانا ويمكن التأكد من ذلك برؤية النقوش البرونزية، لقد كان ملكنا نام مقاتلاً شجاعاً وقد أجاد استخدام الزورق الذي أهداه له البرتغاليون.

قالت چاجوا: تلك أمور متشعبة وحديث يطول شرحه ولكن هل كان ذلك سبباً في أن أولاد العم قاموا بتبديد أموال البلاط؟

أجاب العم نام: نعم، ولكن لا تحزني لذلك الأمر، أنا لا أقول ذلك إلا للغرباء من أمثالك ونحن في باجانا لم نعد نقلق لذلك الشأن، عندما يذهب دافيد نام إلى اجتماعات المجلس فإنه يستشير المحامين لأنه بمجرد اعتراف الحكومة بوضعه القانوني ستصبح باجانا مكاناً سعيداً وآمناً، أما الآن فنحن شعب بدون حاكم رسمي ومعترف به، ألا ترين كيفية تشييد البيوت؟ لا يستطيع أي شخص أن يعيش هنا بدون متاعب ولأنك ضيفتي يا چاجوا ومن أجل خاطرك فإنه يتحتم عليّ أن أنصحك بالبقاء بعيداً عن ذلك الجزء من باجانا، ولا تتعاملي مع الزعيم أوفوبارا أو أي رجل من كريناميه، لقد أخبرت نانسي وأمها بذلك وهكذا أكون قد قمت بواجبي.

نهض وقال: لا بد أنك ترغبين في الذهاب للاستحمام وتغيير ملابسك، وبعد الانتهاء سوف يصحبك أحد المرشدين في جولة حول باجانا إلا إذا كنت راغبة في البقاء للراحة.

انتهت الخادمة من تنظيف الحجرة الخاصة بچاجوا وترتيبها ثم جاءت لاصطحابها، كانت أغطية السرير الكتانية نظيفة ومفروشة بطريقة منظمة فبدأت چاجوا بخلع قميصها وهمست لنفسها قائلة: تعال يا فريدي ونم معي فوق هذا السرير، تعال لننام معاً في منزل أبيك.

في الليلة التالية توجه العم نام بصحبة چاجوا وماما نانسي إلى الفناء حيث كان قارعو الطبول مستعدين للقيام بأحد العروض الموسيقية، وبعد أن قاموا بترتيب مقاعد ضيوف الشرف المطرزةِ بجوز الهند ووضعها فى مواجهة

الراقصين تقدَم العم نام ووقف بجوار أحد الرجال الثلاثة الذين يحملون تماثيلَ منحوتة من جذوع الأشجار، حسبتْ چاجوا عدد الطبول فعرفتْ أنهم تسع طبلات وكانت الطبلة الرئيسية الكبيرة مرتفعة فوق أحد العازفين بينما كان العازف الثاني ممسكاً بالطبلة المتوسطة بين ركبتيه محاولاً ضبط الإيقاع، أما الرجل الثالث فقد كان مثيراً للدهشة وهو يجلس بمفرده في مواجهة الطبول السبع المتبقية بمختلف أحجامها دون أن يفقد السيطرة على التحكم بإيقاعاتها.

شاهد الرجل الثالث العم نام وهو قادم فسارع بقرع طبوله السبع بطريقته المدهشة للترحيب به مما أثار چاجوا، وعندئذ رفع العم نام يده واستدار نحو زائريه وقال: هذا ما تقوله طبول الحرب وعندما أتحدث مثل هذه الطبول فإن كل القرويين يجتمعون معاً لمعرفة سبب استدعائي لهم.

كان العم نام رجلاً طويل القامة لكنه بدا صغيراً أمام الطبلة العملاقة التي كان يضرب عليها بيديه ضربات متكررة أثناء حديثه وخاصة حين أضاف قائلاً: لقد جاء آباؤنا إلى هنا منذ زمن طويل بغية الاستقرار وظلوا هنا حتى اكتشفوا جزيرة باجانا، إن عائلة نام هي الأسرة الحاكمة رغم كل ما يمكن أن يقوله الزعيم أوفوبارا الذي يستطيع البقاء هناك في كرينامیه كما يشاء لكن عائلة نام هي الأسرة الحاكمة في باجانا.

عادت الطبول تدق من جديد بعد توقف قليل وكانت الإيقاعات ساحرة فشعرت چاجوا برغبة ملحة بخلع ملابسها بالكامل والرقص على تلك الايقاعات المثيرة، جلستْ بالقرب من العم نام فقدَم لها زجاجة من شراب الجن ثم صبَتْ لنفسها كأساً وراحت تنظر إلى النساء وهن يتدفقن إلى المكان عبر بوابة القصر، كانت ماما نانسي تجلس إلى يسار چاجوا لكنهما لم تتبادلا الحديث معاً، أما نانسي فلم تكن موجودة، ساد جو من الصخب ولم يعد ممكناً سماع العم نام، فاضطرت چاجوا إلى الصياح طلباً للهدوء، ثم شاهدتْ مجموعة الراقصين من مسافة بعيدة وهي تتقدم إلى منتصف مكان العرض وعندما بدأ العرض اتسمت حركات الراقصين بالبهلوانية والاتزان وكانت حركات أجسادهم الرياضية بارعة ومثيرة للانتباه. ظلَتْ چاجوا تنظر إليهم باهتمام وبالتدقيق في ملابسهم الحمراء والصفراء وفي قمصانهم الحريرية ذات الأكمام الطويلة المتدلية تذكَرتْ أيام طفولتها في أوجابو عندما كانت ترقص تحت ضوء القمر مع كثير من الفتيات الأخريات اللاتي كن يتمتعن بأثداء صغيرة ومثيرة.

نظرتْ چاجوا إلى مجموعة الراقصين فأبصرتْ إحدى الفتيات، كانت الفتاة ترتدي سواراً معدنياً حول رقبتها وتتمتع بثديين مستديرين فأمسكتْ بذراع مقعدها وقالت لنفسها: منْ تكون هذه الفتاة؟

أجابت ماما نانسي رغم عدم توجيه السؤال لها: إنها ابنتي نانسي فمنذ مجيئنا إلى هنا وهي تواصل التدريب مع الراقصين.

امتلأ قلب چاجوا بالغيرة والحسد وأصبحت عيناها مفتوحتين عن آخرهما من شدة الدهشة حتى تراءتْ نانسي أمامها في صورة فتاتين وليست واحدة، وكانت كلتا الصورتين البعيدتين عن المشهد ترقصان بمرونة وبراعة فائقتين اهتز المكان لهما من شدة التصفيق.

سمعتْ چاجوا العم نام الجالس إلى جوارها وهو يصفق مبتهجاً وشاهدته وهو يلوح بكأسه إلى اليمين واليسار، وعندئذ شاهدتْ نانسي في صورة واحدة فتنهدتْ وقالتْ بهدوء: يمكنني الرقص بطريقة أفضل من تلك الطريقة.

ابتسم العم نام بوجه ماما نانسي وقال: أوه، إن ابنتك بارعة وموهوبة بالرقص، إنها ترقص مثل فتيات باجانا وكلما نظرت إليها كلما عرفت السبب وراء تعلق فريدي بها.

ضحك بصوت عال ثم نهض ومضى في طريقه نحو حلبة الرقص.

شاهدته چاجوا وهو يستخرج عملة نقدية من فئة الشلن ويلصقها فوق جبين نانسي، إنه لشرف عظيم بالنسبة لها أن ينعم عليها حاكم يانيبا نفسه بذلك التذكار، ابتعد العم نام عن حلبة الرقص فلاحقه جمهور الحاضرين بالتصفيق الحاد من كل اتجاه ومن كل شخص ما عدا چاجوا التي أدركتْ أن نانسي قد انتزعتْ حب وإعجاب أهل باجانا وعرفت أنهم بدؤوا ينظرون إليها وكأنها واحدة منهم.

استدارتْ چاجوا وقالت للعم نام: معذرة، سأذهب إلى البيت.

لم تكن متأكدة مما تريد أن تفعله في حجرتها غير أن بقاءها في ذلك المكان أصبح فوق قدرتها على الاحتمال، أبصرتْ ماما نانسي وهي تراقبها وقد بدت على وجهها علامات السخرية والازدراء مما أصابها بالغيظ والاستياء.

قال العم نام: اجلسي يا عزيزتي، نحن في بداية البرنامج وسنظل هنا حتى منتصف الليل.

-أعرف، سأعود حالاً.

حدَق العم نام في وجهها وقال: هل ستغيرين ملابسك وتعودين للمشاركة في حلبة الرقص؟، شيء جميل أن تفعلي ذلك ليصبح الأمر أكثر بهجة ومرحاً.

أصابتها الدهشة من قدرته على معرفة ما يدور برأسها فقالت: لا، إنني ذاهبة فقط للاسترخاء قليلاً.

وكما جذبت نانسي أهل باجانا بشبابها وفتنتها فكرتْ چاجوا في أن تعرض عليهم خبرتها في الحياة كي تشد انتباههم، هي تعرف أنها ليست شابة مثل نانسي وإذن يجب عليها أن تتقدم بشيء يفوق كثيراً رقص أهل باجانا الجميل، لكنها وبعد تفكير طويل لم تصل إلى فكرة بعينها.

احتلَتْ مجموعة من المتنكرين حلبة الرقص بدلاً من مجموعة نانسي فجلستْ چاجوا وراحتْ تشاهد العرض.

نهضتْ چاجوا في الصباح الباكر ومضتْ نحو النهر الصغير للاستحمام دون أن تنعم بالنوم طوال الليل على العكس من أهل باجانا الذين راحوا في نوم عميق، كانت نانسي تقف عارية أمام النهر فقالت چاجوا لنفسها بدهشة: كيف جاءت قبلي وفي هذا الوقت المبكر؟

كانت چاجوا وحيدة وهي تنظر بهدوء إلى النهر الصغير من كل اتجاه وفيما وراء الصخور، أبصرتْ قرية كرينا ميه التي مازال أهلها نائمون فيما عدا قليل من الصيادين الجالسين في زوارقهم، كانوا يتنقلون من شبكة للصيد إلى أخرى بحثاً عن السمك، شاهدتْ چاجوا وجه نانسي فوق حافة المياه فلم تتعاطف معها ولم تشعر تجاهها بالإعجاب، ثم نظرت إلى بشرتها الناعمة الحريرية وجسدها المرن الشاب فعرفت أن مفاصلها تبدو مكتنزة أكثر مما تبدو عليه وهي ترتدي ملابسها وأدركت عندئذ بحكم خبرتها أنها ليست عذراء.

سارتْ چاجوا على أصابع قدميها حتى وصلت إلى حافة المياه فأبصرت نانسي وهي تجدِف في المياه بكلتا يديها وقدميها، توقفتْ نانسي بعد أن شعرت بالبرودة وكان عمق المياه لا يتجاوز ثلاثة أقدام لكن صخور كرينا ميه

القاسية كانت مكدسة في القاع فراحتْ تتمتم ببعض الكلمات بصوت خفيض.

قالت چاجوا: ماذا تفعلين يا نانسي في المياه في ذلك الصباح الباكر، إن الطيور لم تستيقظ بعد.

استدارتْ نانسي وأصبحت في مواجهة چاجوا وكان ضوء الصباح الضبابي خافتاً فبدا وجهها مكسواً بالضباب والغموض وقالت: ماذا أفعل؟!، أوه عمتي چاجوا!! ماذا تعتقدين؟ هل تعتقدين أنني جئت إلى هنا لتقديم الأضحيات أو عمل تعويذة الجوجو السحرية كما اعتاد بعض الناس أن يفعل؟!

- منْ الذي اعتاد على تقديم الأضحيات وأعمال السحر يا نانسي؟ هل هي أمك؟

- آه، لا تذكري أحداً باسمه، وعلي أية حال فإن كثيراً من الناس يأتي إلى هنا بالقرب من جانب المياه وبخاصة المرأة التي تحب رجلاً ولا يبادلها الرجل الحب نفسه، إن مثل تلك المرأة هي التي تأتي في الصباح الباكر لتذبح دجاجة وتقدمها قرباناً على أمل أن يبادلها الرجل حباً بحب.

- هل تقصدين شخصاً بعينه يا نانسي؟ لقد جئت لأتحدث معك، أريد أن أسمع قولك فيما حدث من لغو فأنت تستطيعين لو شئت أن تشرحي لي ما حدث بينك وبين فريدي نام أم أن أمك هي التي تستطيع؟

- دعك من أمي يا چاجوا، تستطيعين أن تلعنيني كما تشائين لكن من الأجدر أن تبتعدي عن أمي تماماً وليس لك الحق حتى بذكر اسمها لأنها أفضل منك في كل شيء.

جدَفتْ چاجوا بقدميها في المياه خلف نانسي وقالت: أفضل مني!!، انتظريني يا عزيزتي فها أنذا أقترب منك لتشرحي لي السبب الذي جعلك تملكين مثل هذه الجرأة على القول بأن أمك أفضل من چاجوا نانا.

- أنت تغارين من الفتيات الصغيرات من أمثالي لكن أمي لا تعاشر سوى الرجال الذين يعادلونها في العمر ولا تحاول إغواء الشباب الصغير من عمر أبنائها، أنت تطاردين فريدي لأنك تعتقدين أنه قد يزودك بالدماء الشابة غير أن العلاج يكون صعباً ومختلفاً حين يكون الانسان عجوزاً، يجب أن تتعاملي مع نفسك ومع الآخرين على أنك كبيرة في السن وهكذا يستطيع الناس أن يتعاملوا معك باحترام، لقد نالت أمي الاحترام أما أنت فلا، أنت تريدين أن

ترقصي بخفة ونشاط كما أفعل أنا وترتدين مشدات الخصر والأرداف وتلك الأشياء التي ترفع الأثداء وتشدها وتتمكنين بذلك من خداع الرجال الذين لا يعرفون، مع العلم بأن كل تلك الأشياء لا تكون جميلة ومثيرة إلا إذا كانت طبيعية، إنها أشياء لا تغتصب وإنما هي منحة من الله ولا يستطيع الإنسان مهما بلغت قدرته أن يصنعها، ومن الأفضل أن أخبرك الآن أنك تبددين وقتك حين تفكرين بفريدي خاصة وأنه قد اختارني، سوف يدفع لك كل النقود التي أخذها منك وسوف أساعده بكل ما أستطيع لنرد لك كل النقود.

لم تقل نانسي كل شيء فابتسمتْ چاجوا وكانت طريقة نانسي الوقحة في الكلام قد جعلتها تكتشف قدرتها على التحكم في نفسها، بدأتْ تخلع ملابسها بسرعة وقد غضبت قليلاً من سخرية نانسي مما دفعها إلى التهور فقالت وهي تواصل خلع ملابسها: أنت تلقينني درساً اليوم ونحن في المياه يا نانسي!.

أشارت نانسي بيدها نحو چاجوا وقالت قبل أن تغوص في الماء: تعالي هنا، اقتربي مني وسوف أخبرك بما أريد، سوف أعلمك كيف تتحركين في الماء.

كانت چاجوا عارية تماماً فسارعت بالغوص خلف نانسي لكن نانسي كانت تسبح بسرعة كالتمساح وظلتْ چاجوا تتعقبها بغضب شديد، كان رأس نانسي يظهر فوق السطح من آن لآخر وسرعان ما يغوص مرة ثانية لكن المسافة بينها وبين چاجوا كانت تقترب من الخمسين ياردة وكانت كلتاهما على وشك الوصول إلى الصخور مما يعني اقترابهما من كريناميه التي حذرها منها العم نام لكنها لم تشأ أن تعود قبل اللحاق بنانسي كي تبرهن لها بأنها ليست تلك المرأة العجوز.

توقفتْ لالتقاط أنفاسها وراحت تهدئ من نفسها وتدفع قدميها ببطء فاختفت نانسي مرة أخرى، وعندما أبصرتْ چاجوا رأسها يعاود الظهور أدركتْ أن الفتاة قد دخلت مياه كريناميه ثم شاهدتْ فجأة رجلاً فوق الصخور وكأنه خدعة سحرية، رفع الرجل ذراعه وقذف بشيء ما باتجاه نانسي ثم بدأ يغوص وراءها، وحين شاهدته نانسي حاولتْ أن تسبح باتجاه باجانا، وفي خلال جزء من الثانية كان عشرة من الشباب يغوصون في المياه حول مختلف أنواع الصخور، نظرتْ چاجوا إلى أعينهم فعرفتْ مقاصدهم، لا بد أنهم قتلة، كانت المياه مليئة بالشباب الذين راحوا يحيطون بنانسي البائسة وكان بعضهم يسبح فاتحاً فكيه عن آخرهما كالتماسيح وهي تندفع بسرعة للانقضاض على فريستها.

استدارتْ چاجوا بسرعة وراحتْ تسبح باتجاه شاطئ باجانا ثم شعرتْ بتقلص مفاجئ في قدميها وسرت في جسدها موجة من الخدر، ضغطتْ على أسنانها وبذلتْ مجهوداً كبيراً حتى وصلت إلى الشاطئ حيث كانت ملابسها مبعثرة في مكان بعيد عن الشاطئ، وفي تلك الأثناء كان ضوء النهار قد سطع فوق الشاطئ وحين راحت تسير باتجاه ملابسها شاهدتْ امرأة تقف ثابتة في مكانها، إنها ماما نانسي التي راحت تنظر إليها بعينين مليئتين بالاتهامات بعد أن شاهدتْ كل شيء.

لم تستطع چاجوا أن تشعر تجاهها بالود فأمسكتْ بها ماما نانسي وشدتها إليها بقبضة يدها وقالتْ: أيتها المرأة العجوز چاجوا، ماذا كنت تفعلين مع نانسي؟ ماذا فعلت مع ابنتي؟

استطاعت چاجوا أن تتخلص من قبضة يدها ثم سارعتْ بالجري نحو ملابسها لكن ماما نانسي لم تتوقف عن ملاحقتها.

بدتْ ماما نانسي كامرأة أصابها الجنون وهي تلاحق چاجوا وتصرخ: لقد أغرقتْ چاجوا ابنتي، چاجوا قتلتْ نانسي.

كان الطريق مزدحماً بالأولاد والبنات وهم في طريقهم للحصول على المياه من الآبار حين بدأت ماما نانسي في الجري نحو القصر وهي تعاود الصراخ: لقد قتلتِ المرأة العجوز ابنتي، الرحمة يا إلهي لقد جئت إلى باجانا لأفقد ابنتي، چاجوا قتلتْ نانسي، أعيدوا لي نانسي ابنتي الوحيدة.

غضبتْ چاجوا بشدة وانتابها الفزع وهي تقول لنفسها: اذا كان أهل كرينا ميه قد قتلوا نانسي فعلاً وإذا كانت جثتها تطفو الآن فاللوم كله يقع عليها، أما أنا فلم يكن في نيتي أبداً أن أغرقها أو أقتلها، كنت أرغب فقط في أن ألقنها درساً.

ارتعشتْ أصابع چاجوا واستطاعت بصعوبة أن ترتدي ملابسها ثم بدأت تجري عائدة إلى القصر.

# (١٤)

بدت عينا العم نام متورمتين من كثرة شراب الجن وكان يقاوم النوم بصعوبة حين شاهدتْ چاجوا ماما نانسي وهي جالسة في الردهة، أشار العم نام إلى چاجوا وقال: ماذا فعلت؟، لقد قمت بتحذيرك، أليس كذلك؟ هل ذهبت ودفعت نانسي إلى النهر؟ لقد قمت بتسليمها إلى قبضة أهل كرينا ميه.

أحاط رأسه بكلتا يديه وأضاف قائلاً: يا إلهي.

صاحتْ ماما نانسي وقالتْ: لا بد من شنق هذه المرأة العجوز، هذه المومس الوحشية.

قالت چاجوا: لم أقصد ذلك أيها العم نام، لقد كنا نتسابق وكنت أجري خلفها في الماء حتى تعرف بأنني ما زلت شابة مثلها ثم...

كانت ملابس نوم العم نام متجعدة وكانت عيناه مشعتين، تقدَم خطوة إلى الأمام وأخرى إلى الخلف وقال: أوه، عزيزتي، سوف يقومون بتعذيبها وسيقتلونها ولقد أصبح الوقت متأخراً الآن لعمل أي شيء، إنها ضيفتي تلك الراقصة البارعة.

شاهد رجلاً يعبر أمام القصر فصاح قائلاً: اذهب في الحال واقرع طبول الحرب.

بدت علامات الفزع فوق وجه الرجل الذي قال متسائلاً: الآن سموك؟ ماذا حدث؟ هل سنقاتل أحداً؟

-لقد سمعتني، قلت لك أن تذهب وتقرع طبول الحرب، لا تقف هكذا وكف عن الجدل.

انطلقت الهتافات في الحال مرددة: اقرعوا طبول الحرب، اقرعوا طبول الحرب.

امتلأتْ ساحة القصر بالحركة واندفع الرجال والنساء في كل اتجاه بينما راحت الماعز تصدر أصواتاً غريبة وهي تعبِر عن قلقها وكانت تسقط مخلفاتها وهي تهرب بحثاً عن مكان آمن.

جاء قارعو الطبول وكانوا هم الرجال الثلاثة نفسهم الذين شاهدتهم چاجوا في الليلة السابقة، لكن دقات طبولهم هذه المرة كانت قوية وتحمل معنى الوحشة والخوف.

استجاب الرجال في كل أنحاء باجانا لنداء الحرب فهرعوا إلى بيوتهم لاستخراج سيوفهم المزخرفة وبنادقهم الدنماركية ثم ارتدى كلٌّ منهم بنطاله القصير ولف الحبال حول خصره وعادوا بسرعة إلى القصر، كانوا مستعدين للحرب فوقف العم نام أمام باب القصر وتحدث إليهم بجدية ثم أشار إلى أكثرهم طولاً، تقدَم الرجل الطويل نحو العم نام الذي كان يتحدث مع أهل باجانا بلغتهم فلم تستطع چاجوا أن تفهم شيئاً غير أنها أدركت بأن الرجل الطوبل سيكون قائد الحملة ضد أوفوبارا زعيم كرينياميه.

كانت مهمتهم الأساسية هي استرداد نانسي وصدرت لهم الأوامر بإخراج زوارق الحرب من مخابئها وتجهيزها بالأسلحة اللازمة للإبحار نحو كرينياميه.

صفَق العم نام بيديه فاختفى الرجال بسرعة ولاحظتْ چاجوا في تلك الأثناء أنه أصبح رجلاً مختلفاً ولم يعد هو ذلك المضيف الكريم، كان متوتراً ولا يتسم بأي نوع من الود فلم تستطع چاجوا أن تنظر في وجهه.

كانت ماما نانسي تلعن چاجوا وتقول بصوت عال: أيتها المرأة اللعوب، لن تموتي بطريقة عادية وإنما ستموتين في البالوعة وسينتزع النسر عينيك.

رفع العم نام يده وقال: عليك بالصبر يا ماما نانسي فأنا أعرف ما تشعرين به، إن نانسي فتاة طيبة ولن يحدث لها أي مكروه كما أننا جميعاً نحبها، أهل باجانا كلهم يحبونها.

توجه العم نام إلى داخل الحجرة فتبعته چاجوا، ظلَ يخطو إلى الأمام وإلى الخلف وكأنه في حلم، احتشدتْ النساء في الفناء ورحن يرقصن ويشعلن النار دون أن يتوقفن عن الصراخ والهتافات ثم حملن الهراوات التي يعلقنها أحياناً فوق الجدران تحسباً لأي مواجهة مع كرينياميه.

ركعتْ چاجوا أمام العم نام الذي بدا متغطرساً وهو يقول لها: لا تقتربي مني فأنت السبب في كل ما يحدث الآن، من المفترض أن تنهضي وتمضي معي إلى الداخل لأغلق عليك الباب، لدينا سجن هنا والزج بك داخله سيكون أفضل لك من القذف بك في مياه كرينياميه المليئة بالمخاطر.

قالت چاجوا: معذرة سموك، أريد الذهاب إلى هناك ، دعني أذهب إلى كرينااميه بمفردي.

توقف العم نام عن السير فجأة وقال: ماذا؟

أجابت چاجوا: أتوسل إليك ألا ترسل زوارق الحرب إلى كرينااميه حتى لا يموت كثير من الناس، انه أنا - أيها العم نام - التي كنت سبباً في هذه المشكلة فأرجوك أن تسمح لي بالذهاب لمقابلة الزعيم أوفوبارا.

نظر إليها العم نام بدهشة حيث جلستْ بخنوع معبرة عن أسفها وقال: ماذا تستطيعين أن تفعلي؟ يستطيع الزعيم أوفوبارا أن يأسرك أيضاً كما فعل مع نانسي، لا، أنا أرفض ذلك.

بدأت چاجوا بالبكاء بصوت عال وقالت: أيها العم نام، أتوسل إليك أن تسمح لي، سأذهب إلى هناك وأطلب من الزعيم أوفوبارا أن يقبض على بدلاً من نانسي، إنني على استعداد لتقديم التضحية كما أنني مستعدة للمخاطرة.

أمسك العم نام بوجهه وضحك بسخرية ثم جلس وقال: أنت تمزحين، أنت لا تعرفين أوفوبارا، إنه قريبي وهو رجل شرير ومولع بالأذى، أنت لا تعرفينه، ها، ها.

لم تخف چاجوا وقالت بإصرار: أرجو سموك ألا تشغل بالك فأنا السبب في هذه المشكلة وإذا سمحت لي وتركتني فسوف أذهب إلى هناك وأطلب من الزعيم أوفوبارا أن يقتلني إذا شاء بشرط أن يترك نانسي، أريد منك فقط أن تمنحني بحاراً متمرساً لاصطحابي فوق الزورق والإبحار بي إلى هناك وإذا لم يحالفني الحظ بالعودة مع نانسي في أسرع وقت فإنه يمكنك عندئذ أن ترسل جيشك.

نظرتْ إلي عينيه فأبصرتْ وميضاً خافتاً من الحيرة فاستطردتْ: ليس من الصواب أن تجازف بالشباب الأبرياء وليس في ذلك ما يدل على القوة أو النفوذ، إذا أرسلت رجالك وهم مسلحون بالقوة والعتاد فإن الزعيم أوفوبارا سيتصدى لهم بالقوة نفسها ولكن ماذا بوسعه أن يفعل حين يرى امرأة بسيطة وعادية مثلي؟ لا بد أنه لن يفعل شيئاً سوى الضحك.

نظر العم نام إلى چاجوا الراكعة ثم رفع عينيه وسدَد نظراته إلى الأمام وقال بلا

تردد: اذهبي واستعدي للرحيل، سآكلف أبرع رجالي في التجديف لاصطحابك وإذا لم تعودي ومعك نانسي في خلال أربع وعشرين ساعة فسوف يشتعل نهر كريناميه الصغير ويمتلئ بالدماء.

سجدتْ چاجوا أمامه فنظر إليها وابتسم قائلاً: انهضي الآن فالوقت يمضي.

نهضتْ چاجوا وقالت: باركك الله أيها العم نام.

وفي الطريق إلى حجرتها كانت ماما نانسي ما تزال منتظرة في الردهة فنظرت إليها بعبوس.

ارتدتْ أحسن ثيابها وأحسنت تصفيف شعرها وفي أقل من ساعة بدت في صورة چاجوا الفاتنة المثيرة مما جعلها تشعر بالسرور وبدا الأمر لها وكأنهم أسقطوا فتيات نادي تروبيكانا من طائرة الهليوكوبتر فوق الفراشات الغارقة في الطين، وتراءت لها جذوع شجرة المانجروف وأضواء الزوارق الخفيفة المنعكسة فوق المياه كأشياء عجيبة تدعو إلى التأمل. شعرتْ چاجوا كأنها صياد استطاع أن يشم رائحة أسد جريح في الغابة دون أن تراه لكنها - رغم كل ذكائها - لم تكن تعرف شيئاً عن قوة العدو الكامنة ولا عن الوقت الذي سيبدأ فيه الهجوم.

بدتْ چاجوا متأنقة وفاتنة كعادتها، وحين ظهرتْ أمام العم نام لم يستطع إخفاء نظراته المليئة بالإعجاب وكذلك فعل كل الرجال وهم ينظرون إليها باندهاش.

قالت للعم نام: هل الرجل البارع في التجديف جاهز؟

أجاب العم نام: إنه بانتظارك.

مضتْ في سيرها نحو الشاطئ وهي ترفع المظلة فوق رأسها وتلقي بنظراتها نحو باجانا دون أن تهتم كثيراً بنظرات الدهشة والإعجاب التي تلاحقها، كانت تصبغ شفتيها بأحمر الشفاة الفاقع وكان قميصها الفضفاض بدون أكمام ولا يغطي سوى أطراف ثدييها أما تنورتها فكانت ضيقة جداً حتى إنها لم تستطع أن تبسط ساقيها أو تمشي بخطوات تزيد على ست بوصات في كل خطوة، كانت التنورة رمادية اللون ذات أزرار ثلاثة كبيرة من الأمام وفتحة كبيرة من الخلف مما ساعد في إظهار ساقيها ذات اللون الزيتوني وكانت قدماها مثبتتين داخل حذاء بكعب عال وتحمل حقيبة بلاستيكية وترتدي

الباروكة التي تبدو فيها دائماً كواحدة من نساء شبه جزيرة الملايو أو كامرأة هندية فاتنة.

شعر رجلان بالسعادة عند الشاطئ عندما حظيا بشرف رفعها ووضعها داخل الزورق، ورغم سهولة رؤية كرينا ميه في ذلك الوقت من بعد الظهر إلا أن الرحلة استغرقت أكثر من ساعة، كان الرجل المصاحب لها في الزورق يغني وهو يجدِف دون أن يؤثر انهماكه في الغناء على مهارته في التجديف، جلستْ چاجوا بوجه صارم وبطريقة توحي بالجلال والفخامة وبدتْ كأنها أميرة تروبيكانا وهي تعبر نهر كرينا ميه.

تعامل معها شباب كرينا ميه عند الشاطئ لحظة وصولها باحترام شديد لا يحدث إلا مع الشخصيات الملكية مثل العم نام، وأصابتها الدهشة من معرفتهم الأكيدة بأنها جاءت لرؤية الزعيم أوفوبارا، اصطحبوها إلى قاعة الانتظار حيث جلستْ وراحت تتطلع إلى الصورة نفسها التي شاهدتها في قاعة انتظار باجانا، وعندما ظهر الزعيم أوفوبارا بنفسه بدا لها أكبر مما هو عليه في الصورة، كانت عيناه منتفختين ولم يكن مبتهجاً، وكان يرتدي قميصاً من الحرير ويربط قطعة من قماش الجورجيت الحريري حول خصره ويحمل منشة لطرد الذباب، وكان خادمه ذو الأربعة عشر عاماً يقف إلى جواره.

قال الزعيم أوفوبارا لچاجوا متسائلاً: من أين أنت؟

- أنا من لاجوس سموك ولقد جئت لقضاء إجازتي في باجانا حيث شاهدت صورتكم في بيت العم نام.

ابتسم الزعيم أوفوبارا وقال: مرحباً بك، أنت جميلة جداً يا سيدتي.

ابتسمتْ چاجوا أيضاً واصطنعتِ الخجل ثم قالتْ: أنا أحب كرينا ميه كثيراً.

أشرق وجه الزعيم أوفوبارا وقال: إنه مكان جميل ونحن ما زلنا نحاول من أجل تحسين الوضع والمضي قدماً نحو الأفضل خاصة وأن لدينا مشاكلنا كما تعرفين .

استطرد أوفوبارا وراح يتحدث عن الخلاف بينه وبين أهل نام وعن توقعاته لبرامج التعليم في جزيرة كرينا ميه وعن التجارة والأعمال حتى قال: إن أهل نام يملكون كل القوة لكننا سنحاول التقدم للأمام، نحن نعمل ببطء...

صفقَ بيديه على طريقة أهل نام فأحضروا إناء الشراب على الفور ثم قدَمه لچاجوا واستطرد قائلاً : هذا ما نشربه هنا وهذا الشراب يساعدنا على نسيان ما يحدث في العالم، أخبريني عن لاجوس، هل ما زالوا منقسمين على أنفسهم ويعملون لحساب أحزاب صغيرة؟ لن نتقدَم بمثل هذه الطريقة كما تعرفين ولا بد أن نتوحد.

قالت چاجوا: هل تؤمن بالوحدة؟ لماذا انفصلت إذن عن عائلة نام؟ ولماذا لا تقف معهم في صف واحد؟

نظر إليها بإمعان وكانتْ چاجوا متأكدة بأنه لا يصوب نظراته الفاحصة في اتجاه وجهها بل فيما وراء ذلك الوجه ثم أجاب قائلاً: أنت لا تعرفين الأمر جيداً يا عزيزتي لأنك غريبة عنا ومن الخطأ أن تسمعي طرفاً واحداً فقط لتحكمي على الأمور.

بدأ يحكي لها قصة باجانا، وعندما انتهى من سرد الحكاية بدا لها الزعيم أوفوبارا بشكل جديد ومختلف، رأتْ چاجوا أنه غير راغب في النزاع أو الحرب فهو الذي انسحب حين شعر بأن أموالاً طائلة ستضيع وأن الناس ستعاني وعرفتْ بأنه لم يزل عند تقديره لذلك الحب الذي طالما تمتعت به العائلة ولتلك الصداقة التي لم يختلفوا بشأنها في يوم من الأيام، كان يرغب بتعليم أهله في كرينياميه وباجانا والعمل على الارتقاء بهم وازدهار تجارتهم، لكن الرغبة وحدها لم تكن كافية ولم يتحرك أحد لمساعدته كما لم تتوفر الثقة بين العائلتين، وكانت العائلتان تنظران إلى بعضهما البعض بارتياب ولم تستطع إحداهما التوحد مع الأخرى في أي وقت من الأوقات، وبدلاً من التوحد ظلت كلتا العائلتين تنسجان الحكايات المتبادلة الزائفة التي ساهمت في توسيع الفجوة بين الطرفين.

أضاف الزعيم أوفوبارا قائلاً بشموخ: نحن جميعاً أفارقة ويجب أن نتوحد ولا وقت للنزاع والتشاجر من أجل أمور تافهة، فأنا مثلاً لم أذهب أبداً إلى أي مكان وظللت هنا في كرينياميه لمساعدة أهلي، ولكن إذا حدث وتدخل أحد في شؤوني أو وضع إصبعه في عيني فإنني لن أتردد في محاربته.

تأثرتْ چاجوا بما قال وبدا لها في تلك اللحظة كأنه شخص شرير لكنها كانت تعرف بأنه إنسان هادئ وواقعي ووقور وأن رأسه مليء بالأفكار الصائبة.

لم تكن قد أخبرته بعد عن المهمة التي جاءت من أجلها لأنها لم تشأ أن تقاطعه وكانت متأثرة بسماعه وهو يواصل حديثه، لكن فكرة بعينها قفزت

إلى رأسها أثناء حديثه وكان عليها أن تتسلح بالجرأة الكافية حتى تتمكن من مقاطعته، وبعد أن حاولت مرات عديدة قالت: لدي ما أخبرك به.

ابتسم الزعيم أوفوبارا وقال: لدينا متسع من الوقت.

ثم راح يستطرد في الحديث عن مستقبل كريناميه وباجانا وعن أهل باجانا الذين تفرقوا عن بعضهم البعض بسبب نزاعات تافهة جعلتهم يهجرون أرضهم ويعيشون في المنفي.

ابتسم مرة أخرى وأضاف: أنا أحب الحديث معك فنحن متفقان في أشياء كثيرة ولم يحدث من قبل أن قابلت امرأة في مثل ذكائك.

تذكرتْ چاجوا أن العم نام قد أمهلها أربع وعشرين ساعة فقط لتعود بنتائج طيبة وأن نانسي في تلك اللحظات أسيرة بين أيدي معتقليها وتشتاق للخلاص، لكنها أدركتْ في الوقت ذاته أن الإسراع في دفع الزعيم أوفوبارا قد يأتي بنتائج عكسية لا تخدم السبب الذي جاءت من أجله.

رأى الزعيم أوفوبارا أن يصطحب چاجوا في جولة حول القصر حتى يحين موعد الغداء، فمضى معها لزيارة المتحف وبيت الحكمة والمكتب، وحين دخلا حجرة الطعام قال لها: إن مقاعد هذه الحجرة هي مجرد هدية قدمها أحد أبناء البرتغال إلى جدي.

دخلا في النهاية إلى حجرة خاصة تفوح منها بقوة رائحة أخشاب الغابة النفيسة وتغطي جدرانها أقمشة حريرية ناعمة، وثمة سرير فسيح ذي أربع قوائم ومراتب كبيرة من النوع الهزاز مغطى بملاءة مخملية مزخرفة بشتي النقوش كان يتوسط الحجرة.

قالت چاجوا: حجرة رائعة وجميلة جداً.

شعر الزعيم أوفوبارا بالزهو وقال: حجرة النوم هذه تليق بالملكات، إن زوجاتي يأتين لمقابلتي هنا، إنني متزوج من ثلاث نساء فقط وكل واحدة منهن لديها مكانها الخاص ولا يأتين لزيارتي هنا إلا حين أطلب منهن ذلك.

تناولتْ چاجوا المروحة من حقيبتها وراحتْ تحركها أمام صدرها فانطلقت من شفتيها المتشققتين تنهيدة لم تكن تقصدها ثم ألقتْ بجسدها فوق المقعد بطريقة طائشة وقالتْ: أوه، أنا أشعر بالتعب.

مال الزعيم آوفوبارا ناحيتها ثم آمسك بيدها وساعدها في الجلوس فوق الأريكة وقال: إنها غلطتي، تعالي واستريحي هنا.

قالت چاجوا: شكراً.

تمددتْ فوق الأريكة باسترخاء حتى سقط أحد أزرار تنورتها عن موضعه فظهر فخذها ثم رمقت الزعيم بنظرة مثيرة للرغبة.

أزاحها برفق وقال قبل أن يجلس إلى جوارها: أنا أيضاً أشعر بالتعب، هل أجلس؟.

ساد صمت مطبق وتلألأت الحجرة بوميض غريب وتشبعت برائحة بخور عتيق.

شعرتْ چاجوا أمام ضخامة جسده أنها ضعيفة وصغيرة رغم أنها لم تكن كذلك بأي حال وقال لها في تلك الأثناء: يجب أن تنامي في هذه الحجرة، لدينا الكثير من النساء الجميلات في كريناميه غير أنك تتفوقين عليهن جميعاً، أنت جميلة ورقيقة.

شعرتْ چاجوا بأنفاسه فوق أذنيها وتسببت رائحة الكحول المنبعثة من فمه في إشعال رغبتها لكنها قالتْ: لم آت إلى هنا لكي أنام يا سمو الزعيم وإنما جئت لأتوسل وأطلب منكم خدمة ما.

-أنت لطيفة وواضحة يا سيدتي كما أنك تعرفين ما تريدين.

-إنها خدمة كبيرة ولا أعرف كيف أبدأ.

انحنى وهو يمسك بيدها ويقبلها وقد دغدغ شاربه الكبير بشرة يدها ثم قال: هيا ابدئي وقولي ما عندك، وبالمناسبة فإنني أريد أن أعرف المكان الذي جئت منه والبلد الذي تنتمين إليه .

ابتسمتْ چاجوا وقالتْ: إن مدينتي الأصلية هي أوجابو، إنني سيدة من أوجابو.

- هل كل النساء في أوجابو جميلات مثلك؟ لا بد أن تكون زوجتي القادمة من هناك.

ضحكتْ چاجوا وهزّت كتفيها وهي تقهقه بطريقة مبتذلة حتى تتحلى بالإغراء اللازم وعندئذ أدرك الزعيم أوفوبارا مقصدها فوضع ذراعه فوق كتفها، استسلمتْ چاجوا لكنه حين لمس ثدييها بأصابع يديه دفعته بعيداً ورمقته بنظرة توبيخ واستنكار فقال: أنت تشبهين الملكة يا مدام، إن زوجك رجل محظوظ .

عاودتْ چاجوا الضحك وقالت بصوت ضعيف: لماذا؟ لكنني لست متزوجة وأعيش بمفردي.

- ستظلين جميلة إلى الأبد.

دارتْ چاجوا حول قدميها لكن الزعيم أمسك بها من الخلف وقال: أنت امرأة متفجرة بالأنوثة، أوه، هل قلت شيئاً بذيئاً؟

- أنت تعرفني اليوم لأول مرة فقط وتحاول أن تنام معي، ماذا لو جاءت زوجتك وشاهدتنا هنا الآن؟

نظر إلى الباب وقال: لقد أخبرتك من قبل أن زوجاتي لا يأتين إلى هنا إلا إذا أرسلت في طلبهن.

قالتْ چاجوا بصوت عذب ورقيق للغاية: لم آت إلى هنا من أجل ذلك، لقد جئت إلى باجانا للزيارة ثم تعرضت إحدى الفتيات لحادثة هذا الصباح حيث أمسك بها رجالك وجاؤوا بها إلى هنا.

-حادثة؟! أخبريني عن تلك الحادثة وأتمني ألا يكون قد أصابك مكروه.

-هذا ما كنت أحاول إخبارك به طيلة الوقت الفائت.

أخبرته چاجوا بكل التفاصيل التي حدثت مع نانسي وحدثته عن خوفها وقلقها مما يكون قد حدث مع نانسي منذ ذلك الوقت حتى قالتْ: أتمني أن تستخدم كل نفوذك لإطلاق سراح الفتاة المسكينة خاصة وأنني سبب المشكلة.

ألقتْ بنفسها عند قدميه وبدأت بالبكاء ثم استطردتْ: إن الفتاة لم تفعل شيئاً يسيء إليك أو إلى دافيد نام، إنها ليست من هذه المنطقة، لقد أمسك بها رجالك من الشباب وسوف يقتلونها رغم أنها لم تفعل لهم شيئاً.

ساعدها في النهوض حتى وقفت على قدميها ثم وضعها فوق الأريكة وقال: لا، لا، لا سيدتي العزيزة، أعدك بأن أحداً لا يملك الحق في معاقبة الفتاة، إنهم يطلعونني عادة على أي أسير وسوف أذهب الآن لإطلاق سراحها، إنني متأكد بأنهم بانتظار قدومي لرؤيتها، معذرة فإنني لن أتأخر كثيراً.

مضى في حال سبيله فشعرتْ چاجوا بالإثارة والقلق .

مضت حوالي ساعة كاملة ولم يعد الزعيم أوفوبارا فراحت چاجوا تفك أزرار قميصها وتنورتها ثم فردت كلتا قدميها فوق الأريكة ووضعتْ رأسها فوق مسند الأريكة، أغلقتْ عينيها وتظاهرتْ بالنوم ومن خلال عينين نصف مغمضتين شاهدته وهو يدخل ولمحتْ ابتسامة النصر فوق وجهه، مشى فوق أصابع قدميه متجهاً ناحيتها حيث ترقد ثم انحنى فوقها وداعب شفتيها بشاربه الكثيف، نهض وأغلق الباب ثم عاد إليها وقال: هل أنت نائمة؟

ظل واقفاً إلى جوارها وكانت ما تزال راقدة فوق الأريكة بعينين مغمضتين فمال بجسده حتى اقترب منها أكثر، وما هي إلا لحظة خاطفة حتى شعرت چاجوا بيده وهي تتحسس أزرار التنورة وتحاول فكها، حاول بأصابع يده البدء بفك الزر الواقع في منتصف التنورة لكنه كان محكماً وكانت أصابعه ترتعش فلم يستطع النجاح في مهمته، نهضتْ چاجوا ببطء وراحت تتثاءب وتظاهرتْ بأنها لم تشعر بما حدث وقالت: ها أنت قد عدت، أنا متأسفة، لقد غلبني النوم.

اكتست عيناه باللون الأزرق وقال بطريقة متلهفة وعاجلة: تعالي إلى السرير.

- لا يا سمو الزعيم هذا المكان مناسب وأنا لا أشعر بالرغبة في مزيد من النوم، ماذا عن الفتاة؟

- لقد أرسلتها في زورق إلى باجانا، هل أنت سعيدة الآن؟

- فليباركك الله، أعرف بأنك رجل طيب مهما قالوا عنك، إن كل ما يقولونه ليس سوى كلام صادر من الأعداء.

- استمعي لي يا چاجوا، أنت امرأة مثيرة وأنا أرغب فيك، سوف أقدم لك كل الملابس والحلي التي تليق بأميرة وهو شيء بسيط تستطيعين به أن تتذكري اليوم الذي قابلت فيه زعيم كرينامية.

- شكراً سمو الزعيم لكنك لا تعرفني ولم تلتق بي سوى اليوم فقط!.

- يكفي يوم واحد، إن الحياة قصيرة جداً يا چاجوا.

عرفتْ چاجوا أنه مفتون بها واستطاعتْ أن تشعر من خلال انعزاله عن دافيد والعم نام باحتياجه لشخص ما يساعده في تغيير أفكاره والعمل على رؤية الأمور بشكل مختلف، كان ينظر إليها بعينين مليئتين بالإعجاب وعندئذ عرفتْ نوع الرجل الذي تتعامل معه وأدركتْ بأنه ليس سوى رجل بسيط مفتون بفكرة لاجوس العاصمة ونمط نسائها وليس بها شخصياً، وكان بتقديرها أنه يعاني حالة من الانبهار نتيجة اصطدامه بأنوثتها الفتاكة التي جعلته يرى أن كل زوجاته وكل النساء الأخريات لسن سوى نساء متواضعات الجمال.

أصبح الرجل لعبة في يديها ولم يساور چاجوا أدنى شك في سهولة التأثير عليه، وعندما راح يتحسس ثدييها بأصابعه لم تشأ چاجوا أن تقاومه وإنما سمحتْ له بمواصلة مداعباته حتى قال: تستطيعين البقاء معي في هذا القصر كضيفة لي.

-لا يا سمو الزعيم فلقد أخبرني العم نام - كما تعرفون- بضرورة العودة قبل أن يحل الليل.

مرَر يده فوق خدها بلطف دون أن يتوقف عن تسديد نظراته الجوعى إلى خديها وقال: سوف أبعث له برسول يخبره أنك على ما يرام وأنك سعيدة، ما رأيك يا چاجوا؟

تنهدتْ وقالتْ: لقد أخبرتك من قبل يا سيادة الزعيم أوفوبارا بالشيء الذي جئت أتوسل إليك بشأنه وها أنت قد قمت بتنفيذ شيء واحد وأطلقت سراح نانسي لكنني أريد بل وأتوسل إليك مرة ثانية أن تذهب معي إلى باجانا، أستحلفك بالله أن تأتي معي إلى باجانا لتصافح العم نام وهذا هو مطلبي الأخير.

جلس الزعيم أوفوبارا فارداً جسده فوق الأريكة وقال: إن كبريائي يمنعني يا سيدتي ولماذا لا يأتون هم إلى هنا خاصة وأنهم يعرفون الطريق؟

أجابتْ چاجوا قائلة: لكنك أخبرتني للتو بأنك تحبني.

-نعم.

- ووعدتني بأنك ستمنحني كثيراً من الملابس كما أنك - كما أعرف- لن تبخل بتزويدي بالمال لكنني لا أرغب في كل ذلك وإنما أتمني أن تأتي معي إلى باجانا لتصافح بيدك العم نام، وعندئذ يمكنكما أن تتحدثا معاً وتستمعا إلى وجهات النظر المختلفة، إن شعبكم يعاني من ذلك الكبرياء الزائف الذي يسيطر عليك أنت ودافيد نام والعم نام ولذلك فإنني أتوسل إليك وإكراماً لي أن...

شعرتْ چاجوا بأنه يستمع إليها باهتمام فاستطردتْ قائلة: كنت تتحدث معي الآن وتقول بأنك راغب بالوحدة بينك وبينهم وها أنذا أمنحك الآن الفرصة لتحقيق تلك الوحدة.

نزلتْ من فوق الأريكة وبدأت بنفسها بفك أزرار تنورتها... وعلى الفور راح الزعيم أوفوبارا ينظر بشغف إلى جسدها، كانت ترتدي ملابس داخلية من الحرير مزخرفة بأجمل أنواع الأشرطة، وكانت چاجوا تدرك تماماً طبيعة جسدها المثير وفتنته، وحين بدأ الزعيم في الحديث كان صوته يرتعش وبدا متسمراً في مكانه عاجزاً عن الكلام أو الحركة لكنه قال بصعوبة: أهذا كل ما تريدينه مني؟

- أوه... فليباركك اللّٰه، أعلم أنك أفضل منهم جميعاً، إنهم يتحدثون فقط ولا يفعلون شيئاً لكنك ستفعل وستقوم بعمل هام حين تذهب معي إلى باجانا.

- إنني أحب شكلك وقوامك يا چاجوا وأريد أن أتزوجك.

- إنني سيدة أعمال ولا أستطيع أن أتزوج أحداً أيها الزعيم.

شيء ما بداخلها جعلها تشعر بالأسف تجاه الزعيم الذي ظل منبهراً بها ولم يستطع الفكاك أبداً من سيطرة أنوثتها الفتاكة وكانت چاجوا متأكدة من قدرتها على الحصول على أي شيء في تلك اللحظات، طلبتْ مزيداً من شراب الجن فسارع الزعيم بتقديمه لها وجلسا سوياً وهما يتبادلان الأنخاب، ثم راحتْ چاجوا تمشي في الحجرة بكعب حذائها العالي باختبال مستعرضة مفاتنها وكاشفة عن أفخاذها وحينئذ أصبحت عينا الزعيم أكثر احمراراً، ومع مضي كل لحظة كانت عيناه تزداد اشتعالاً وتوهجاً.

ربَت بكف يده فوق مؤخرتها ثم شدَها ووضعها فوق ركبتيه وراح يداعب ثدييها، أمسك بيدها ومضى بها نحو السرير فاستسلمتْ له دون أي مقاومة وقررتْ بينها وبين نفسها أن تمارس معه أروع أنواع فنون الحب وأكثرها إثارة وحاولتْ أن تستفيد من خبرتها عبر السنين فراحتْ تتأوه بدلالٍ وصوت

عال وأجادتْ إطلاق التنهدات بين لحظة وأخرى وأتقنتْ صرخات الألم اللذيذ المصاحب لالتواءات فخذها ورقبتها المفاجئ، لقد فعلتْ كل شيء بإتقان ومهارة مما جعلها تندهش من نفسها خاصة وأنها تلعب هذا الدور الحقيقي منذ زمن طويل.

أصبح الزعيم أوفوبارا مجنوناً بها بعد أن فتنته بفنونها، وقبل أن ينهض ويذهب إلى حجرة أخرى قال لها: يجب أن أتزوجك.

سمعته چاجوا وهو يفتش في خزانة الملابس وعند عودته كان يحمل حقيبة خضراء مصنوعة من قماش الأشرعة وقال: لم نعد بحاجة لاستخدام هذه الحقيبة.

ألقى بمقدار كبير من المال يعادل مائة جنيه فوق السرير وقال: أنت من أوجابو كما قلت لي وأعرف أن مهر العروس هناك مائة وعشرون جنيهاً.

وضع يده داخل الحقيبة واستخرج حزمة أخرى من النقود تعادل خمسين جنيهاً ثم ألقى بها فوق السرير.

كانت چاجوا ما تزال جالسة بصمت فشعرتْ بالخلاعة والفجور والأسف، إنها مدركة لعدم قدرتها على التخلي عن أسلوب حياتها السابق وهي تعرف أن استقرارها مع شخص ما كالزعيم أوفوبارا في قرية كرينا ميه أمر شبه مستحيل، لكنها تعرف أيضاً أهمية النقود، وهكذا مدَتْ يدها وتناولتِ النقود من فوق السرير وقالتْ بعد أن فكرتْ بأن أي زوجة من زوجاته لا تجرؤ أن تتحدث معه وجهاً لوجه وبالندية نفسها وبهذه الصراحة: تعال هنا أيها الزعيم فأنت لن تستطيع اشباعي أبداً، إنني راغبة بشدة في حبك.

اقترب منها ورقد إلى جوارها وراحتْ چاجوا تخلع له ملابسه وتقبله وهي تقول: ضمني إليك بقوة فسوف ألقنك درساً في ممارسة الحب، وسوف أعلمك شيئاً عن الحياة، وسوف أجعلك ترى كيف يفقد الرجل الشاب عقله عندما ينام مع چاجوا.

كان يمص شفتيها بلهفة وبطريقة متنافرة وبدا في حالة من الغيبوبة وكأنه طفل في الشهر السادس من عمره، وراحتْ چاجوا تداعب شعرها برقة ثم أطلقتْ ضحكة متمرسة وبذيئة من تلك التي تجيدها بنات الهوى وهي تسدد نظراتها نحو جيب البنطلون المليء بالعملات الذهبية.

ظلتْ چاجوا نانا مقيمة في القصر بقرية كرينا‌ميه لمدة عشرة أيام، وفي كل يوم كان أحد الرجال يأتي من باجانا على متن الزورق للبحث عنها في قصر كرينا‌ميه لكنها كانت دائماً تطلب منه العودة لإخبار العم نام أنها بخير وعلى ما يرام وأنها ستعود قريباً.

دخل الأسد الجريح القفص وشعرتْ چاجوا بوهج من السعادة والفخر أثناء عودتها بصحبة الزعيم أوفوبارا، وعندما شاهد أهل باجانا زورق كرينا‌ميه الملكي ورأوا الزعيم أوفوبارا جالساً فيه راحوا يحدقون بشغف، وفي اللحظة التي وصل فيها الزورق سارعوا بالتجمع عند الشاطئ وانطلق كثير من الرجال الأقوياء لمساعدة چاجوا والزعيم أوفوبارا على الهبوط فوق أرض باجانا، تناول أوفوبارا حفنة من رمال باجانا وراح يتذوقها وسمعته چاجوا وهو يتمتم ببعض الكلمات وكأنه يؤدي إحدى الصلوات.

أشارتْ له چاجوا إلى العم نام الواقف وسط مجموعة من الناس بعيداً عن حافة المياه، كان العم نام محاطاً بأعضاء مجلسه ومستشاريه، وكانت ماما نانسي ونانسي تقفان بجوار المجموعة، وكانت نانسي ترتدي قميصاً أحمر وتضع قوساً فوق ثديها الأيسر.

همستْ چاجوا للزعيم أوفوبارا قائلة: اذهب للقاء العم نام الآن، أتتذكر ما وعدتني به؟، أستحلفك بالله ألا تظهر أي نوع من الكبرياء ولا تتردد في لقائه وتحيته تحية الأخ لأخيه ولتعمل على إنهاء كل شيء اليوم.

كان الزعيم أوفوبارا متردداً لكن چاجوا لم تسمح له بالتأجيل ودفعته بيدها دفعة خفيفة فوق ظهره فمضى نحو العم نام وأعضاء مجلسه فارداً يديه للمصافحة، شاهدتْ چاجوا عضلات فم العم نام المشدودة فعرفتْ بأنه في حالة من الصراع مع نفسه لكنه لم يكتف بمصافحة اليد الممدودة إليه وإنما فرد كلتا ذراعيه عن آخرهما وتعانق الرجلان، فانهمرت الدموع غزيرة من عيني چاجوا التي ظلتْ ترى تلك اللحظة السعيدة كثيراً في أحلامها طوال سنوات لاحقة.

كانت شمس بعد الظهيرة ترسل أشعتها الأخيرة فوق قمم أشجار المانجروف وتنعكس فوق ثياب الرجلين المطرزة بالحلي الذهبية، وكانت المدة التي تخاصما خلالها تزيد على الثلاثين عاماً وها هما الآن يتصافحان، انتهز أحد المصورين الهواة تلك الفرصة وصوَب عدسات الكاميرا لتسجيل تلك اللحظة التاريخية التي زينتْ - فيما بعد - كل جدران باجانا وكرينا‌ميه.

تعانق الرجلان فدقتْ الطبول للإعلان عن الأخبار السارة فتسابق بعض الرجال في الجري خلف الماعز حتى أمسكوا بها وشقوا رؤوسها بالسكين، وسارع البعض الآخر بذبح الدجاج وتلطيخ الجدران بدمه، وتسربتْ أخبار الحدث العظيم حتى انتشرتْ في كل مكان وقالوا بأن امرأة جاءت من بلد بعيد وأحضرتْ معها الحظ السعيد وحققتِ الحلم الذي طالما صلوا من أجله.

ابتسمتْ چاجوا وانتابها شعور بالفرح وكانت تعرف أن انتصارها بتحقيق الوحدة بين القريتين المتنازعتين أعظم بكثيرمن براعة نانسي بالرقص في إحدى حفلات باجانا، لكنها لم تخدع نفسها بالاعتقاد أن المشكلة قد انتهت لأنها تعرف أيضاً أن المصائب والجراح التي أصابت الطرفين على مدى سنوات كثيرة ما زالت ملتهبة وأن آثارها لم تنته بعد، كانتْ چاجوا تعرف كل ذلك لكن شعورها بالفرح لم يفارقها، لقد تمت الخطوة الأولى وانتاب الطرفان شعور بالرضا والارتياح.

لحقتْ بالموكب الذاهب إلى القصر فانهمرتْ دموعها ولم تستطع الرؤية بوضوح وراحتْ تردد مع الناس الأغنيات المبهجة، وكان دافيد نام عائداً للتو من بورت هاركورت فقال: سوف نفرح كثيراً لأن ما حدث هو شيء عظيم.

استدار ونظر إلى چاجوا بإعجاب ثم سألها: هل ذلك هو السبب في بقائك حتى الآن؟ لقد أحسنت صنعاً ولذلك يجب تتويجك ملكة على باجانا.

قال الزعيم أوفوبارا: لقد طلبت منها ذلك بالفعل.

ضحك العم نام وقال: لكنها رفضتْ بالطبع، لقد وعدتْ فريدي نام لكنني لا أفهم شيئاً مما يدور في رأس ذلك الشاب، إنه يريد چاجوا ويرغب في نانسي في وقت واحد ولا بد له أن يقرر ويختار واحدة منهما فقط، أنا لا أفهم ذلك الجيل الجديد من الشباب.

غمز بطرف عينه إلى الزعيم أوفوبارا مستطرداً: إن چاجوا سيدة مخلصة وإذا كنت جاداً في طلبك فقد تغير رأيها، وبالنسبة لي شخصياً فإنني أعتقد أن چاجوا تناسبك تماماً.

استطاعتْ چاجوا أن تدرك حالته المزاجية الجيدة فابتسمتْ وبدأتْ تغني بصوت أكثر ارتفاعاً.

عندما تحدَث العم نام عن فريدي شعرتْ چاجوا بمزيج من الندم والألم، ثم أدركتْ ضرورة الإسراع بالرحيل عن باجانا وعدم البقاء فيها أكثر من ذلك،

يجب أن تبدأ في طريق العودة عبر أوجابو وأونيتشا خاصة وأنها قد أنجزتْ مهمتها في باجانا على أكمل وجه، لقد تعرفتْ على أهل فريدي وأصبحتْ هي معروفة لديهم ومهما فكر أعداؤها وقالوا فإنها تشعر بأنها قامت بعمل كبير سيساهم في إسعاد أهل باجانا.

في تلك الليلة ووسط ضجيج الطبول وأضواء الفوانيس المنعكسة فوق عضلات الراقصين تقدَمتْ چاجوا ووضعتْ يدها فوق كتف الزعيم أوفوبارا الذي استدار بوجهه ناحيتها ونظر إليها بعينين مليئتين بالإعجاب، كانت قد غسلتْ شعرها المعقوص بالشامبو وكان اللون البنفسجي يغطيها من أذنيها وحتى حذائها، وكانت أشعة المصابيح الضوئية الكثيرة تتعانق فوق ثدييها النافرين وأكتافها العارية وذراعيها، وارتسمتْ عيناها بالحذر والحكمة غير أن شعوراً بالبهجة قد غمرها لكونها امرأة سعيدة ومهندمة وناضجة ومستقلة.

قالتْ للزعيم أوفوبارا: يجب أن أعود غداً.

قفز من فوق مقعده وقال: هراء، لن تذهبي إلى أي مكان طالما أنا على قيد الحياة، ألا يعجبك المكان هنا؟ يجب أن تعودي معي إلى كرينياميه فلقد قمت بدفع ثمن عرسك.

أمسكتْ بحقيبة يدها وقالتْ: يمكنك أن تسترد النقود.

وقف أمامها ليمنعها من الحركة وقال: انتظري.

قالتْ له: أهذا هو كل ما تفكر فيه؟ وهل تعتقد أن بمقدورك شرائي بالمال؟، إنني امرأة حرة وأعرف أنني مارست معك الحب طوال عشرة أيام قمت خلالها بتزويدك بخبرة امرأة من لاجوس لم تكن تحلم بمثلها أبداً من قبل.

قبض على ذراعها بشدة وقال: آسف يا چاجوا، إنني أمزح معك، والآن ماذا ستفعلين وإلي أي شيء سيقودك مزاجك المتقد وطبعك الحاد؟

كانت دقات الطبول والضحكات وهتافات الفرح تدوي من حولهما لكنهما لم يشعرا بأي شيء وأصبحا منعزلين داخل عالمهما الخاص وعندئذ قالتْ چاجوا: تستطيع أن تسترد نقودك أيها الزعيم ولكن يجب أن تعدني بشأن باجانا.

- لقد استقر الأمر يا چاجوا ودافيد نام سيكون حاكم باجانا وسنرسل خطاباً إلى الحكومة بذلك وسوف نخبره بالأمر، لقد وعدني أهل باجانا بإعطائي

توكيلاً بإدارة بعض المنشآت التجارية كما أنهم سيساهمون بالأموال للنهوض بالتعليم والصحة.

جلستْ چاجوا فوق حافة مقعده وقالتْ: ها أنت ترى الآن، لقد أخبرتك من قبل أن الكبرياء كان سيتسبب في قتل العائلتين، كان كبرياءً زائفاً ولا مبرر له، ولولا التخلي عنه لما أمكنك رؤية هذا السرور الذي يشعرون به الآن.

ضربها ضربة خفيفة فوق ذراعها وقال: يجب أن أتقدم لك بالشكر يا چاجوا، تعالي معي ودعينا نتحدث بجدية.

لم تكن چاجوا طوال حياتها فاتنة الجمال كما بدتْ في تلك الليلة، قالتْ وهي تقهقه كاشفة عن أسنانها: هل أصبحت مجنوناً بحبي؟

مشتْ إلى جواره وقد تسلَلت أشعة ضوء القمر الصفراء إلى كل الأماكن، وحين اقتربا من الشاطئ بدأ في الحديث معها بجدية لكنها اصطحبته بدهاء إلى مكان الاستحمام الذي استدرجتْ نانسي إليه وظلتْ تلاحقها حتى وصلت إلى صخور كرينياميه، كانت أغصان وأوراق جوز الهند في مواجهة وجه القمر وراحتْ چاجوا تتطلع فيما وراء الغيوم حيث أبصرتْ كرينياميه أمامها فتذكرتْ حجرة النوم المكسوة بالحرير وتلك الأمسيات التي لم تخلُ من شراب الجن وذلك اليوم التي حضر فيه أعضاء مجلس الزعيم أوفوبارا إلى القصر عندما قدمها لهم قائلاً: إنها زائرة عزيزة من لاجوس.

ضحك الرجال وطلبوا منه ألا يخدعهم وقالوا له: لو أنك أخبرتنا بزواجك من ملكة لاجوس لما ترددنا بالحضور ومشاركتك الشراب.

فكرتْ چاجوا في قدرته على حل كل مشاكلها والعمل على استقرارها ثم رغبتْ في العيش معه خاصة بعد أن أصبح يفكر بطريقتها ويستمع إلى نصائحها وبعد أن وقع أسيراً لفتنتها وأنوثتها الطاغية، ولكنها تساءلتْ بينها وبين نفسها: هل يعد كل ذلك حافزاً على الارتباط به والعيش معه؟

كانت تفكر فقاطعها وهو يشير إلى الناحية الأخرى من النهر قائلاً: تلك هي كرينياميه وتستطيعين أن تلحقي بي ولا بد أنك ستنعمين بالسعادة.

كانتْ تعرف أنه يستطيع الانفاق عليها بسخاء وأنه يتسم ببعض الكياسة رغم المائة والخمسون جنيهاً التي حصلت عليها منه.

أسندتْ ذراعها عليه وقالتْ: إنني مضطربة بعض الشيء ولا أستطيع أن أفكر جيداً ولا أعتقد أنني في حال تسمح لي بقول أي شيء قبل أن أصل إلى لاجوس.

ضغط على يديها وقال: وهل ستعودين إذن إلى كرينا ميه؟ أنت لا تخدعينني وتقولين الحقيقة، أليس كذلك؟

سارتْ بعيداً عنه وهي تهز أفخاذها ثم اتخذتْ وضعاً لافتاً للنظر وقالتْ: آه، العودة!!، هل تريدني أن أفعل؟

اقترب منها فارداً كلتا يديه فارتمتْ چاجوا بين ذراعيه، شعر بفرح غامر وهو يرفعها عالياً وقال: أريد وعداً صادقاً، قولي لي بأنك ستعودين.

- قلت لك إنني سأعود أم إنك لا تثق بي؟

كان ضوء الليل خافتاً حين ساعدها على الجلوس، نهضا بعد قليل وسارا معاً بهدوء نحو القصر وكانت مجموعة من الأصوات النسائية تحيطهما بالأغنيات، تذكرتْ چاجوا ضرورة أن تنام مبكراً كي ترحل في الصباح الباكر خاصة وأنها غير قادرة على السهر ومشاركة أهل باجانا فرحتهم.

عند مدخل بوابة القصر شاهدتْ چاجوا امرأة بدا أنها تترقب عودتها وأنها تريد التحدث معها، إنها ماما نانسي التي كانت تتابع أخبارها مع الزعيم أوفوبارا.

قالت ماما نانسي بصوت عال بعد أن اقتربا منها: أيتها المرأة البغي، أيتها المرأة الحقيرة الوقحة التي تشارك بابا الفراش وتنام مع الصفوة ولا تهتم بأي شيء، ستموتين بائسة وستصبحين مثاراً للشفقة أيتها المرأة المومس وسيقتلع النسر عينيك.

انفجرتْ چاجوا بالغضب ثم اقتربتْ بسرعة من عدوتها وقالتْ: هل تقصدينني بالحديث يا ماما نانسي؟

قام الزعيم أوفوبارا بتهدئتها وقال لها: حاولي أن تتصرفي وكأنك ملكة ويجب أن تتجاهليها.

ظلتْ چاجوا تقاوم غضبها وحاولتِ التخلص من قبضة الزعيم لكنها لم تستطع ولم يكن بمقدورها فعل أي شيء سوى الاستسلامِ في مواجهة

لعنات ماما نانسي التي لم تتوقف، كانت ماما نانسي تلعن چاجوا وتسبها بأحقر الصفات وبصوت أكثر وضوحاً لكن دقات الطبول ساهمت بعض الشيء في إخماد لعناتها ونقدها اللاذع وفي إبطال حدة كلماتها المهينة.

## (١٥)

أصبحت (باجانا) منذ تلك اللحظة سلسلة من الأسقف الصدئة الحمراء المطلة عبر الأفق على برج الكنيسة فيما وراء مياه النهر الراكدة، وقبل أن تركب «چاجوا» الزورق الذي راح يتأرجح في دلتا النيجر عند لسان البحر بادئاً رحلته نحو (بورت هاركورت) كان وجه الزعيم «أوفوبارا» ذو البشرة الداكنة قد أصبح أكثر سواداً وهو يقول لها بصوت مخنوق: تذكري وعدك لي يا «چاجوا» وتذكري أنني دفعت مهر العروس.

بدأت «چاجوا» رحلة العودة إلى بلدها حيث يتجه الزورق إلى (أوجابو) و(لاجوس)، إنها لحظة وداع (باجانا) والزعيم «أوفوبارا» والعم « نام » و«نانسي» وماما «نانسي» و«كرينياميه» وقارعي طبول الحرب.

فكتْ چاجوا حمالة النهدين وأمسكتْ بثدييها وكأنها تخفف الألم عن نفسها وها هو الزورق يمضي بها بعيداً عن باجانا وكرينياميه وبدأتْ تفكر بالصيادين وانتابتها مشاعر الحنين إلى الوطن لكنها قد تعود يوماً ما إلى كرينياميه وإلى المكان الذي قبض فيه الشباب على نانسي العارية وهي تسبح وقاموا بأسرها.

ظلت رغبتها في العودة تسيطر عليها ولم تستطع إخفاء مشاهد الصخور الناتئة ومياه النهر الصغيرعن مخيلتها، كما لم تفارقها صورة كؤوس الشراب وشارب الزعيم أوفوبارا الكبير والأقدام المتشابكة فوق السرير والأحاديث غير الودية، ثم تذكرتْ همساتها عندما قالت له بأن امرأة من لاجوس سوف تلقنه درساً في ممارسة الحب وتجعله يفقد عقله، تذكرتْ كل ذلك لكنها شعرتْ في هذه اللحظة أنها هي التي أوشكتْ على فقدان عقلها، وفجأة تراءى لها الزعيم أوفوبارا كشخص منبوذ من قبل أهله لكنه رجل في مثل عمرها كما أنه مفتون بها بشدة وأنه يشاركها الأفكار والمواقف نفسها.
واستطاعتْ من خلال خبرتها أن تعرف بأنه لم يستمتع بذلك الإحساس أبداً من قبل مع أي امرأة أفريقية، لقد تعاملتْ معه چاجوا وكأنها تتعامل مع أخ لها أو مع عاشق مبتدئ من عشاق لاجوس عديمي الخبرة ، لقد جردته من ألقابه ونزعتْ عنه هيبته حين مارستْ معه فنون الحب وأطلقتْ العنان لأنوثتها حتى أصبح مجنوناً بها وراغباً في جسدها بشدة ولم يعد قادراً على احتمال فكرة رحيلها، كانت طريقتها في ممارسة الحب معه قد جعلته عبداً لها ولم يعد بوسعه سوى الامتثال لنزواتها المجنونة فقط لأجل أن تحتفظ بابتسامتها الحلوة فوق شفتيها الساخنتين.

عندما تجاوز الزورق ممرات النهر الضيقة كادتْ چاجوا أن تنقلب على رأسها مما أثار احتجاج بقية الركاب لكنها راحتْ تلوح بيدها في اتجاه باجانا وهي تتلاشي عن الأنظار شيئاً فشيئاً وسط حرارة الجو المرتفعة وتقول: إلى اللقاء أيها الزعيم، انتظرني لأنني حتماً سأعود وسأراك مرة أخرى.

عندما وصلتْ إلى أوجابو طلبتْ من قائد الشاحنة المكشوفة التي تقلها أن ينتظرها عند طريق الغابة ثم سارعتْ بالذهاب إلى بيت والدها بينما لم يتوقف كلب الخفير عن النباح ترحيباً بها، خرج الخفير من الكوخ وقام بإسكات الكلب ثم قال: ابنتي! ها أنت تعودين، لقد طال غيابك.

كانت الشمس قد لفحت جوانب كتفيه ومرفقيه وتجاعيد بشرته العارية لكن عينيه كانتا تلمعان بالفرح فقالتْ چاجوا: لقد بقيت ثلاثة أسابيع فقط، أين بابا وماما؟

وضع يده فوق كتفها وقال بصوت يحمل معنى اللوم والتوبيخ: ها أنت تشعرين بالخوف ولا تريدين التخفيف عن أعبائك وتعاودين السؤال عن بابا وماما، إن أباك ما زال في رحلته.

-سأذهب لرؤيتهما في أونيتشا.

عادتْ بسرعة إلى الشاحنة وقفزتْ إلى جانب السائق بينما كان الخفير العجوز يزعق خلفها قائلاً: إذا لم تعثري عليهما فإنك تستطيعين أن تجدي الأخ فونسو في السوق.

لوح بيده مودعاً وهو يقول: فليباركك الله.

خرج أولاده من الكوخ في تلك اللحظة وراحوا يلوحون معه ويصيحون وقبل أن يتجمع أهالي أوجابو ويتخذون من چاجوا حلقة للنقاش والثرثرة كانت الشاحنة قد شقت طريقها نحو أونيتشا.

شاهدتْ چاجوا أخاها فونسو في سوق أونيتشا وهو جالس بين قطع غيار إحدى الدراجات يطالع كتاباً هاماً، وكما أخبرها الخفير العجوز فقد بدا لها فونسو كما هو ولم يختلف البتة عما كان عليه باستثناء قليل من الضعف والشحوب الناتجين عن قسوة الحياة التي يعاني منها.

نظر إلى أعلى ثم أغلق الكتاب وقال: أهلاً أيتها الأخت، هل أنت عندنا في أونيتشا؟ وهل أنت على ما يرام؟

- إنني في طريق عودتي إلى لاجوس، لقد توقفت هنا بعض الوقت لأطمئن عليك قبل أن أستقل العبارة.

أغلق فونسو كتابه وراح يتحدث إلى مساعده الشاب بزيه الكاكي وظل يتحدث معه بجدية بينما كانت چاجوا تنتظر ثم قال لها: فلنذهب، يجب أن تبقي لتتناولي معي بعض الطعام المتبل قبل أن تستقلي العبارة خاصة،كما أنني لم أشاهدك منذ وقت طويل.

تبعته چاجوا إلي بيته الصغير المتواضع الواقع عند شاطئ أونيتشا وقريباً من سوق المدينة، وأثناء عبورهما الشوارع اخترقت أذنيها أصوات الدراجات ودوي أجهزة التسجيل والنفخ في الأبواق، كانت أونيتشا في حالة من الصخب الكريه، وكان الباعة يزعقون كل بطريقته من أجل البيع والحصول على المال. شاهدتْ چاجوا بالقرب من جانب النهر أنواعاً من البطاطا ونباتات النشا وأسماكاً طازجة ومجموعة من الزوارق الكبيرة وهي تتنافس للوقوف عند حدود المياه بالقرب من الزبائن وقد تلوث السوق بسخام الزوارق ومخلفات قوارب النهر، شعرتْ چاجوا بأنها أسيرة ذلك الجو الخانق والذي لا يمكن تصديقه وتلك المناورات الخادعة والانتهازية المتمثلة في اتخاذ قرارات جريئة ومدهشة، وتأكدتْ بأن الناس الذين يعيشون هنا لا يهتمون بما يحدث في أي مكان آخر وأنهم غرباء تماماً وذوو عقول متحجرة.

شعر فونسو بالبهجة والافتخار وهو يقول للناس بأنها أخته لكنها أدركتْ - من خلال طريقته في الحديث - أنه يوبخها توبيخاً حاداً رغم أنه حتى تلك اللحظة لم يوجه لها كلاماً مباشراً ولم يخبرها بشيء سوى مرض الأب الذي يعاني منه دون أن يجد أحداً بجواره حتى قال: ستسمعين في يوم ما أنه قد مات، ماذا تفعلين في لاجوس؟

أجابت چاجوا: إنني أعمل بتجارة الملابس.

ضحك فونسو وقال دون النظر إلى وجهها: فلتقولي شيئاً آخر يا چاجوا فأنت لا تستطيعين خداع أحد، إنه الوقت المناسب يا أختي العزيزة لكي تتوقفي عن طريقتك الخاسرة في الحياة، إن الأمر مخجل بالنسبة لأخيك، أنت أخت جميلة ولقد خلقك اللّٰه في أحسن حال وعندما أفكر في نوع الحياة التي تعيشينها...

كان يمشي بسرعة فوجدتْ صعوبة في أن تظل إلى جواره وهو يتحدث لكنه استطرد بعد وقفة قصيرة: إن ما أريد أن أقوله لك يا أختي هو أن تعودي إلى

بلدك وتبقي مع العائلة، أعرف أنك لا ترغبين بالزواج، حسناً، لاأحد سيجبرك على الزواج بشرط أن تحافظي على احترامك ومكانتك بين الناس.

قالتْ له: ألا تستطيع يا أخي العزيز أن تؤجل كلامك حتى نصل إلى البيت؟ .

كان أحد أسباب خوفها من لقائه أنه لا يتوقف عن محاولاته في حثها على العيش بطريقة صالحة ومستقيمة فأضافتْ قائلة: لكنني أود أن أخبرك يا أخي أن أحد الزعماء في كريناميه يريد أن يتزوجني ولقد دفع لي بالفعل مهر العروس.

زاد من سرعته في المشي وقال: إنهم دائماً يفعلون ذلك وما إن يناموا معك ويفرغون ما في أجسادهم من قاذورات حتى يتوقفون عن الحديث عن الزواج، يجب أن تكفي عن خداع نفسك يا عزيزتي وإذا كنت راغبة في الحصول على المال فإنه موجود هنا في أونيتشا، إن فرص كسب المال متوفرة هنا ويمكنك على سبيل المثال أن تبقي معي وتحاولي أن تصبحي واحدة من أميرات التجارة في المدينة.

أبطأ من سرعته في المشي قليلاً وعاجلها بنظرة خاطفة ثم أضاف قائلاً بفخر: توجد امرأة هنا يتجاوز مكسبها الشهري عشرة آلاف من الجنيهات.

كان يعرف أن أخته تعشق الحرية والاستقلال فاستطرد: إن أميرات التجارة هن من النساء اللاتي يتمتعن بالحرية والاستقلال ويستثمرن عقولهن في العمل والتجارة ولا يبددن وقتهن في العبث والأعمال التافهة الطائشة، إنهن نساء ناضجات.

كان بيت أخيها فونسو المطل على الشاطئ قديماً ومظلماً وتفوح منه رائحة عفنة، وكانت چاجوا تعرف أن أخاها كان ميسوراً فقامتْ بتوبيخه وراحتْ تنتقد حياته الرتيبة والباعثة على الاكتئاب حتى سألته قائلة: وما هي فائدة كسب المال دون أن تجد الوقت للاستمتاع به؟

قال: كنت مولعاً بتحصيل المال في البداية لكنني أعيش الآن بمفردي لأن زوجتي ذهبتْ إلى أهلها لتضع مولودها الجديد.

قدَم لها وجبة على عجل وظل يلح عليها للبقاء في أونيتشا ونسيان أمر العبارة وكان متيقناً أنها ستوافق على البقاء بسرعة وبدون تردد وبعد أن عرفت چاجوا أن أخاها غير سعيد ويعاني من الوحدة، وأن إصراره على

بقائها ليس لشيء سوى لتؤنس وحدته ، فكرتْ في البقاء والعمل بالتجارة كما يفعل أهل أونيتشا.

حاول فونسو أن يجعل كل شيء سهلاً من أجل بقائها دون الإشارة من قريب أو بعيد إلى شعوره القاسي بالوحدة غير أنها استطاعتْ رؤية ذلك بوضوح في نظرات عينيه الحزينتين وفي توسلاته وأنفاسه اللاهثة.

ظلتْ تستمع إليه لكونه أخاها ومن أجل أن تثبت له أنها ليست امرأة عديمة الفائدة، وفي الصباح ذهبا معاً للبحث عن أميرات التجارة وحين التقيا بإحداهن قالتْ لهما: كنت أبيع كتب المدارس بما يعادل ألفين من الجنيهات كل أسبوع أثناء فترة الازدهار الاقتصادي، وكنت أقوم بتوزيعها بمفردي لثلاثة ملايين من أطفال المدارس، إنني أمتلك الآن أسطولاً من الشاحنات التي تسافر شمالاً وشرقاً لتوزيع الدراجات والصابون والإسمنت.

جلستْ چاجوا وظلت تستمع إلى المرأة بافتتان ولم تجد في كلامها شيئاً خارقاً، إنها امرأة بارعة في كسب النقود لكنها جاهلة ولا تعرف حتى كتابة اسمها باللغة الإنجليزية، شعرتْ چاجوا وكأن أحداً قد فتح لها طريقاً جديداً للخلاص.

عندما ساعدها الأخ فونسو على رؤية كل شيء رغبتْ أن تصبح واحدة منهن فاصطحبها فونسو إلى سكرتير الاتحاد المسؤول عن أعمال النساء في مكتبه عند مدخل السوق.

نظر الرجل إلى چاجوا من خلال إطار نظارته السميك وقال لها: أنت جديدة هنا ولا بد أن تجاهدي لإثبات نفسك، إن الوكيل الذي يزود النساء بالبضائع هو رجل أبيض ولا أستطيع أن أقدمك له قبل أن تبرهني على جديتك في العمل وقبل أن تكوني مصدراً للثقة.

كان على چاجوا في البداية لكي تصبح مصدراً للثقة أن تدفع مقدماً ثمن البضاعة التي ستبدأ بها تجارتها وبعد أن تظهر براعة وجدية في العمل يمكنها بعد ذلك أن تأخذ ما تريد وتؤجل الدفع إلى وقت لاحق، كما يمكنها الحصول على كمية أكثر من البضاعة تدريجياً حسب قيمة المبلغ الذي تملكه.

تناقشتْ چاجوا مع فونسو وقررتْ البدء بمائة وخمسين جنيهاً ثم أضاف فونسو خمسين جنيهاً فأصبح المجموع مائتين من الجنيهات وعندما ذهبا معاً إلى سكرتير الاتحاد قال موجهاً حديثه إلى چاجوا: ستحصلين على جنيهين فقط كفائدة مقابل هذا المبلغ، إن بعض النساء يأخذن بضائع بعشرة

آلاف جنيهاً فيحصلن على مائة جنيه فائدة، أنت في الحقيقة لست بحاجة للبيع وإنما كل ما يجب أن تفعليه هو أن تنتقلي بالبضائع إلى أماكن مختلفة حتى يخرج الناس من أدغالهم ومعسكراتهم للشراء ولا يهم بالطبع المكان الذي جاؤوا منه، عليك فقط بتقديم البضائع لهم حتى يتعرفوا عليها ومع مرور الوقت تصبح شيئاً أساسياً في حياتهم، إن نيجيريا بلد كبير وتوجد بها كثير من المدن والقرى، وبعد الانتهاء من جولاتك تعودين إلينا ومعك النقود ثم تستطيعين بعد ذلك الحصول على بضائع أخرى بمبلغ أكبر من المال وهكذا حتى يصير بمقدورك الحصول على أكبر كمية من البضائع، ولكن يجب أن تدرسي السوق وتعرفي نوع البضاعة المطلوبة، يجب دائماً أن تأخذي البضاعة الرائجة والتي تشعرين بسهولة تسويقها.

قام بتحريك النشوق الموضوع في كف يده بعصا صغير واستطرد قائلاً: هل تعرفين بأنك لست بحاجة لأحد الذكاكين أو الأكشاك لكي تنجحي؟.

التقط النشوق بالعصا الصغير ووضعه داخل فتحة أنفه اليسرى ثم راح يستنشق الهواء بعمق.

كانت چاجوا بائسة وتعيسة وهي تجلس فوق مقعدها الخشبي الطويل، أمطرت السماء وبعد أن توقفت الأمطار عن السقوط بدأ الزبائن يتوافدون لكن أحداً منهم لم يتوجه إليها أو حتى ينظر إلى المكان الذي تفرش فيه بضاعتها وإنما راحوا يلتفون حول أكشاك التاجرات الأخريات ، شاهدتْ رجلاً أسود يحمل حقيبة مصنوعة من قماش الأشرعة وهو يعبر بجوارها دون الالتفات لبضاعتها فلاحقته بنظراتها حتى توقف عند الكشك المجاور لها، فتح الرجل حقيبته القماشية وبعد الانتهاء من عد النقود ناولها لصاحبة الكشك التي راحت بدورها تراجع المبلغ.

فكرتْ چاجوا قائلة لنفسها: يا إلهي، ليتني أصبح محظوظة مثل تلك المرأة.

كانت الطريقة التي تفرش بها بضاعتها مثيرة لنفور الزبائن فلم يكن من اليسير أن تصبح مثل تلك المرأة كما أنها كانت تمارس ذلك النوع من العمل لأول مرة وكان لا بد لها أن تتحلى بالصبر، لقد أخبرها فونسو أن على التاجر أن يكون حيواناً صبوراً ورأتْ چاجوا أنها غير قادرة أبداً على تعلم تلك النوعية الجديدة من الصبر بدون أن تمارس فتنتها خاصة وأنها تعشق لفت الأنظار إليها، إن جلوسها هكذا لا يمنحها الوقت للتأنق وارتداء ما يروقها من الملابس والسير بخيلاء في أزقة وشوارع أونيتشا.

ظلتْ جالسة في الشمس منذ الصباح وحتي السادسة مساءً دون أن تأكل سوى وجبة خفيفة ومتواضعة كانت تخفيها خلف بضاعتها ولم تكن تلك فكرتها في العيش مما جعلها تبكي في الليل وتندب حظها لكنها لم تستطع إخفاء حسدها عندما شاهدتِ النساء المتمرسات في التجارة وهن يجلسن في سيارات أصحاب العمل الفاخرة، أخبرتْ فونسو برغبتها في امتلاك واحدة من تلك السيارات فراح يذكرها بدرجات السلم المائة قائلاً: إن الصعود إلى نهاية السلم يتطلب مزيداً من الصبر والجهد.

إن قدميها - طبقاً لكلام فونسو - ما تزالان في أول السلم ورغم أنها لا تتمتع بالصبر اللازم إلا أنها كانت تشعر بالسرور لأن أونيتشا فتحت عينيها على نوع من الأعمال تستطيع من خلاله أن تكسب نقوداً كثيرة، ورغم إدراكها التام بأنها ليست مؤهلة للمشاركة في الحصول على مثل ذلك المال الوفير ورغم خسارتها في أول مغامرة لها إلاّ أن اليأس لم يتملكها وقررتْ أن تواصل مغامراتها.

لم تفقد چاجوا ثقتها في نفسها وذهبت في المساء إلى ضفة النهر لمشاهدة الصيادين في زوارقهم وهم يفرغون حمولتهم من أطيب أنواع السمك في نيجيريا.

كانت چاجوا واقفة عند جانب الشاطئ حين لمحتِ العبارة المحملة بسيارات لاجوس المرخصة أثناء تحركها، هبَت الرياح محملة بنغمات موسيقى الجاز الشهيرة الصادرة من مذياع إحدى السيارات والتي اعتادتْ أن تسمعها في نادي تروبيكانا، ثم شاهدتْ واحداً من شباب لاجوس المتأنقين وهو يتحدث إلى فتاة مفعمة بالحياة وعلي قدر كبير من الأناقة وتضع كثيراً من المساحيق فوق وجهها، كان الشاب والفتاة قادمين من لاجوس وفي طريقهما نحو الشرق وبدا أنهما جاءا خصيصاً لتذكيرها بأنه لمن الخطر أن تتحول فجأة إلى امرأة قروية وتتخلى عن أناقتها وحسن مظهرها وأن تفقد نفسها المفعمة بالحياة وذلك ما كانت تخشاه بشدة ولا تتمنى أبداً أن يحدث لها.

اندفعت الرغبات المكبوتة داخلها واشتعل خيالها المتقد بتلك الرغبات، ثم دفعتْ لبائع السمك ورقة نقدية من فئة الجنيه لشراء بعض السمك الطازج لكنها لم تدرك بأنها لم تأخذ باقي الجنيه إلا بعد أن وصلت إلى البيت.

# (١٦)

أخبرها شخص ما - ذات يوم - أنها إذا غادرت لاجوس لمدة أسبوع واحد فإن أحداً لن يتذكرها، لكن چاجوا اكتشفتْ للتو أن الغياب عن لاجوس لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر كما حدث معها الآن يعني أيضاً عدم التعرف على المدينة نفسها عندما تعود، لقد حدث تغيير كبير وسريع فها هو موقف الشاحنات بعد أن تم رصفه وبناء سياج إسمنتي حوله وعمل مكان لائق للدخول والخروج، كانت الشاحنات والباحثون عن الزبائن والحافلات الصغيرة السريعة ما تزال كما هي رغم ازدهار وتطور كل شيء بشكل ملحوظ.

عادتْ بسيارة الأجرة إلى مسكنها وشعرتْ بالفرح لأنها ما زالت تتذكره وتحتفظ به ولأن لاجوس ما زالت هي موطنها الطبيعي، كانت ذكرى الزعيم أوفوبارا وكرينياميه ما تزال عالقة في ذهنها غير أن رغبتها القوية في العودة لم تعد ملحة، وربما كانت عودتها في تلك الساعة هي أفضل أوقات العودة حيث كانت الشمس قد تلاشت وقت الغروب وتحولت إلى اللون الأحمر الذي يفقد المرء قدرته على الرؤية الصحيحة والإحساس السليم، لم يكن الناس في ذلك الوقت سوى مجرد أطياف باهتة وغامضة لكنهم كانوا معروفين، لم يعرف أحد بأن چاجوا عادت إلى حجرتها، جلستْ بعض الوقت في حجرتها ورغم تسلل رائحة العفن إلى أنفها إلا أنها همستْ لنفسها قائلة: لا يهم فها أنذا في بلدي ومكاني الذي اعتدت عليه وأعرفه جيداً.

ظلتْ تفكر في أوجابو موطن أبيها وأمها، وفي باجانا موطن فريدي نام التي يحكمها العم تام، وفي كرينياميه التي يسيطر عليها الزعيم أوفوبارا والذي أصبح أسيراً لفتنتها وأنوثتها، حاولتْ أن تجد لنفسها مكاناً مناسباً بين تلك الأماكن الثلاثة يكون ملائماً لها ولائقاً بأحلامها غير أنها وبعد تفكير عميق لم تجد أفضل من لاجوس ونادي تروبيكانا، فتحتِ النوافذ ودون أن تضيء الحجرة بدأت بفتح حقيبتها وإفراغ محتوياتها وخاصة المواد الغذائية والبطاطا والبرتقال والموز، ثم عرفتْ أنها لن تكون بحاجة لشراء مثل تلك الأشياء لعدة أيام قادمة، وتستطيع بالتالي أن توفر نقودها خاصة وأن الأسعار في لاجوس مرتفعة بالمقارنة مع أي مكان آخر.

راحتْ تتنفس بعمق وكأنها تحررتْ للتو من أسر العبودية ثم همستْ لنفسها قائلة: ها أنذا قد عدت إلى موطني الأصلي ومكاني الذي أحبه.

دخل ميشيل إلى حجرتها بينما كانتْ تخلع ملابسها وقال لها مبتسماً: تبدين في حالة جيدة ومظهر جذاب، لقد حافظت على نظافة المكان أثناء غيابك.

كانتْ تتفحص جسدها في المرآة وهي تتحدث إلى ميشيل فأدركتْ أن الذهاب إلى الشرق قد جعل بشرتها أكثر نعومة ووجهها أكثر استدارة وأنها بدت أصغر سناً، ولاحظتْ بأن شيئاً مختلفاً يتسرب من جسدها الفوار هو الذي يميزها عن فتيات تروبيكانا، وتمنتْ أن يكون اشتهاء الرجال لها ورغبتهم في الفوز بها أكثر مما كان عليه.

غطتْ فخذيها بقطعة من القماش وقالتْ لميشيل: هل سألك أحد عني؟

لم يكن ميشيل سوى صبي صغير فلم تهتم چاجوا أبداً بأنها تقف أمامه شبه عارية لكنها دائماً ما كانت تضحك وتندهش من محاولاته عدم النظر إلى ثدييها وفخذيها كلما وقفت أمامه رغم أنها غالباً ما كانت تشعر بنظراته المتلهفة الجائعة عندما لا تكون في مواجهته.

هبط ميشيل السلالم وعاد بسرعة حاملاً معه ورقة صغيرة ثم أجاب قائلاً: جاء أحد الرجال للسؤال عنك مرات عديدة ثم توقف عن المجيء بعد أن أصابه التعب من كثرة السؤال، كان يرتدي بنطالاً طويلاً وقبعة ويمتلك كثيراً من المال لكنني لم أشاهده من قبل أبداً ولم يكن واحداً من المترددين عليك قبل سفرك .

تناول أحد الجيران الورقة الصغيرة من يد ميشيل وقرأ اسم صاحبها فاستطاعتْ چاجوا بسرعة أن تعرف الرجل وتتذكره، إنه تايو الذي اصطحبها إلى المطار يوم رحيل فريدي إلى بريطانيا.

قالتْ چاجوا لميشيل: وهل هو الرجل الوحيد الذي جاء للسؤال عني؟

أجاب ميشيل: لا، لقد سأل عليك الكثير من الرجال لكن هذا الرجل يملك من المال أكثر منهم جميعاً.

ابتسمتْ چاجوا وقالتْ: وكيف عرفت بأنه يملك كثيراً من المال؟

-أنا أعرف ماما، إن رائحة النقود تفوح من وجهه.

ضحكتْ چاجوا ومالتْ برأسها نحو كتفها ثم راحتْ تنظر إلى نفسها في المرآة بإعجاب وتستدعي من ذاكرتها مدى أناقتها وفتنتها وهي تردد: چاجوا،

چاجوا .

كانتْ متأكدة وهي تردد اسمها أن الرجال سيحبونها ويتوددون إليها الآن أكثر من قبل وربما كانتْ تتمنى حدوث ذلك ولقد أدركتْ بأن الرجال لم يعرفوا ما تتمتع به من إغراء وفتنة إلا بعد أن غابتْ بعيداً عنهم لعدة أيام، بدأتْ تفكر من جديد في فريدي وحاولتْ أن تتخلى عن رغبتها في الاندفاع نحو الخارج للسؤال عنه، إن فريدي لم يعد يأتي إلى حجرتها ويقتحم أسرار حياتها وها هي تشتاق إلى شجاره وغيرته، كانت غيرته قاتلة ولا يمكن احتمالها لكن لاجوس بالنسبة لها لا تعني شيئاً بدون فريدي وبدون نزاعاته وانتقاداته المسكونة بالغيرة.

اخترقتْ مسامعها أنغام الجاز القادمة من مذياع أحد الجيران فقررتِ الذهاب إلى تروبيكانا خاصة وأن ماما نانسي ما تزال في باجانا وتستطيع أن تتزوج من العم نام إذا شاءت، وهي تتمنى لها كل التوفيق لكنها لا بد أن تذهب إلى تروبيكانا من أجل نسيان كل شيء.

قالتْ لنفسها: إن المشكلة في الحياة تتمثل في أولئك الذين يأخذون الأمور على محمل الجد وأنا لا أنكر بأن الحياة يجب أن تكون كذلك أحياناً ولكن يجب أن نتعامل معها بسهولة وبساطة في بعض الأحيان، نعم، لا بد أن أذهب إلى تروبيكانا هذه الليلة رغم أنني عائدة للتو من السفر وينبغي أن أستريح، إن أخي فونسو ليس هنا ليمنعني ويزعجني بحديثه الدائم عن بابا وماما وعن وجوب العناية بهما، إنه هو الذي يجب أن يتولى أمر العناية بهما لأنه الرجل أما أنا فلست سوى امرأة ستتزوج يوماً ما وعندئذ سيتغير اسم عائلتها، إنها الساعة الثامنة الآن والوقت ما زال مناسباً للذهاب.

حفظتْ الطعام في مكان آمن ثم تناولت الفوطة واتجهتْ إلى الحمام، وحين طرقتْ الباب أجابها رجل من الداخل فتوجهتْ نحو حوض الغسيل حيث الدلو القديم القذر نفسه والأرضية المليئة بالأوساخ بفعل أولئك الأطفال البائسين الذين يسكنون الأدوار العليا، لم تجد چاجوا مكاناً نظيفاً لتضع فيه حذاءها الفضي، ولم تستطع أن توبخ الأطفال طالما أن أمهاتهم لا يعرفن أفضل من ذلك، وتساءلت بينها وبين نفسها عن صاحب البيت وعن مفتش الصحة الذي يجب أن يأتي من حين لآخر لرؤية ما يحدث وتسجيل بعض الملاحظات في دفتره.

عقدتْ العزم على الحديث مع مفتش الصحة عندما يأتي في المرة القادمة وإطلاعه على الجانب المظلم والكريه في حياة أهل لاجوس، وقررتْ أن

تخبره عن الذباب الأزرق الكبير المنتشر في المراحيض والذي لا يكف عن الطنين والتوقف فوق الطعام ولا يستطيع الناس رؤيته في الطعام المطهو بالخضروات.

أغمضتْ چاجوا عينيها ووضعت الفوطة فوق أنفها، وحين خرج الرجل من الحمام سارعتْ بالدخول فوجدته زلقاً لكنها حمدتْ اللّٰه لأنها استطاعتْ أن تستحم في لحظات قليلة تمكنتْ خلالها أيضاً من فك خصلات شعرها ومن تدليك جسدها ثم ارتدتْ فستانها المطرز بالرسوم المطبوعة ولاحظتْ أثناء ذلك أن سلوكها كان يتسم بالسذاجة والبساطة التي يتميز بها أهل الريف والقرويين فقررتِ التخلص نهائياً من ذلك السلوك الذي يتنافى مع طبيعة الحياة في لاجوس ولا يتناسب أبداً مع شخصيتها المتفردة.

أهلاً چاجوا، مرحباً بك، تبدين في أحسن حال، هل أمضيت وقتاً ممتعاً في بلدك؟ وماذا أحضرت لنا معك؟، هكذا قالت فتيات وساقطات تروبيكانا المتشوقات لأي شيء، إنهن ينشبن أظافرهن في جيوب الرجال ويدخن سجائرهم ويحتسين مشروباتهم ويستولين على نقودهم ودائماً ما يطلبن قطعاً نقدية صغيرة من بعضهن البعض لشراء جوزة الكولا التي تساعدهن على اليقظة وبعض بواقي الطعام الذي يحفظهن من الانهيار ويتبادلن الأحذية ودبابيس الزينة لإثارة الرجال أثناء الرقص، إنهن نساء تروبيكانا اللاتي كن يرغبن أن تحضر لهن شيئاً معها بعد عودتها ولم تستطع چاجوا أن تشعر تجاههن بالود في يوم من الأيام، لقد نشأن في لاجوس وتعودن على الاستمتاع بصحبة الرجال في السيارات الفارهة والاستمتاع بفرقة جيمو لادي الموسيقية وهي تغني بصوت عال على أنغام الساكسفون.

اكتشفتْ چاجوا أن نادي تروبيكانا الليلي كما هو، المدخل نفسه المؤدي إلى الداخل عبر فتحة في الحائط، ابتسم لها صاحب النادي ذو الشعر الأسود والقميص ذي الأكمام الطويلة وهو واقف تحت الضوء المثير ثم توجهتْ إلى أحد بائعي الهوسا الذي يخصصون له مكاناً داخل النادي إلى جوار المدير واشترت منه جوزة الكولا، وكان جيمو لادي واقفاً مع فرقته الموسيقية فوق المنصة لكنه لم يكن قد بدأ عمله بعد.

سارعتْ النساء بالالتفاف حولها وملاحقتها بالاسئلة وقلن لها وهن يبتسمن: أوه، چاجوا، هل عدت من رحلتك؟ مرحباً بك، كيف حال بلدتك؟ تبدين أصغر سناً وأكثر جمالاً.

شعرتْ چاجوا بالسرور وقالتْ لهن: إن زعيم القرية يريد أن يتزوجني.

وعندما قرأتْ علامات الدهشة فوق وجوههن أخبرتهن بتفاصيل القصة وعملية الصلح بين القريتين المتنازعتين التي قامتْ بها.

شعرتْ بأهميتها بعد سرد تلك القصة وقالتْ لهن: إنني على خلاف الكثيرات منكن لا يمثل تروبيكانا أهمية خاصة بالنسبة لي لكنني كنت أجيء إلى هنا فقط لأن المكان أصبح جزءاً مني.

كانتْ چاجوا تريد أن تترك لديهن انطباعاً معيناً، ومن خلال الصمت الذي أطبق عليهن جميعاً عرفتْ أنها نجحتْ فيما كانتْ تريد، بدأت الأنغام الموسيقية تنطلق من مكبر الصوت فهرعت الفتيات إلى الطاولات حيث جلسن وصوبن نظراتهن نحو الباب باستثناء فتاة واحدة ظلت في مكانها.

بعد مضي عدد من السنوات تذكرتْ چاجوا تلك الأمسية الخاصة، كانت ليلة جديرة بالذكر حيث شاهدت عن قرب المرأة الشابة روزا ذات الابتسامة الرائعة والتي تتسم بطريقة جذابة في الحديث، لقد جاءت روزا إلى لاجوس - كما قالت - من الشرق ولم يكن لديها مكان للإقامة في لاجوس مما أثار شفقة چاجوا فوعدتها أن تفعل شيئاً من أجلها وقالتْ: إذا رغبت في المجيء للعيش معي فإنني أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلك.

لكن چاجوا سرعان ما توقفت عن التفكير في روزا غير أنها وفي الليلة نفسها فكرتْ قائلة لنفسها: من الممكن أن تعيش روزا معي، باستطاعة روزا أن تصبح رفيقتي أثناء غياب فريدي وعندئذ ستصبح لاجوس مكاناً مختلفاً، كما أن روزا تستطيع أن تشاركني في دفع الإيجار وطهي الطعام وغسيل الملابس وتنظيف البيت.

رأتْ چاجوا أن الفكرة تستحق الاعتبار ثم راحتْ تهز أردافها على أنغام جيمو لادي المثيرة حيث كان الجميع منغمساً في الرقص فوق الحلبة.

غادرتْ تروبيكانا ومضتْ في سيرها بين سائقي سيارات الأجرة وبائعي الصابون والشموع وأعواد الثقاب وأسماك السردين والذرة والفول السوداني، لعبت الأضواء برأسها لكنها كانت تشعر بالسعادة لكونها عادت إلى تروبيكانا بعد طول غياب، سمعتْ صوت وقع أقدام منتظمة وهادئة من خلفها ودون أن تنظر إلى الوراء همست لنفسها وقالتْ: ها هم قد بدؤوا بملاحقتي، چاجوا عادت من جديد.

شعرتْ بأهميتها وبأنها ما زالت مرغوبة بعد التأكد من أن شخصاً ما يتعقبها ويريد مغازلتها، وحاولتْ من خلال إيقاع الخطوات أن تخمن نوعية الشخص

السائر خلفها وعرفتْ بأنه ليس رجلاً عجوزاً فقد كانت خطواته رشيقة رغم ترددها، وعندما وقفتْ في مكانها توقف صوت الأقدام من خلفها فاستدارتْ وأبصرتْ شاباً يافعاً.

كان يضع إحدى يديه في جيب بنطاله حين قال: إنني أراك دائماً في تروبيكانا.

نظرتْ چاجوا إليه بإمعان، كان شاباً متغطرساً لكنه بدا أنيقاً بقميصه المفتوح عند الرقبة، وكان في عمر فريدي نفسه فهمستْ لنفسها قائلة: هؤلاء الشباب لا يملكون المال الكافي ولا يتميزون بشيء سوى قدرتهم على البوح بكلمات رقيقة وحلوة.

قالتْ له: هل كنت تراني من قبل؟

أجاب: حين رأيتك لأول مرة في تروبيكانا عرفت أنه من الضروري أن أتحدث إليك مهما كلفني الأمر .

-كيف؟ أنا لا أفهم ما تقصد!

أخرج يده الملتصقة في جيب بنطاله بحركة سريعة ومفاجئة وقال: أنا لا أقصد الإساءة إليك يا مدام لكنني أرغب في عمل شيء .

كان يحمل لفة صغيرة في يده، وحين راحتْ چاجوا تنظر إليه وهو يفتح اللفة لم تستطع أن تتمالك نفسها وقالتْ بعد أن استطاعتْ بصعوبة التغلب على مشاعرها: ذهب؟ منْ صاحب هذه الحلية الثمينة؟، إنها تساوي مائة جنيه على الأقل وهي التي يضعونها فوق الزي الوطني في المناسبات الخاصة فقط كالجنازات الرسمية أو عند الاحتفال بالمراسم الهامة.

قال الشاب: أنا أريد عشرة جنيهات فقط على أن يتم دفعها فوراً ويمكنك فعل ما تشائين معي، إن ذلك لا يهمني، وإذا كانت هذه الحلية لا تروقك فإنك تستطيعين صهرها في النار لتصنعي منها شيئاً جديداً.

لم يكن من السهل على چاجوا أن تفوت تلك الفرصة فهمست له قائلة: تعال معي إلى بيتي حيث يمكنني أن أدفع لك النقود.

ذهب معها إلى حجرتها وجلس عند حافة المقعد مرتبكاً بينما راحتْ چاجوا تتحدث إليه وهي تخلع ملابسها بطريقة مثيرة، ثم غادرتِ الحجرة إلى

الحمام، اغتسلتْ بالمياه الباردة ووضعتْ رائحة شرقية تحت إبطيها وعندما عادتْ كانت ترتدي قميصاً شفافاً، جلستْ فوق مقعدها المنخفض المليء بالنقوش ووضعتْ المرآة بين ركبتيها العاريتين وراحتْ تنظر إلى شعرها المبلل، كانت عارية الذراعين والكتفين، وكان قميص النوم الشفاف ملتصقاً بين فخذيها وظهرت آثار حواف المرآة فوق بشرتها الناعمة عند الركبتين.

رفعتْ ذراعها وبدأتْ بتمشيط خصلات شعرها المجعد بينما كان ثدياها يعلوان وتهبطان بطريقة مثيرة وقد برعتْ في إظهار مفاتنها وهي تتأوه، كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحاً فساد الحجرة جو كامل من الهدوء واستحضرت الأضواء الخافتة كثيراً من الأحاسيس الملتهبة، فجلس الشاب عند حافة المقعد المضطرب وراح يحدِق فيها وهي تقوم بإغرائه حتى لم يعد قادراً على السيطرة على مشاعره لكنه لم يستطع أن يقول شيئاً.

همستْ چاجوا بصوت مليء بالمودة والإثارة قائلة: وإذن فأنت تريد عشرة جنيهات مقابل هذه الحلية؟

-نعم، أوه، نعم.

ابتسمتْ له ومالتْ بوجهها للنظر مباشرة إلى عينيه وقالتْ: لكنك تعلم أنها لا تستحق سوى خمسة جنيهات فقط، سوف أعطيك خمسة جنيهات هي كل ما أملك.

كان من السهل على چاجوا أن تعرف مدى ارتباكه فنهضتْ بعد أن أزاحت المرآة من بين ركبتيها ووقفتْ إلى جواره فاستطاع رؤية كل تفاصيل جسدها وتسربت إلى أنفه رائحة عطرها ثم وضعتْ يديها فوق حلمة أذنيه وقالتْ: أنت شاب وسيم وتريد أن تخدع امرأة مسكينة مثلي، سأعطيك خمسة جنيهات.

-مدام، لقد مشيت خلفك بعد خروجك من النادي لأنني شديد الإعجاب بك

وأشعرتجاهك بحب كبير، وأنا أعني تماماً ما أقول فإذا شئت أن تأخذي الحلية...

-أنت شاب رقيق وجميل، ما اسمك؟

-دينيس، دينيس أو دوما، لدي مجموعة من الأصدقاء ولقد اعتدنا أن نعمل معاً، هل تفهمين ما أعني، إننا ندير مشروعنا التجاري ونستطيع أحياناً

الحصول على بعض الحلي والمجوهرات مثل هذه ثلاث مرات في أسبوع واحد إذا كان الحظ حليفنا، إن واحداً من أصدقائي يعمل سائقاً على إحدى سيارات الأجرة أما الثلاثة الآخرون فهم رجال أعمال.

ضحك وأضاف: عندما نحصل على شيء ما فإننا نسافر أحياناً إلى بورت هاركورت أو أونيتشا لبيع ذلك الشيء ثم نعود إلى لاجوس في خلال يومين أو ثلاثة أيام لأن الشرطة لا تقوم بواجبها إلا هنا في لاجوس فقط، إنني القائد وعندما أحصل على شيء مثل هذا الشيء فأنني أحتفظ به لنفسي، لدي أيضاً صديقة واحدة تدعى سابينا وهي جميلة جداً ورقيقة لكنني أحب النساء الناضجات من أمثالك، أنا لم أر في حياتي امرأة فاتنة مثلك، أنت بارعة في الطريقة التي تسيرين بها ومثيرة في ملابسك.

وضع يده فوق كتفها الأيسر وهو يرتعد لكن چاجوا سارعتْ بإمساك يده ووضعتها فوق ثديها فشعر برعشة طاغية في كل أجزاء جسده ولم يستطع أن يقاوم إحساسه المتقد.

قالت چاجوا: أنت تحبني، أليس كذلك؟ هل تحب چاجوا المرأة؟ إن الحصول على چاجوا الأنثى يتطلب كثيراً من النقود وأنت لست سوى واحد من الصفوة الصغار، إن چاجوا الأنثى للرجال ذوي المناصب الرفيعة وللمقاولين ورجال السياسة فهل رأيت چاجوا - في يوم ما - مع شاب مثلك ممن لا يجيدون ربطة العنق؟، أنت ترتدي القميص والبنطلون فقط ولا تملك رداءً للنوم أو حتى سلسلة ذهبية حول عنقك ثم تأتي لتقول بأنك تحب چاجوا التي تتفوق في أنوثتها على كل النساء!!، إن الكلام المعسول لا يطربني ولا يساعد في إثارتي فأنا أحب بالفعل شاباً مثلك يجيد لغة الكلام المعسول وهو الوحيد القادر على إثارتي أما أنت فقد جئت متأخراً ولذلك فلا بد أن تقدم لي شيئاً.

-لكنني أحبك فأنت جميلة ومثيرة إلى حد كبير.

مالتْ بجسدها نحوه وقالتْ: نعم أنا جميلة ولكن كيف يمكنني دفع قيمة الإيجار، أنا جميلة ومثيرة كما تقول ولكنني يجب أن أذهب للسوق وأرتدي الملابس الفاخرة.

شعرتْ بيده الساخنة وهو يتحسس ثديها الأيسر، انحنى برأسه باتجاه شعرها وراح يمطر كل خصلاتها بالقبلات وهو يقول: ولكنني أحبك يا سيدتي.

- برقة أرجوك ولا تكن فظاً معي، إن أصحاب المقامات الرفيعة يتعاملون معي برفق وكذلك المقاولون، إن چاجوا الأنثى تحب الرقة واللطف في التعامل ولا بد لجسدها المثير أن يلقى الاحترام اللائق به.

- نعم يا سيدتي لكن ثدييك يتنصبان واقفين كثديي العذراء.

- هل هما مثل ثديي صديقتك؟

- إن ثدييك تفوق بكثير ثديي صديقتي في وحشيتها وعذوبتها، إنني أحبك منذ أن رأيتك عندما جئت إلى تروبيكانا مع أحد الشباب.

- فريدي، حبيبي فريدي، لقد ذهب إلى إنجلترا لدراسة القانون.

- منذ ذلك الوقت وأنا أحبك لكنني خشيت أن...

- ماذا تفعل في لاجوس؟

- ليس لي عمل محدد، أنا رجل مستقل.

- وهل تملك من المال ما تستطيع تقديمه لچاجوا الأنثى؟

- إنني أحبك وليساعدني الرب في عمل شيء يرضيك وإذا كانت هذه الحلية تعجبك فهي لك.

قامتْ چاجوا بإخراج الحلية مرة ثانية وراحتْ تمرر أطراف أصابعها فوق سطحها المتلألئ ثم قالتْ: شكراً لك.

ارتدتْ الحلق في أذنيها وظلتْ تنظر في المرآة بإعجاب وقالتْ: أخبرني يا سيد دينيس فأنا لم أفهم نوع العمل الذي تقوم به مع أصدقائك، أعني بأنك أخبرتني عن صديقك الذي يعمل سائقاً وعن بقية أصدقائك وكذلك عن صديقتك لكنني بدأت أتساءل وانتابتني الشكوك، أخبرني إذن بالحقيقة يا دينيس.

أمسكتْ رأسه بيديها وسارعتْ بتقبيل شفتيه ثم أضافتْ: ما هو نوع العمل الذي تقومون به؟ إذا كنتم تسرقون المنازل فإن ذلك لا يدعو للخجل فأنا أعرف كثيراً من الناس ممن يفعلون ذلك ومنهم من يأتي إلى تروبيكانا بعد الانتهاء من عمله. نعم، لقد اعتدت على رؤيتهم، وإذا كنت أنت كذلك فلماذا لا

تأتي بما تحصل عليه من قطع الذهب إلى هنا ونستطيع أن نعمل سوياً، هل فهمت ما أعني؟

همس دينيس بصوت خفيض ومتقطع وهو يحلم بقبلة أخرى قائلاً : نعم.

- تستطيع المجيء إلى هنا ولأنني أعرف ما تريد فسوف أجعلك تستمتع معي كما لم تستمتع من قبل، ستنعم معي بما لا تستطيع أن تجده مع صديقتك التي لا تملك الخبرة الكافية في التعامل مع الرجال، سوف تفقد عقلك معي يا دينيس وأرى أنك ستتوقف عن لقاء صديقتك، لا داعي للخوف أبداً فأنت معي في أمان كامل ولن تعرف صديقتك شيئاً حتى لو أصبحت زوجتك، كما أنه من الممكن أن تمر بجواري ونتبادل التحية دون أن تعرف شيئاً، هكذا هي چاجوا الفاتنة!!، إنها قادرة على حفظ أسرار الرجال ولا أحد يستطيع -مهما بلغ ذكاؤه- أن يكتشف أي شيء، هل سمعتني؟ ستنعم بالأمان الكامل معي إذا أعطيتني ما أريد.

كانت شفتاها ملتهبتين وهي تقبله وتقول: هل تعدني؟.

تسلَلَت يده بتردد وخوف تحت قميصها لكنه -بعد لحظة قصيرة - تسلح بالشجاعة الكافية وراح يمزق القميص حتى برز ثدياها المتوحشان المثيران فقال مندهشاً وهو يضغط حلمة الثدي بقوة: يا إلهي، لقد خلق الله كل النساء لكنه لم يخلق سوى چاجوا واحدة.

همستْ چاجوا قائلة: برقة أرجوك، كنت أرقص هذه الليلة ولقد عدت لتوي من السفر وأشعر بإرهاق وكما أخبرتك بأنني لا أمارس الحب إلا مع ذوي الشأن ورجال المال و...

قال بعبوس وقد اكتسى وجهه بالتجاعيد السوداء: سأتعامل معك برفق، أعدك بذلك.

راقتْ لها تلك التجاعيد السوداء فوق وجهه وقالتْ: إن فريدي لا يتعامل معي بفظاظة أبداً، إنه رجل رقيق حقاً.

- من هو فريدي الذي تقصدين؟ أوه ، هل تقصدين ذلك الرجل الذي سافر إلى إنجلترا؟، نعم، كنت أراه كثيراً معك في تروبيكانا ودائماً ما كنت أغار منه.

- إنه في إنجلترا الآن لدراسة القانون ويمكنك أن تتخيل كم من الجهد الذي يبذله كل ليلة للانتهاء من دراسته كي يعود ويتزوجني.

قال دينيس الشاب: أنت امرأة حقيقية.

شعرتْ بالسعادة لذلك الإطراء فأضاف دينيس: أنت تتعاملين مع الصفوة من الرجال.

قالتْ: إن الوقت متأخر الآن، هل ستنام هنا أم أنك....؟

-لا، إنني أقضي معك بعض الوقت وفقط.

- ولماذا لا تنام؟ أتريد أن تمارس معي الحب ثم تغادرني وترحل؟ هل صديقتك هي السبب؟ ولماذا أخبرتني بأنك لا تحبها؟ هل تخاف منها؟ يجب أن أراها في يوم ما تلك المسماة بسابينا، أود معرفة شكلها.

بدت عيناه كرغيفين من الخبز الساخن وكأنهما خارجتان للتو من الفرن، وبينما راحتْ تغلق الباب لتنام تحت شبكة الناموس كان دينيس يلاحقها بعينيه البيضاويين الجائعتين.

# (١٧)

كانت چاجوا جالسة في المطبخ وهي تقلِب الاستاكوزا الكبيرة في طاسة القلي عندما جاءت روزا وكان المطبخ مليئاً بالدخان الرمادي الخانق، ولم يكن من العسير على أي شخص قريب أن يخطئ تلك الرائحة الحريفة المنبعثة من مطبخ چاجوا، كما لم يكن من السهل تجاهل نكهة الاستاكوزا المثيرة للشهية، إن چاجوا تحب أن تستعرض طريقتها في الطهي وها هي قد عادت للتو من السوق المجاور للبحيرة بعد أن وضعتِ الخضروات والطماطم والسمك الطازج ولسان الحمل في سلة كبيرة وربطتها فوق ظهرها، سمعتْ ضجيجاً فنظرتْ حواليها وشاهدتْ تلك المرأة الشابة وهي تسحب منها السلة الكبيرة وتصعد بها السلالم وتقول: آه، انتظري، انتظري، لم أسمع منك أية أخبار فجئت بنفسي للقائك لأنني لم أجد أي عمل حتى الآن ولعلك تتذكرين وعدك لي بأن تساعديني في إيجاد عمل عندما تقابلنا في تروبيكانا.

قالتْ چاجوا: نعم، إنني أتذكر، ضعي حقيبتك في الردهة فأنا مشغولة لآن بإعداد الطعام.

وضعتْ روزا حقيبتها بجوار الحائط في هدوء ثم دخلتِ المطبخ وتناولتِ السكين من يد چاجوا وبدأت بتقطيع اللحم وقامتْ بطحن الفلفل واعداد الطماطم والجمبري للطهي، مسحتْ يديها بثوبها وراحتْ تغني على إيقاع حجر الطحن وبدا على چاجوا في الحال أنها مسرورة لابتهاجها.

بدتْ روزا متغطرسة في سلوكها ولم تكن تصرفاتها توحي بالمودة والصداقة كما أنها لم تقم بإظهار الاحترام اللازم لمن هي أكبر منها وأكثر خبرة منها، ورغم ذلك لم تتوقف چاجوا عن الابتسام في وجهها ورأتْ أنها الآن في المطبخ غير جذابة بدون ماكياج غير أنها تتمتع بقدر خاص من الأناقة، وعرفت چاجوا أن السبب وراء إعجاب الرجال بها في تروبيكانا لم يكن سوى لصغر سنها وقوامها الرشيق مما جعلها تغار منها في البداية لكنها ترى الآن أن بوسعها أن تكون شريكاً مفيداً تستطيع أن تعتمد عليها عندما تكبر وتفقد فتنتها وتتقاعد عن العمل.

كانت روزا - بعد أسبوع واحد - ما تزال تزرع الشوارع بحثاً عن مكان يأويها غير أن چاجوا لم تتذمر لأنها دائماً ما كانت ترغب بوجود رفيق معها خاصة بعد رحيل فريدي، وبدتْ لها روزا مناسبة رغم أنها لا تثق دائماً في صديقاتها من النساء.

كانت روزا تأتي أحياناً بأحد الرجال معها أثناء غياب چاجوا في فترة ما بعد الظهر، وكانت چاجوا تراها في كثير من الأحيان وهي تدخر النقود حتى تتمكن من دفع ستة أشهر كمقدمة لإيجار أي بيت.

لاحظتْ چاجوا أن واحداً من أولئك الشباب يأتي كثيراً بسترته الشتوية الفضفاضة حتى لو كان الجو خانقاً. وذات مساء حين كانت تستمتع بقليل من الاسترخاء في بيتها سمعتْ روزا وهي تدخل بصحبة الشاب ذي السترة الفضفاضة، فنهضتْ على الفور من فوق السرير وارتدتْ ملابسها، نظر الشاب إليها وكأنه واحد من الصفوة في لاجوس فأقسمت چاجوا بينها وبين نفسها أنه كان واحداً من الذين يواظبون على حضور محاضرات المجلس البريطاني التي اعتادتْ حضورها مع فريدي، رفع شعره بيده عالياً وراح يتحدث بالفصحى فاستطاعتْ چاجوا أن تتعرف على وجهه وخامرها إحساس بأنه حبيب روزا الشاب، جلستْ روزا إلى جانبه لحظة بدتْ خلالها متوترة فلم يكن من العسير على چاجوا أن تشعر برغبتها، كانتْ روزا تتمنى رحيل چاجوا في تلك اللحظة.

تساءلتْ چاجوا بينها وبين نفسها: ماذا يجب أن أفعل؟

ثم أجابتْ قائلة: يجب أن أذهب لرؤية ذلك الشاب دينيس أو دوما بنفسي حيث يصبح للشباب قيمة في ظل غياب فريدي الذي يبعد الآن أربعة آلاف ميل عن هنا، إن دينيس أو دوما صاحب الحلية الذهبية قد يؤدي الغرض الآن، يجب أن أتوجه إلى أوبانلا حيث يعيش دينيس لرؤية أصدقائه، سائق سيارة الأجرة وبقية أصدقائه الرائعين وكل المجموعة التي تحدث عنها.

شعرتْ برغبة شديدة في معرفة ذلك الشاب دينيس الذي كان يناديها بكلمة ماما والذي لازمها الفراش وقدم لها الحلية الذهبية، وفكرتْ بأنه قد يكون مجرماً خطيراً رغم أن إحساسها الأنثوي لم يدرك تلك الفكرة لكنه لم يكن بالنسبة لها سوى شاب غريب ومثير للقلق وذي شخصية جذابة وقوية ويحمل كثيراً من الأفكار البراقة.

قالتْ لنفسها: إن اللصوص عادة ما يقضون فترة ما بعد الظهر في بيوتهم وقد يحالفني الحظ وأتمكن من مقابلتهم الآن.

هبطتْ من الحافلة في محطة يابا وسارتْ على قدميها وسط بستان من الأشجار قاصدة أوبانلا حيث يعيش دينيس في ذلك الجزء المهجور المظلم من لاجوس، وعندما وصلتْ ودقتِ الباب فتحت لها فتاة نحيفة ترتدي بنطالاً

من الجينز الضيق وقميصاً رجالياً ضيقاً فعرفتْ چاجوا أنها الفتاة التي حدثها دينيس عنها.

كانت الفتاة تصدر فرقعات متكررة من فمها وهي تمضغ اللبان وتقلبه بين أسنانها حتى إن أسنانها المرصعة باللآلئ ظلت تلمع وتتلألأ، وكانت بشرتها مدهونة بالكريم وبدا شعرها الأسود اللامع وكأنها قادمة للتو من عند الكوافير كما بدت شفتاها ناعمة وقابلة للتقبيل بشراسة.

قالت الفتاة: من تريدين؟

شعرتْ چاجوا على الفور بأنها دخيلة وقالتْ: أريد دينيس.

-إنه مشغول، ماذا تريدين منه؟

-لا أريد سوى رؤيته.

وقفتْ چاجوا تنظر فيما وراء سابينا نحو الممر الطويل المؤدي لكل الحجرات ، إن أماكن كثيرة في مدينة لاجوس لا يستطيع فيها أي شخص غريب مهما كان لون بشرته أن يمضي إلى حال سبيله دون التعرف عليه في الحال كما أنه يكون مراقباً طوال الوقت منذ قدومه إلى رحيله، إن أوبانلا واحدة من هذه الأماكن. وبينما كانت چاجوا ما تزال واقفة شاهدتْ أبواب الحجرات أثناء فتحها وغلقها في الممر وقد أطلت منها رؤوس سرعان ما اختفت مرة ثانية، كان الجميع صامتاً وكانت چاجوا هي الغريبة الوحيدة في المكان وسط لصوص دينيس أو دوما.

عرفتْ چاجوا فيما بعد أن أوبانلا كانت موطن المحامين والمهندسين ورجال الأعمال المشهورين والذين يتمتعون بسمعة طيبة، وأن أولئك الرجال هم الذين قاموا بتحسين صورة أوبانلا وإخراجها من عالم الرذيلة والجريمة.

وقالوا لها بأن الجميع كان يشكو من تعرضه للسرقة من قبل اللصوص لكنهم أخبروها بأن كل من تجرأ على السرقة قد تمت معاقبته لأنه أصبح خارجاً عن القانون.

قالتْ الفتاة وقد أصبح الممر أكثر إظلاماً من شدة الهدوء: انتظريني.

استدارت الفتاة حتى أصبح ظهرها المتوهج بالرغبة مواجهاً لچاجوا وكانت تتمتع بجسد رشيق وأفخاذ متناسقة، وكان البنطلون الجينز ضيقاً فبدا أن كل

جزء من أردافها -أثناء السير- أكثر إثارة، كانت تسير ببطء ومرونة وبطريقة توحي بأنها تعرف قدر نفسها، فشعرتْ چاجوا بالغيرة تتدفق من عينيها وتذكرتْ شبابها حين لم تكن أي فتاة مثل هذه تجرؤ على منافستها في الأناقة والقدرة على الإغواء ولكن يجب أن تقر بأن دينيس قد اختار الورقة الرابحة لأنها واحدة من الجيل الجديد.

ظهر دينيس بعد لحظة ومن خلفه ثلاثة رجال ثم قال وهو يبتسم: لقد جئت لرؤيتنا اليوم يا ماما!

-قالت لي الفتاة إنك مشغول.

-أوه، سابينا؟ دعك منها وتعالي معي إلى الداخل.

كان يرتدي قميصاً ملوناً وبنطالاً ضيقاً وحذاءً إيطالياً وقد كبرت لحيته قليلاً منذ شاهدته آخر مرة، وكانت تفوح منه رائحة الجن مما جعلها تتذكر باجانا وكرينا ميه حيث كانوا يسكبون الجن من الإناء الفيكتوري الرائع، وفي الحجرة التي دخلتها معه كانت رائحة أخرى من الخمر تفوح بقوة أكثر ولم تستطع في البداية أن ترى بوضوح لكنها سرعان ما بدأت تعتاد الأشياء والأشكال وبدا الأمر كله وكأنها داخل أحد المحلات الراقية. شاهدتْ واحداً من الرجال وهو يضع أسطوانة داخل الجهاز الموضوع بعناية عند الركن، وعلى الفور انطلقت الموسيقى الصاخبة، قدمَ لها أحدهم كأساً من الشراب وبدأت الفتاة ذات الجينز الضيق بالرقص وراحتْ تتلوى بجسدها بطريقة داعرة وكانت شفتاها غير ملتصقتين وعيناها متلألئتين وغارقتين في النشوة، كانت تتلوى بمفردها دون أن يعيرها دينيس أي انتباه لكن أحد الرجال اتجه ناحيتها وقام باحتضانها ثم راح يرقص بطريقتها نفسها.

انحنى دينيس وأمسك بيد چاجوا ثم شدها بأطراف أصابعه وراح يرقص معها دون ابتذال ثم قال: كنت أتحدث مع أصدقائي عندما كنت تطرقين الباب.

أخبرها عن مجموعة أصدقائه الخاصة، وكان سائق سيارة الأجرة واحداً منهم فأشار إليه حيث كان جالساً عند أحد الأركان في حالة من الانبهار.

قال لها دينيس: هكذا هو طوال الليل، إن سائق سيارة الأجرة هذا متزوج من امرأة خارقة الجمال ولقد فازت ذات مرة في إحدى مسابقات الجمال وعرفت الكثير عن الدنيا لكنها اتخذت قرارها بالعيش والاستقرار مع سائق سيارة الأجرة.

ثم أضاف وهو يضحك متسائلاً: ملكة جمال تتزوج من سائق سيارة أجرة، أليس ذلك مضجراً؟، نحن هنا على أية حال نقتل الوقت حتى موعد قدوم الليل.

سمعوا - في تلك اللحظة - صوت صفارة سيارة الشرطة وهي تطلق نفيرها بالخارج فهرع الأولاد في الحال إلى حجراتهم المختلفة واستطاعت چاجوا أن ترى سابينا وهي تتسلل إلى الحجرة المجاورة بعد أن تناولت أحد السلالم وتسلقتْ درجاته برشاقة كالقطة ثم اختفتْ داخل فتحة صغيرة في السقف، ويبدو أن التسجيل أيضاً قد أصابه الفزع فتوقف عن بث الموسيقى.

اختفوا جميعاً داخل المكان بطريقة متقنة وأصبح شكل السقف طبيعياً، كانت كل الحجرات فارغة وكانت العيون المتلألئة تتوجه نحو الباب، ولم يتبق في الحجرة سوى چاجوا ودينيس حيث جلسا في حالة من الترقب، بينما كانت أقدام رجال الشرطة تتحرك فوق الرصيف الخارجي وكانوا يرتدون زياً موحداً ولا يقل عددهم عن اثني عشر رجلاً، دخلوا بعد إظهار إذن التفتيش وما هي إلا لحظات قليلة حتى تجمعت القرية بكاملها أمام الباب لمراقبة الحدث.

بدتْ چاجوا شديدة الإعجاب بشجاعة وجرأة دينيس الذي كان هادئاً ولم يرتبك على الإطلاق، لقد جاءت الشرطة إلى أوبانلا بعد أن تلقت معلومات تفيد بضرورة تفتيش المقر الذي يقيم فيه دينيس أودوما وأصدقاؤه، أفرغوا كل الصناديق من محتوياتها وبحثوا بداخلها بدقة ثم طرحوا بعض الأسئلة بعد أن قاموا ببعثرة الصور الفوتوغرافية وانتهى الأمر بعودتهم إلى السيارة السوداء.

أداروا محرك السيارة وقبل أن يستديروا بها عند أول منعطف خرجوا جميعاً من مخابئهم وكان سائق سيارة الأجرة أولهم، دخل الحجرة وناول دينيس حزمة صغيرة، ابتسم دينيس وسارع بتقديم الحزمة إلى چاجوا وقال: هذه هي ما كانوا يبحثون عنها، هل تعرفين ما يجب أن تفعليه بهذه الحزمة؟

فكتْ چاجوا اللفافة من فوق الحزمة بسرعة فتلألأت عيناها ببريق الحلية الذهبية وكان بريقها يفوق كثيراً تلك التي قدمها لها دينيس في ليلة سابقة وقالتْ: رائعة!، سأذهب للصائغ كي يشتريها مني حيث يمكنه إذابتها وإخفاء معالمها وعندئذ تستطيع أنت أن تأخذ ثمنها.

-حسناً، لكنك لن تطلبي مني عمولة.

ضحكتْ چاجوا وأجابتْ: لا تستبق الأحداث، علينا أن نبيعها أولاً.

أمسك سائق سيارة الأجرة بذراع دينيس وقال: وماذا عن الليلة؟ متي تريدني أن أحضر السيارة؟

أجاب دينيس: من الأفضل أن نغادر بعد منتصف الليل.

قال سائق سيارة الأجرة وقد بدت على ملامح وجهه علامات القلق: إنه وقت مبكر وأعتقد أن الثانية بعد منتصف الليل هو الوقت المناسب حيث تغلق المحلات أبوابها ويكون النوم قد غلب حراس الليل فأنت تعرف أنهم يسهرون حتى وقت متأخر في هذه المنطقة من لاجوس نظراً لوجود عدد كبير من البيوت التي يتبادلون فيها الشراب.

سمعتهم چاجوا وهم يتحدثون عن عزمهم القيام بالسطو على أحد المحلات فأدركتْ أنهم كانوا يخططون لعمل غارة ليلية ولم يكن هدفهم سرقة البضائع وإنما كل الأموال الموجودة بالمحل، ظل سائق سيارة الأجرة يذكر دينيس بأنه شاهد صاحب المحل وهو يضع أوراقاً نقدية لا تقل عن الألف من الجنيهات في صندوق متين وأنه متأكد بأن الصندوق موجود داخل المحل، كانوا يتحدثون بهدوء دون أي اعتبار لوجود چاجوا.

شعرتْ چاجوا بإحساس الرجل الذي يقوم فجأة بفتح باب إحدى الحجرات الغريبة فيرى رجلاً عارياً يمارس الحب مع امرأة عارية فوق السرير وقالت لنفسها: يستطيع ذلك الرجل أن يغلق الباب بسرعة وبسهولة وكأنه لم ير شيئاً أما أنا فغير قادرة على إغفال ما رأيت أو تجاهل ما سمعت.

وهكذا ظلتْ چاجوا في حالة من الارتباك.

كانت إحدي النساء تطلق الشتائم بصوت عال على سائق سيارة الأجرة من داخل إحدى الحجرات، وكان صوتها قوياً وواضحاً حتي لم يعد من اليسير تجاهله، قالت بأنه كسول وعديم الفائدة وأنها ستحزم أغراضها وتتركه.

قال دينيس شارحاً: إنها زوجة سائق السيارة، إنها في مزاج سيئ لأنه لم يستطع أن يشتري لها فستاناً بمائة جنيه كانت ترغب فيه بشدة، إنه فستان من ذلك الطراز الذي ترتديه النساء في المآتم ومراسم الجنازات، لقد كان لزاماً عليها حضور جنازة أحد الرجال والذي كانت تربطها به علاقة قوية.

واصلتْ المرأة شتائمها بلغة اليوروبا وأضافتْ: أنت لص كبير.

نظرتْ چاجوا إلى وجه سائق سيارة الأجرة فأبصرتْ ذلك النوع من الفزع الذي ينتاب الرجل حين يشعر بأنه لا شيء أمام امرأة يحبها.

استطردتْ زوجة السائق: لقد تركت كل الرجال الذين هم أفضل منك ووافقت على الزواج منك، أنت شخص تعيس ويجب عليك أن تبتهج، إن النساء يستمتعن بارتداء مختلف الملابس كل يوم بينما أصبحت أنا عارية، إنني أشعر بالخجل ولا أستطيع أن أظهر أمامهن، يجب أن تخجل من نفسك ولا بد أن تمنحني المائة جنيه إذا لم تذهب بنفسك لتشتري لي الفستان، وإذا لم تفعل فلتعرف أن كثيراً من الرجال يتمنون شراءه من أجلي، هل تسمعني؟ ولا تعتقد أنك الرجل الوحيد الذي أعلق عليه آمالي فأنت لست سوى رجل أحمق ومعتوه، أنا ملكة الجمال التي جاءت لتعيش في مثل هذا البيت البائس وتنام مع رجال قذرين من أمثالك ممن لا يملكون نقوداً في جيوبهم فهل تعتقد أن حياتي قد انتهت؟

أصبح صوتها الصاخب مثيراً للضجر فاستدار دينيس بوجهه ناحيتها وقال: أنت هناك يا بنتو! فلتصمتي إذن، هل تسمعينني؟ إن سيدة لطيفة ومهذبة بصحبتنا الآن وأنت تلحقين بنا الخزي والعار أمامها.

لم تتوقف بنتو وأضافت بالصوت نفسه: رجل عديم الفائدة، أنت تعمل على السيارة من الصباح حتى المساء وتنقل النساء من مكان إلى آخر بالمجان وتكتفي بالنوم معهن في حجراتهن، من سيدفع ثمن البنزين عندئذ أيها الأحمق؟

شاهدتْ چاجوا دينيس وهو يهرع من الحجرة وسمعته وهو يغلق باب بنتو بقوة حيث راح يكيل لها اللكمات واستطاعتْ چاجوا أن تسمع بكاءها أيضاً، خرجتْ بنتو بقميص نومها بعد لحظة قصيرة وكان وجهها متورماً واحتشد كثير من أهل أوبانلا للمرة الثانية عند الباب لمعرفة ما يحدث، وعندئذ أمسك السائق بذراع دينيس وقال له: أرجوك وأتوسل إليك أن تتركها، لو أنك صدقت كل ما يتفوه به فم امرأة فإن الأمرسينتهي بك إلى ارتكاب جريمة، دعها تتحدث كما تشاء لأنه من الجيد لها أن تبوح بما في أعماقها، إنها زوجتي وهي لا تلعن أحداً سواي.

صاح دينيس قائلاً: هيا، عودي إلى حجرتك وإذا سمعت كلمة واحدة منك فسوف أقتحم الحجرة وأقتلك.

سمعته چاجوا فرأتْ فيه شخصاً آخر وعرفتْ أن المجموعة كلها تكن له الاحترام اللائق.

اتجهتْ سابينا نحو دينيس وهي تهز فخذيها ووضعتْ يدها تحت ذراعه ثم راحتْ تدغدغ مشاعره، التصق ثديها النافر الصغير بجسده وهي تسحبه للعودة إلى الحجرة حيث كانت چاجوا تنتظر بنفاد صبر.

بدأ دينيس بالقول: كما كنت أقول، والآن أين توقفنا؟

وضعتْ چاجوا الحلية الملفوفة في حقيبتها وقالتْ: سأذهب الآن، سآخذ هذه الحلية إلى الصائغ لمعرفة ما يمكن أن يحدث.

قال دينيس وهو متجهم: أنا آسف يا چاجوا بشأن كل ذلك الإزعاج، تلك المرأة تحاول أن تثير القلق دائماً لتصيبنا بالارتباك والفوضى أثناء عملنا، إنها تدفعنا لعمل أشياء لسنا مستعدين للقيام بها، إن القيام بعمل أي شيء في العالم يتطلب قدراً من الإحساس والفهم الصحيح.

قالتْ چاجوا: لا تقلق.

وضحكتْ سابينا قائلة: أنت تعاملها بطريقة حسنة وهي تحتل طابقاً متميزاً ومصمماً على الطراز الهندي وها أنت قد ضربتها وستعرف كيف يجب أن تتحدث في المرة القادمة.

قالتْ چاجوا: سأرحل الآن يا دينيس وعندما تأتي إلى بيتي سأخبرك بما قاله الصائغ.

هبطتْ چاجوا من السيارة ومضتْ بالقرب من السوق المكتظ بالخضروات والأسماك الفاسدة، وبعد أن تجاوزتْ الضجيج من حولها دخلتْ محل الصائغ وكان الظلام يخيم على المنطقة الواقعة بين الترزي والحلاق، نهض الصائغ بعد الانتهاء من عمله للترحيب بچاجوا فور دخولها فقدمتْ له اللفة وبداخلها الحلية ثم جلستْ إلى جوار المكتب العتيق.

قام الصائغ بفك اللفافة بعناية وراح يتفحصها ثم قال: إنها ليست ذهباً على الإطلاق، إنها مجرد قطعة عادية.

وضعها في اللفة مرة أخري وناولها إياها.

قالت چاجوا: هراء ما تقول، أنت ناقم وتتعامل معي بإهانة، فلتقل إنك لا تملك نقوداً لتدفعها.

- من قال إنني لا أملك نقوداً؟، حسناً، دعيني أراها مرة أخرى.

ناولته چاجوا الحلية فنظر الصائغ إليها بعدم اهتمام وقال: سأدفع لك عشرة جنيهات.

- أتعتقد بأنني بحاجة ماسة للنقود؟ ألا ترى ملابسي التي أرتديها؟ إذا لم تدفع لي خمسين جنيهاً فإنني سأرحل..

خرج الصائغ من المحل وراح يتشاور مع ثلاثة من أصدقائه وعندئذ أدركتْ چاجوا أن بحوزتها شيئاً ذا قيمة كبيرة فجلست متماسكة بينما كان الرجال الأربعة يتبادلون الحديث، عادوا إلى المحل وبحوزتهم الحلية وظلوا صامتين لفترة طويلة أدركتْ چاجوا خلالها أن ذلك هو الوقت المناسب للحصول على أعلى سعر خاصة وأن مهرجان الخراف سيبدأ قريباً حيث تتطلع النساء لشراء مثل تلك الأنواع من المجوهرات التي يقوم الصاغة بصهرها في الغالب ويصنعون منها أشكالاً جديدة.

سمعتهم وهم يتحدثون بصوت خفيض وعندما اقتربتْ منهم قال الصائغ: حسناً، عشرون جنيهاً وهذا كلام أخير.

تظاهرتْ چاجوا بأنها لم تسمع شيئاً ولم تلتفتْ له فبدأ كل منهم يتهم الآخر بسوء التقدير، وبعد ساعتين من المداولات خرجتْ چاجوا من المحل وهي تضع في حقيبتها خمسة وثلاثين جنيهاً.

# (١٨)

لم تتمكن چاجوا من رؤية دينيس إلا بعد يومين وما إن دخل بيتها حتى سارعتْ روزا بالخروج وبدت نظراته مخيفة في ذلك المساء.

قالتْ چاجوا: ماذا حدث يا دينيس؟ إن وجهك مكفهر وكأنك خسرت مبلغاً كبيراً من المال أو فقدت شخصاً عزيزاً .

أجاب دينيس: لقد قتلوا سائق سيارة الأجرة ليلة أمس وألقوا بجثته في البالوعة.

أمسكتْ چاجوا برأسها بين يديها وصرختْ وحين سمعتْ روزا صرختها عادت إلى الحجرة على الفور وهي تسير على أطراف أصابعها وقالت: لماذا تصرخين يا ماما؟

كانت چاجوا ودينيس ينظران إلى السجادة المفروشة فوق الأرض وهما في حالة من الصمت فتساءلتْ روزا مرة أخرى بعد أن جلستْ: ماذا حدث يا ماما؟ هل مات أحد؟ أنت تصرخين وكأن أحداً قد مات.

استدار دينيس ناحيتها وقال: لقد قتلوا صديقنا السائق.

أطبقتْ روزا ذراعيها فوق صدرها وقالت: فليرحمه الله.

قال دينيس بهدوء محاولاً شرح الحكاية منذ بدايتها: كانت زوجة السائق تتذمر كثيراً من قلة النقود فتوترت العلاقة بينهما، وبعد وفاة إحدى الأرامل اجتمع أقارب الأرملة بعد نهاية فترة الحداد وعملاً بالعرف السائد الذي يبيح بيع ملابس المتوفاة قرروا أن فستانها المخملي الناعم بلونه الأحمر الضارب إلى الرمادي والمطرز بالنايلون والمجوهرات لا يقل عن مائة جنيه لمن يريد شراءه، لم يكن سائق سيارة الأجرة يملك المال الكافي للحصول على ذلك الفستان، لكن زوجته التي كانت على علاقة حميمة مع الأرملة لم تتفهم عجزه وقامتْ بتهديده قائلة: سوف أتركك وأرحل إذا لم توفر لي النقود اللازمة في خلال يومين.

صمت دينيس لحظة ثم أضاف مستطرداً: كانت تهدده دائماً بالرحيل على أية حال وكثيراً ما حاولت فك الاشتباك بينهما وبخاصة في تلك المرة حيث كان

المبلغ المطلوب كبيراً، غير أن محاولاتي جميعاً كانت تنتهي بالفشل، ولعلك تدركين يا چاجوا مدي ضعفه في مواجهتها وعجزه أمام جمالها الأخاذ رغم محاولاته الكثيرة السيطرة على طموحاتها، لقد كانت شخصية قلقة ومفتونة بالمظاهر، وفي تلك الليلة المشؤومة لم تتوقف عن تذمرها فاضطر صاحبنا السائق أن يجبرني على الذهاب معه لسرقة الدكان الذي شاهد فيه امرأة وهي تدس بداخله ألفاً من الجنيهات داخل صندوق من الصلب لكنني لم أشعر حينها بالرغبة في القيام بذلك العمل فذهب بمفرده ولم يكن يعلم أن تلك المرأة قد استأجرت رجلاً مسلحاً كان ينام داخل الدكان، طعن الرجل المسلح السائق وألقى به داخل البالوعة مع مياه الصرف حيث عثروا عليه في الصباح.

كانت تلك هي القصة التي رواها دينيس وأعلنت لاجوس في تلك الأثناء حالة الطوارئ وبخاصة حول أوبانلا حيث أظهر رجال الشرطة مدى يقظتهم وتوقهم الشديد في القبض على مرتكب الحادث.

قالتْ چاجوا متسائلة: وماذا عن زوجة السائق؟

ابتسم دينيس وأجاب: حزمت أغراضها ورحلت من البيت بسرعة لكن سابينا أخبرتني بأنها تعرف المكان الذي تختبئ فيه النساء، إن واحدة منهن شريكة في الجريمة.

- هل تعني سابينا وزوجة السائق؟ إذا كان الأمر كذلك فإنني أعتقد أنها لن تعود.

- لا، قالت بأنها لا ترغب في حدوث أي مشكلة.

تنهدتْ چاجوا وقالتْ: هل لديها أطفال منه؟

أجاب دينيس: نعم، إنها تلد طفلاً كل عام مثل الدجاجة ولقد أنجبت منه ثلاثة أطفال كما أن لها ثلاثة أطفال آخرين من زواجها السابق برجال آخرين أو نتيجة لعلاقة عابرة مع أحد العشاق، وعلي أية حال فإنها لا تعبأ بالأطفال قدر اهتمامها بالملابس، لقد رحلتْ الآن واختفتْ لكنني أستطيع العثور عليها، إنها لا تعير انتباهاً لأي شيء طالما وجدت الملابس والأموال والسلع الفاخرة، أعرف أنها ستوجد حيث توجد تلك الأشياء، عندما بدأت حياتها مع السائق اعتاد الرجل أن يدفع لها عشرة جنيهات كل يوم لكنها كانت تبدأ بالشكوى فور الانتهاء منها ولذلك قمت بضربها في المرة الأخيرة، إنني متأكد بأنها ستذهب لحضور مراسم الدفن من أجل اصطياد رجل يستطيع أن يدفع لها

المائة جنيه أياَ كان ذلك الرجل، إنها لا تهتم بأي شيء سوى بالمال الذي تستطيع به أن تشتري الفستان حتى تبدو جميلة وتستمتع بنظرات الرجال وهي تلاحقها.

نظرتْ چاجوا إلى روزا نظرة ذات معنى غادرتْ روزا على إثرها الحجرة وتركتها وحيدة مع دينيس، تناولتْ چاجوا اللفة المنتفخة من تحت الوسادة وقدمتها إلى دينيس وقالتْ: خمسة وثلاثون جنيهاً وعليك التأكد من النقود، إنه المبلغ الذي دفعوه لي مقابل الحلية.

تناول النقود منها ولاحظتْ چاجوا علامات التصميم والغضب المرتسمة فوق حاجبه وهو يعد النقود فقالتْ: أريد أن أخبرك بشيء يا دينيس، إن طريقتك في العيش محفوفة بالمخاطر وأنا أشفق عليك من مثل تلك الحياة البائسة.

ابتسم دينيس وقال: وماذا تريدنني أن أفعل؟ هل تريدين أن أذهب للعمل كبائع في أحد الدكاكين؟ حسناً، لقد حاولت أن أجد عملاً ولكنهم طلبوا مني رشوة وعندما أعطيت أحد الرجال عشرة جنيهات قام بتبديدها ولم يجد لي عملاً، ما الذي يجب أن أفعله؟ لا بد أن أفعل شيئاً، لقد كنت أنا والسائق الذي مات نحصل أحياناً على مائة جنيه كل يوم سبت ورغم أننا لم نكن نهتم بأي شيء إلا أننا كنا سعداء، لقد حالفني الحظ عندما عرفت حبيبتي سابينا وهي تحبني جداً وتقول بأنها ستقتل نفسها إذا ما ألقت الشرطة القبض عليَ، لم تعرف سابينا أي رجل قبل أن ألتقي بها وأنا الذي قمت بفض بكارتها وهي لا تثق بأي رجل غازب في هذا العالم سواي، إنها تحبني كما أنني استطعت الحصول على هذا البيت الكبير بمشاركة السائق الذي مات وبقية الأصدقاء حيث نتبادل جميعاً دفع قيمة الإيجار بالتناوب، إننا لا نتردد في تبديد النقود أبداً وننفق بسخاء ولا نعتبر ذلك تبذيراً وإنما نحن ننفقها للحصول على أي شيء نريده، أي شيء، فلماذا أقلق إذن خاصة وأن الشرطة حين تقبض علينا في يوم ما فإننا لن نشعر بفارق كبير بين الحياة داخل الزنزانة وخارجها، إنهما الشيء نفسه تقريباً.

كانت چاجوا تراقبه وهو يتحدث مستخدماً يديه في التعبير ثم شعرتْ - بطريقة أو بأخرى - أن فلسفة ذلك الشاب هي الفلسفة نفسها التي تؤمن بها غير أنها لم تستطع أن تفسر ذلك التطابق في الأفكار، إنه يعيش اللحظة كما هي وبكل تفاصيلها ولكن بطريقة يائسة ولا يعير انتباهاً للعرف السائد.

قالتْ له: إن ما تقوله صحيح.

لكن قلب المرأة الكبير بداخلها جعلها عاجزة عن احتمال رؤية ذلك الشاب - الذي هو في عمر ابنها - وهو يرتع في عالم من الطيش والتهور والإهمال، وانتابها إحساس مؤكد بأنه سيموت بسرعة إذا ظل يعيش بالطريقة نفسها، فاستطردتْ قائلة: كل ما قلته صحيح يا دينيس لكنني أتوسل إليك أن تتوقف عن ممارسة تلك الأعمال ولتأخذ من السائق عبرة، هل تسمعني؟ توقف وابدأ عملاً شريفاً تستطيع من خلاله أن تعيش لفترة أطول ويمكنك بالتالي مساعدة أمك في شيخوختها، لاجوس مليئة بفرص العمل حيث النقود ليست من نوع النقود التي تحصل عليها الآن، ماذا ستفعل أمك إذا قتلوك بوضع السكين في بطنك؟

أجاب دينيس: سيكون ذلك من سوء حظي وفقط ، هذا كل ما في الأمر.

سألته چاجوا: هل التحقت بالجيش فيما مضى؟

ضحك دينيس بسخرية وقال: نعم، لقد ذهبت إلى معسكر بورما لكنني هربت.

أصيبتْ چاجوا بالذهول وقالتْ: أتوسل إليك يا دينيس أن تهتم بنفسك وأرجوك أن تتوقف عن المضي في طريقك المليء بالأشواك، وأؤكد لك أن فرص العمل في لاجوس كثيرة ومقبولة، لقد أخبرتك أن صديقي وحبيبي فريدي في إنجلترا، إنه مدرس عادي ولم يكن يملك المال الكافي لكنه طموح وكان يحلم بالسفر من أجل تحقيق طموحاته، ورغم أن محاولاته الكثيرة باءت بالفشل إلا أنه لم ييأس وإنما راح يحاول من جديد حتى حالفه الحظ واستطاع أن يحقق طموحه بالسفر إلى إنجلترا حيث هو موجود الآن وسيعود قريباً ويعمل محامياً، أنا أحب الرجل الذي يتمتع بطموحات كبيرة ويسعى لتحقيقها بالعمل الشريف فأرجوك ومن أجل سابينا التي تحبك حاول أن تكون إنساناً صالحاً.

ابتسم دينيس وقال: سابينا لا تهتم بذلك أبداً، إنها تعرف كل شيء ولا تشكو من طريقتي في الحياة، ألم تشاهديها أبداً وهي ترقص في تروبيكانا؟ في تروبيكانا وليس في بيتنا، إن رقصها في تروبيكانا شيء مختلف تماماً عن رقصاتها المتواضعة في البيت، لقد أصابت الرجال البيض بالجنون لكنني كنت أقف بالمرصاد للحيلولة دون اختلاط دمها بدمهم، سابينا تحبني وتحب ما أفعله، إنها تحبني لأنني شاب وقوي ولا أخشى أي شيء، كما أنها أيضاً لا تخاف من بشرتها السوداء ولا من أي شخص، يا إلهي، إنها قوية كالنمر.

كان متحمساً لعاطفته وأسيراً لها فأدركتْ چاجوا أنها لن تستطيع أبداً إقناعه ولن تنجح فى تغيير اسلوب حياته فقالت بيأس: أوه، حسناً، سوف نرى.

فكرتْ وهي خائفة بأن حياته المضطربة والمليئة بالقلق والخوف يمكن أن تفسد حياتها وتسيء إلى سمعتها. فأضافتْ قائلة: من الأفضل أن ترحل الآن يا دينيس، لقد تذكرت بأنني على موعد مع أحد الرجال، إنه على وشك الحضور.

عرفتْ چاجوا أيضاً أن معرفتها بدينيس ستكون سبباً مباشراً في إفساد علاقاتها مع الرجال من ذوي الشأن فقالت له: إن الرجل الذي يقوم برعايتي في هذا البيت على وشك الحضور يا دينيس، لقد اعتاد على الحضور في مثل هذا الوقت من المساء ولذلك فإنني أتوسل إليك أن ترحل الآن دون أن تشعر بالضيق ويمكنك المجيء في وقت آخر.

كان دينيس ما يزال واقفاً عندما جاء الرجل ودخل الحجرة فقال: سأراك مرة أخرى.

تماسكتْ چاجوا بسرعة وراحتْ تميل بفخذيها لإغرائه ثم غمزت له بطرف عينها بطريقة حميمية كي لا يبتئس وحتي يرحل بسلام فقال لها: يجب أن أذهب الآن.

أصبح العم تايو مفتوناً بچاجوا منذ اللحظة التي عادت فيها من باجانا وظل أسيراً لبشرتها الناعمة المثيرة منذ أول لقاء حميمي بينهما وها هو يواصل المجيء إلى حجرتها كل يوم وبلا انقطاع ، لقد وقع العم تايو في حبها لأنها -على حد قوله- لا تشبه نساء لاجوس.

قال العم تايو بعد رحيل دينيس: من هو ذلك الشاب؟

- إنه أخي أيها العم تايو.

قال ضاحكا بصوت عال: أخوك الذي ينام معك فوق السرير نفسه؟

إن العم تايو ليس شاباً ولقد شاهد الكثير في حياته وعلي مدى سنوات عمره الخمسين اكتسب خبرات عديدة واستطاع أن يطور من سلوكياته وذلك ما جعل چاجوا تحبه، إنه ليس بخيلاً وهو ممثل لأحد الأحزاب السياسية الكبيرة في لاجوس ويقود سيارة بونتياك وينفق الأموال بسخاء من أجل انتخابات الحزب، وعلى الرغم من أن موعد الانتخابات ما يزال بعيداً إلا أنه أخبر چاجوا بأن ذلك هو الوقت المناسب للانتهاء من كل الإجراءات الأولية والمشاورات السرية، ولذلك فهو لا يجد وقتاً للراحة ولا ينعم بالأمان إلا حين يأتي إلى هنا لرؤيتها.

اقتربتْ منه وقامتْ بتقبيله فوق خده وقالت: أنت غيور جداً كالشباب، ماذا يمكنني أن أفعل بولد صغير كهذا؟، أقسم لك بأنه أخي، ألا تثق بي؟

ضحك مرة أخرى وقال: أنا سعيد لأنه أخوك وإذا لم يكن كذلك فليساعده الرب لأنني سأقتله في يوم من الأيام، سوف ألاحقه بالمتاعب حتى لا يجد بديلاً عن الرحيل من لاجوس، هل تعتقدين بأنني أدفع إيجار هذا البيت بعد أن قمت بتأسيسه من أجل أن يأتي ولد صغير ليحل محلي فور مغادرتي؟

- إنه مجرد أخي أيها العم تايو ولقد جاء ليخبرني بأن أخانا الأكبر يتوق للعودة إلى الوطن.

لم تظهر علامات التأثر على وجه العم تايو فعرفتْ چاجوا بأنه لا يصدقها لأنه وعلي العكس من كل الرجال - الذين تقابلهم في لاجوس من خلال علاقة عابرة أو حميمية - يعرفها أكثر منهم ويعرف فريدي لأنه هو الذي اصطحبها إلى المطار في يوم سفره، كان يسألها عنه حين بدأ يأتي لزيارتها لكنه توقف بعد عدة زيارات وبدأ يقدم نفسه كحبيب مناسب وأصبح غيوراً في كثير من الأحيان، لم تكن چاجوا تنزعج من أسئلته لكن ترديد اسم فريدي أثناء الحديث هو ما كان يثيرها، كانتْ چاجوا تلتف حوله وتعتني به عناية الأم بأطفالها، تقدمتْ ناحيته وجلستْ فوق ركبته ثم جعلتْ فخذيها الرقيقين يلامسان فخذيه وألقتْ بإحدي ذراعيها فوق كتفه حتى أصبح ثديها الأيسر ملاصقاً لشفتيه فلم يتردد في مصمصة حلمة الثدي بشفتيه الملتهبتين في صمت شديد، وعندئذ تذكرتْ چاجوا المثل القائل بأن الكلب لا يعلو صوته بالنباح حين يكون فمه مليئاً بالطعام، لفَ العم تايو ذراعيه القويتين حولها فاستطاعتْ چاجوا أن تشم رائحة ملابسه الجميلة الفاخرة.

سمعتْ طرقاً على الباب في منتصف الليل لكنها لم تنهض إلا بعد أن انتقلت الطرقات من الباب إلى النافذة، نظرتْ بإمعان إلى العم تايو فأبصرتْ ضوء حجرة النوم الباهت المثير للكآبة مستقراً فوق فقاقيع جسده البدين وقد كشفت شفتاه الكبيرتان المفتوحتان عن أسنانه الكبيرة، كان العم تايو نائماً بهدوء وكأنه انتقل إلى عالم آخر بعد قضاء وقت ممتع مع چاجوا التي وهبته كل فنون الحب.

أحاطتْ جسدها بقطعة من القماش وأحكمتْ القبض عليها بذراعيها ثم خرجتْ من الحجرة بهدوء وتوجهتْ نحو الباب حيث كان دينيس أودوما واقفاً، وضعتْ يدها فوق فمها تجنباً للصياح في وجهه وحين حاول دخول

الحجرة بسرعة تصدَتْ له بمقدمة صدرها وقالتْ بصوت خفيض كصوت الأفعي: إلى أين أنت ذاهب؟ ألا تعرف أن عشيقي في السرير؟.

تمتم دينيس قائلاً: دائماً ما يوجد عشيق في السرير، رجل ما في السرير، سوف تموتين ذات يوم مع أحد الرجال فوق السرير.

رفع ذراعه وأضاف: انظري إلي.

شاهدتْ چاجوا حلقة كبيرة من الفضة في معصمه فأدركتْ وقالتْ: دينيس!

- أمسك رجال الشرطة بي لكنني هربت منهم ولقد جئت لتحذيرك لأنهم سيأتون إلى هنا في وقت ما ويسألونك عني ويجب أن تخبريهم بأنك لا تعرفين شيئاً، هل تسمعينني؟

التقطتْ چاجوا أنفاسها ولم تجرؤ على رفع صوتها خوفاً من إيقاظ العم تايو وقالت: يا إلهي! هل هربت من الشرطي؟ أخبرني بالحقيقة يا دينيس.

- لقد ضربته حتى وقع على الأرض ولا أعرف إذا كان قد هرب أو مات، أوه، لم يكن لي خيار، إن كل رجال الشرطة لصوص ولذلك فإنني لا أتأثر إذا أصاب أحدهم الأذى، إنهم يطلقون سراح أي شخص في مقابل تقديم القليل من النقود.

- هل هو ضابط الأمن الذي هربت منه يا دينيس؟ إنه لأمر خطير كما تعرف، لن يهدأ رجال السلطة حتى يتمكنوا من القبض عليك على أية حال.

اقترب منها وقال: استمعي لي جيداً يا چاجوا، إن الأمر برمته لا يعنيني غير أنني الآن لا أرى سابينا وقد أخذت معها السلاح.

تراجعتْ چاجوا قليلاً وتساءلتْ: السلاح؟

- إنه مجرد مسدس صغير قمنا بسرقته من إحدى الثكنات المسلحة ولقد أخفيته في مكان ما وحين بحثت عنه لم أجده ولا أحد يعرف مكانه سوى سابينا.

بدا متجهماً ثم استطرد بجدية: أعلم أن ذلك الشرطي لن يهدأ حتى ينجح في الإمساك بي ولذلك فإنني أشعر بالخوف، لقد أخبرتني سابينا أنها ستتخلص من حياتها إذا تم القبض عليّ وإذا جاءت إلى هنا لتسأل عني

فإنني أتوسل إليك يا چاجوا أن تخبريها أنني بخير وقولي لها ألا تقلق، حاولي أن تكوني سبباً في سعادتها، إنها في التاسعة عشرة من عمرها وإذن فهي صغيرة جداً على الموت.

استدار دينيس واختفى في الظلام فشعرتْ چاجوا بالانسحاق وتدفقت الدموع من عينيها ثم مالت بجسدها وأمسكت الباب وتركتْ دموعها تنهمر بلا انقطاع لكنها راحتْ تمسح دموعها بطرف فستانها وعادتْ إلى السرير بعد أن أغلقتِ الباب من خلفها بإحكام.

أعلن العم تايو عن شكوكه فأخبرته بأنها كانتْ تسترخي قليلاً ثم حاولتْ أن تنام لكنها لم تستطع من شدة القلق وازدحمتْ رأسها بالتساؤلات وراحتْ تقول لنفسها: عن أي شيء سيسألني رجال الشرطة إذا جاؤوا إلى هنا؟ هل سيصطحبونني إلى قسم الشرطة؟ وما الذي حدث بالفعل بين دينيس وضابط الشرطة؟ ألم أقل له بضرورة التخلي عن ذلك النوع من الحياة الطائشة؟ لقد حدث ما حدث ولا فائدة، إنه ضابط الأمن ولن تهدأ السلطات إلا إذا تم القبض على دينيس، لن يتمكن من الفرار بفعلته أبداً فالحكومة تعمل دائماً على حماية أفراد الشرطة غير المسلحين.

كانت تعرف منذ البداية تلك النهاية فلماذا ربطت مصيرها بمصير ذلك الشاب المندفع؟، لقد عرفتْ الآن بأن تلك الفتاة ستصبح رهينة إذا ما ذهبت كل يوم إلى تروبيكانا ورهينة في أيادي المجرمين والرجال من ذوي الشأن والمقاولين واللصوص والمخبرين والكذابين والمخادعين والرعاع وحثالة المجتمع والطماعين والمتهورين والغشاشين وكل ما ينطوي على الكذب والبهتان، تململتْ فوق سريرها وبدا لها وهي تتقلب في كل مرة أن الأمر أصبح أكثر قسوة وصعوبة، إن دينيس وچاجوا يتدحرجان وسط كرة من الصلب وحبال من النايلون ويعيش كلاهما في حالة من الارتباك والتشوش ولا يستطيع أحدهما الانفصال عن الآخر..

قبل وصول الشرطة في الصباح كان العم تايو قد رحل وكانت حجرة چاجوا بنوافذها المغلقة مشبعة برائحة الشهوة.

- أين دينيس أودوما؟

- لماذا تسألونني؟ هل تعتقدون بأنني أعرف المكان الذي يعيش فيه؟ عليكم الذهاب إلى بيته الخاص إذا أردتم العثور عليه.

- لقد ذهبنا إلى بيته ولم نجده، أخبرينا عن مكان تواجده فلدينا معلومات تفيد بأنه معتاد على النوم هنا .

- إنه لا ينام هنا، ولكن ما الذي حدث؟ ولماذا تريدون العثور عليه بكل هذا الاهتمام والحماس؟

- لقد قبض عليه أحد رجالنا وقيده بالأغلال لكنه تشاجر مع الرجل واستطاع أن يهرب منه ونريد الآن التأكد من عدم فراره إلى مكان بعيد، لقد هرب والأغلال في يده أما رجل الشرطة فإنه في المستشفي الآن ويعاني من حالة خطيرة.

أزاحوها جانباً واندفعوا إلى داخل الحجرة وكأن صورة ضابط الأمن وهو في المستشفى قد أيقظت بداخلهم فيضان الانتقام من أولئك اللصوص وراحوا يقلبون السجادة ويفتشون في الأوراق، ظلتْ چاجوا تراقبهم حتى خرجوا من الحجرة ثم اندفعتْ خلفهم وقالتْ: يجب أن تسألوا سابينا، لا بد أنها تعرف.

تساءل أحدهم قائلاً: سابينا؟

لم تشعر چاجوا بأي تأنيب للضمير أو إحساس بخيانة الفتاة التي تغار منها كثيراً وأضافتْ قائلة: إنها صديقته الحميمة وهما يعيشان معاً في البيت نفسه، نعم، سابينا هو اسمها.

ضحك الشرطي وقال: أنت لم تسمعي بما حدث إذن؟

- لا، ما الذي حدث؟

- لماذا تعتقدين بأننا متحمسون في البحث عن دينيس؟ لقد تناولت سابينا المسدس وتوجهت إلى أحد مراسم دفن الموتي وأطلقت النار على إحدى السيدات ثم سارعت بقتل نفسها، كانت تقول بأن تلك السيدة هي التي جعلته يعمل باللصوصية وباعتقادي أن سابينا هذه مجنونة، فمثل تلك الفتاة الجميلة الشابة قد أضاعت حياتها من أجل لا شيء.

تساءلتْ چاجوا باندهاش: سابينا قتلت امرأة ثم قتلت نفسها من أجل دينيس؟

وقالت لنفسها: إنه حلم، حلم غير معقول، إنه كابوس.

تراءتْ لها سابينا مرة أخرى وهي ترتدي البنطلون الجينز كاشفة عن ردفيها المثيرين واستطاعتْ أن تستعيد وجهها الملطخ بكثير من مستحضرات التجميل، وأن ترى أحمر الشفاة ذي اللون الوردي المشرق فوق شفتيها المتفجرتين بالشهوة، إنها الفتاة التي كانت قانعة بحياتها وسط السكارى ودخان السجائر.

كانتْ سابينا ترتدي ملابس فاضحة كشفت عن الأجزاء المثيرة في جسدها الفوار حين ذهبت لحضورإحدى الجنازات ومشاركة أهل المتوفى في مراسم الدفن، وكان هدفها الأساس هو البحث عن ملكة الجمال السابقة بين الحاضرين ، كانت بقية النساء ترتدين ثياباً من النايلون وكن يتحلين بزخارف من الذهب ويمسكن كؤوس الشراب بأطراف أصابعهن ويغمزن بعيونهن المزينة بالمساحيق حين جاءتْ ملكة الجمال السابقة التي تبحث عنها سابينا، وما هي إلا لحظة قصيرة حتى حدث تغيير مفاجئ بالمشهد برمته، سابينا وحيدة بين المقعد والطاولات المقلوبة وها هي زوجة سائق سيارة الأجرة المتوفى تقف أمامها وسط ذلك الحشد من المنبوذين وكأنها مبعوثة الشيطان، يتراجع المسدس قليلاً في يد سابينا لكنها سرعان ما تصوب طلقاته إلى صدرها وهي تقول: أنتم أيها الناس تمتلكون قدرات عقلية فائقة وتجيدون تدبير أموركم أما أنا فتعوزني تماماً تلك المواهب.

لم تكن چاجوا قادرة على إخفاء إعجابها الشديد بدينيس وسابينا المراهقة الشجاعة منذ ذلك اليوم الذي جاء فيه رجال الشرطة الاثني عشر للتفتيش عن الحلية التي كانت بحوزتهما دون أن يظهر عليهما أي علامة من علامات الخوف.

عندما عاد العم تايو في المساء أخبر چاجوا بضرورة أن تبذل قصارى جهدها وبكل الطرق الممكنة لمساعدته في الحصول على أصوات النساء إذا أرادتْ أن تكون امرأته الخاصة، وأن باستطاعتها أن تطرق الأبواب من الآن للدعاية له.

لم تكن چاجوا قادرة على القيام بمثل ذلك العمل في ذلك الوقت فقالتْ: أتوسل إليك أيها العم تايو، لقد تلقيت أخباراً سيئة من بلدي وأعاني الآن من مزاج سيئ.

- سوف أعلمك كل شيء عن السياسة، هل تعتقدين بأنك لا تعرفين شيئاً عن السياسة رغم أنك تطلقين على نفسك سيدة لاجوس؟.

ضحك بصوت عال ثم توقف وضحك مرة أخرى فشعرت چاجوا بالحيرة والتردد خاصة بعد أن رأتْ فيما وراء ضحكاته أنه من العار عليها ألا تهتم بالمشاركة في النهوض بالمدينة وسكانها.

وعدها باصطحابها إلى اجتماعات حملته السياسية حتى تتمكن من معرفة كل شيء ولا مانع من الذهاب إلى تروبيكانا بعد ذلك للاستمتاع ببعض الرقصات.

ذهبا بالفعل في الليلة التالية ثم توجها بعد ذلك إلى تروبيكانا، ورغم أن الوقت كان مبكراً إلا أن المقاعد والطاولات كانت مشغولة بالزبائن، جلس شخص ما بصحبتهما وراح يتحدث عن فريدي وأخبرهما جازماً بأنه عاد من إنجلترا وقد تزوج من امرأة بيضاء.

قفز قلب چاجوا من مكانه ولم تستطع التحكم بنبضاته كما أنها لم تقدر على تكذيب أو إنكار ما سمعته حيث من الممكن حدوث أي شيء لشاب مثل فريدي حين يذهب للإقامة في إنجلترا لمدة عام ونصف.

قالتْ: لقد سافر إلى إنجلترا منذ ثمانية عشر شهراً فقط، فكيف يمكن له أن يعود بمثل هذه السرعة؟ أعتقد أنك تتحدث عن شخص آخر غير فريدي.

وضعتْ كأس البيرة فوق الطاولة وراحتْ تنصت باهتمام إلى موسيقى الجيتار ودقات الطبول الصاخبة وكان الرجال والنساء يرقصون بحماس فوق حلبة الرقص وكأنهم يرغبون في فصل أردافهم عن أجسادهم، اندفعتْ إحدى الفتيات بعيداً عن رفيقها وبدأت ترقص رقصات ساخنة وهي تلف ردفيها الكبيرين بقطعة من القماش المخملي الناعم، وضعتْ إحدى يديها فوق بطنها وراحتْ تميل بردفيها إلى الأمام وإلى الخلف، تجمَع الرجال حولها وأحاطوا بها حتى أصبحت في منتصف الدائرة وراحوا يهتفون لها ويشجعونها بابتهاج فألقتْ برأسها إلى الوراء ومالتْ كثيراً حتى كاد رأسها أن يلامس الأرض دون أن تفقد توازنها، وذلك ما لم تستطع چاجوا أبداً أن تفعله. أوه، إنه لشيء جميل أن يكون المرء شاباً، لقد عشقها الرجال وانهاروا أمام شبابها وفتنتها.

قال العم تايو منبهاً: الرقصة الأخيرة، هل أعجبك اجتماع حملتنا الانتخابية؟

- كان لقاءً جميلاً، وقد حضر كثير من الناس كما أنك قدمت لهم كثيراً من المال ولذلك فإنني أعتقد بأنهم سيمنحونك أصواتهم لكنك لا تستطيع التأكد من ذلك لأنهم قد يبددون نقودك في أشياء تافهة وينسون كل شيء عن الانتخابات.

- أنا متأكد بأنهم سيصوتون لصالحي وأنني في طريقي للفوز بأحد المقاعد في دائرة أوبانلا الانتخابية، ذلك أمر يسير.

- أتمني لك حظاً موفقاً.

لم يغادرا تروبيكانا قبل الثالثة صباحاً وفي طريقهما للخروج تغير الإيقاع فجأة حيث توقفت الأبواق والقيثارات عن العزف ولم يعد من الممكن سماع الساكسفون وإنما الطبول فقط هي التي ظلت تدوي في أرجاء المكان، فانتشر الهمس بين الحاضرين لكن چاجوا عرفتْ أنهم سيقدمون عرضاً تنكرياً، فتوسلتْ إلى العم تايو أن يبقى ثم أمسكتْ بيده وسحبته إلى حيث كانا يجلسان، كان العم تايو يشعر بالنعاس وبدأ في تلك اللحظة يتثاءب بصوت عال وقال لها: ستكون رقصة بدائية وليست من الرقصات المعتادة في تروبيكانا.

كانت چاجوا تشاهد وتسمع باهتمام وجلسوا جميعاً يحدقون بخشبة المسرح، دقت الطبول فقام بعض الموهوبين من محترفي الرقص بإظهار براعتهم ورشاقتهم وسادت حالة من الانتعاش والنشاط الممتزج بالإيقاعات السريعة والحركات الرشيقة ثم ظهر الراقص فجأة، لا، لم يكن راقصاً وإنما حاجزاً بيضاوياً رقيقاً من البامبو بألوان مختلفة ومختوماً بكثير من الشارات العدمية وبعض التعاليم والمذاهب الغريبة، إنه حاجز البامبو الذي يخفي بداخله السر ويقف في منتصف خشبة المسرح.

تقدَم اثنان من المتنكرين كانا يصبغان وجهيهما بالطباشير الحمراء والزرقاء وأحاطا بالحاجز وراحا يغنيان له وهما يلوحان بعدد من أذيال الحصان، فازدادت حدة الحركة والنشاط وارتفعت دقات الطبول بلا انقطاع مما جعل الحاجز يندفع في حركات وإيقاعات سريعة ونشيطة، حدَق المتنكران بعيون ثابته وشفاة منفرجة وشعر كلاهما بالارتباك والحيرة، ما هو ذلك الحاجز؟، إنه ليس رجلاً وليس امرأة، إنه مجرد حاجز، حاجز من البامبو مثل حزمة من القصب مطرزة بكل الألوان السحرية الغريبة.

استطاعت چاجوا أن تغمز بعينها مرة واحدة بعد أن تسلحتْ بالشجاعة لتلقي نظرة خاطفة على تلك القدم الآدمية تحت الحاجز ثم تساءلتْ: هل هي قدم امرأة أم رجل؟

ازدادتْ حدة الموسيقى والإيقاعات المجنونة وكان الحاجز يتطلب - في العادة - أكثر من قطعة من الأرض حتى يتمكن من الانطلاق وتحريك الرياح والعواصف وتدمير المحاصيل بقدرته على إسقاط المطر.

عند عرض تلك الرقصة في مكانها الطبيعي بالشارع كانت الكتاكيت والدجاج والكلاب والأطفال تهرع إلى أقرب مكان للحماية من زوابع جوجو Juju (2) السحرية وكان الأطفال يهتفون مرددين: لقد دقت الطبول ، لقد دقت الطبول.

لم يكن ما يحدث في تروبيكانا يختلف أبداً عما كان يحدث في الشارع فيما عدا سرعة الحركة الزائدة والحماس في الرقص والذي أعقبه تصفيق مدو.

أخذتْ چاجوا نفساً عميقاً، ها هي قد عادتْ مرة أخرى إلى لاجوس بعد أن عادت من أوجابو وباجانا وكريناميه وأونيتشا التي يرقصون فيها رقصات تقليدية ثم أبصرتْ علامات من الضجر والكآبة فوق وجه العم تايو الذي قال لأحد الرجال: نحن لم نأت إلى هنا لمشاهدة هذا العرض الذي يتميز بالهزاء وإنما لنستمع إلى الأنغام الحلوة وموسيقى الجاز فقط، فلتعزف لنا الموسيقى، أين موسيقى جيمو لادي؟

بدأ الرجل يتناقش ويتجادل معه وأخبره أن موسيقى الجاز تتطلب أصولاً خاصة في مثل تلك الرقصات السحرية.

تثاءب العم تايو وقال: الموسيقى، اعزف لنا موسيقى حقيقية.

قالت له چاجوا: أنت تستمع إلى موسيقى حقيقية، إنها تشبه تماماً تلك الموسيقى في بلدي ونحن تقريباً نستخدم النوع نفسه من الرقصات.

تساءل العم تايو قائلاً: إنها رقصات سكان الأدغال والقناصين والرحل في أفريقيا الجنوبية.

ثم ضحك لكن موسيقى جيمو لادي التي انبعثت من صوت الساكسفون الصادح أضفت عليه كثيراً من البهجة فتقدمتْ چاجوا وأمسكت بيده وقالت: فلنذهب إلى البيت لأنني أشعر الآن بالنعاس.

# (١٩)

بعد ستة أشهر تقريباً كانت چاجوا تمشي على قدميها بعد خروجها من تروبيكانا في طريق عودتها إلى البيت حين سمعتْ صوت إحدى السيارات وهي تتوقف خلفها.

قال سائق السيارة: مرحباً، هل أنت چاجوا؟

لم تستطع چاجوا التعرف على وجهه في الظلام لكن صوته كان مألوفاً لديها، إنه صوت فريدي الذي لا تخطئ في معرفته أبداً، اقتربتْ أكثر وراحتْ تحدق داخل السيارة وتذكرتْ الخدعة القذرة التي راحتْ ضحيتها في يوم ما منذ عامين .

فتح باب السيارة وطلب منها الصعود ثم قال: لقد رأيتك لكنني لم أكن متأكداً منك، هل تتذكرين ذلك اليوم الذي تعارفنا فيه وكان معي صديقي، لقد تعارفنا هنا أول مرة وفي هذا الشارع نفسه، وهل تتذكرين ما كنا نفعله ونحن شباب و...

قاطعته چاجوا قائلة: هل أصبحت عجوزاً خلال عامين فقط؟

لقد اكتسبت خبرات كثيرة في إنجلترا جعلتني عجوزاً.

متي عدت؟

منذ ستة أيام فقط.

- أوه، أعتقد بأننا سمعنا إشاعة، لقد أخبرنا شخص ما في نادي تروبيكانا أنك عدت منذ شهور ستة وبصحبتك امرأة بيضاء.

اقتربتْ منه أكثر ونظرتْ إليه بإمعان فبدا لها أكثر شباباً وقد تلاشت علامات نقص التغذية من فوق وجهه ثم قالتْ: أنت الآن في أحسن أحوالك يا فريدي.

- ربما لأنني تزوجت من امرأة تجيد الاعتناء بي.

- نعم، لقد سمعت عن المرأة البيضاء التي تزوجتها.

- إذا كانت نانسي امرأة بيضاء فليكن كذلك، لقد جاءت إلى إنجلترا والتقت بي وكانت تدرس مثلي وقمنا معاً بالتخطيط لحياتنا ثم تزوجنا وأنجبتْ لي طفلين أصغرهما يبلغ من العمر ثلاثة أشهر فقط.

لم تشعر چاجوا بالأذى فقد حدثت أشياء كثيرة منذ رحيل فريدي إلى إنجلترا لكن شعوراً ممتزجاً بالحقد والكراهية قد سيطر عليها تدريجياً في تلك اللحظة فقالتْ بصعوبة وهي تهمس: إن نانسي تناسبك تماماً، إنها صغيرة وشابة وعلي العكس من أجساد السيدات الكبيرات من أمثالي فإن قوامها ما زال مشدوداً وأخشى أن تقوم بإذلالك في يوم ما، لا بد أن يحدث ذلك ببطء وبطريقة طبيعية، إن بمقدورها أن تضع السم مثلاً في كأس من النبيذ وعليك أن تتذكر بأن نانسي فتاة من سيراليون بما يعني أنها من فريتاون أي إنها ليست من أهلك ولا تنتمي إلى قريتك.

- كل الأفارقة مثل بعضهم البعض سواء إذا كانوا من سيراليون أو غانا أو نيجيريا وحتي لو كانوا من سكان مصر ذوي البشرة البيضاء.

* لماذا وكيف تقول ذلك؟ هل لأنك عائد للتو من إنجلترا؟ إنك تتحدث مثلما يتحدث رجال السياسة.

* نعم، إن الرجل الأسود هو الرجل نفسه ونانسي أختنا جميعاً لأن شعب سيراليون برمته قد انحدر من كالابار وأونيتشا ولاجوس، لقد اقتادوهم إلى الميناء وزجوا بهم داخل الباخرة ورحلوا بهم إلى أمريكا للعمل هناك، حدث ذلك منذ زمن بعيد في القرن التاسع عشر حيث كان التجار البيض يذهبون إلى الباخرة عند وصولها ويقومون بشرائهم، لقد عاشوا هناك كعبيد وأنجبوا أطفالاً حتى نالوا استقلالهم وحريتهم ذات يوم، ثم جاء رجل إنجليزي أبيض وساعدهم على العودة وعندئذ وجدت الحكومة مكاناً لهم أطلقوا علية اسم فريتاون أي المدينة الحرة حيث ولدت نانسي.

لم تكن چاجوا تستمع إليه وإنما كانت مشغولة بمحاولة تذكر ذلك اليوم عندما خرجتْ من المجلس البريطاني فجرى فريدي خلفها غاضباً، كان ذلك اليوم - بطريقة ما - هو بداية انفصالهما، وحدثت فجوة واسعة بين فريدي الذي يحب الكتب والمحاضرات وچاجوا التي تحلم دائماً بالأضواء المشرقة وبقضاء أوقات جميلة.

قالتْ چاجوا: ذهبت إلى باجانا بعد رحيلك إلى إنجلترا مباشرة.

كان متأججاً بالمشاعر لكنه أحكم السيطرة على نفسه وقال: هل أعجبك المكان؟، لقد أرسل لي العم نام والزعيم أوفوبارا خطاباً وأخبراني بنجاحك في الصلح بين العائلتين، كما سمعت أيضاً أن الزعيم أوفوبارا يريد الزواج منك.

- لكنني لم أوافق رغم أنه قدم لي نقوداً وقال إنها مهر العروس، نعم يا فريدي لأن العرف في بلدي يقتضي بأن يذهب الشخص الذي يريد الزواج لمقابلة والد العروس والتحدث معه ثم تأتي بعد ذلك موافقة العروس وأهلها ويستطيع عندئذ أن يتحدث بشأن المهر وخلافه، هل تفهمني؟

- وإذن فأنت لم تتزوجيه لذلك السبب؟

تحسستْ چاجوا باب السيارة وقالتْ: ليس بالضبط ولكنني لم أتزوجه لأنني كنت أنوي أن أتزوج منك أنت بعد عودتك من إنجلترا.

تدفقت الدموع غزيرة من عينيها وتسربت المياه من أنفها، فتناولت منديلاً من حقيبتها وراحت تمسح أهدابها برفق وعرفت في تلك اللحظة أن كل الصداقات التي ظفرت بها أثناء غياب فريدي لم تكن مناسبة على الإطلاق وحتى دينيس أودوما برغم شبابه لم يستطع أن يعوضها عن فريدي نام، إن فريدي يتمتع بأشياء أخرى جميلة غير الشباب، إنه رقيق ودمث وينحدر من دماء ملكية كما أنه طموح.

كان فريدي يرتدي معطفاً أسود وربطة عنق سوداء لا بد أنه اعتاد على ارتدائهما في المناخ البارد، وبالنظر إليه والتدقيق في شكله أدركتْ بأنه يتمتع أيضاً بذوق رفيع، لقد تعلم في إنجلترا شيئاً ما، لقد تعلم كيفية الاعتناء بمظهره وقد ساعدته مهنته في إظهار تلك الميزة أيضاً، وكان ذلك هو حلمها الذي حلمت به كثيراً وها هو الآن في مواجهتها غير أن كلاهما أصبح غريباً عن الآخر.

صرخت چاجوا وبدأت بالبكاء والتنهد بأنفاس سريعة ومتلاحقة ثم قالت: أيها الرجل الإنجليزي، أنت لي.

جذبها فريدي إلى داخل السيارة فقالت: فلنذهب إلى بيتي يا فريدي، أتوسل إليك أن نمضي بسرعة إلى البيت.

- لماذا تبكين يا چاجوا؟

- لأنني أحبك كثيراً جداً يا فريدي وبالرغم من أنني التقيت ببعض الغرباء من الرجال أثناء غيابك إلا أن الأمر معك مختلف تماماً، أنا أشعر معك بأنني حمقاء.

توقفتْ چاجوا عن الكلام فجأة ثم بدأ فريدي بتشغيل محرك السيارة وهو يقول : هل هو المكان نفسه؟، سأقوم بتوصيلك إلى هناك وبعد ذلك يجب أن أعود إلى نانسي والأطفال، إنهم ينتظرونني في البيت، إنني أحب زوجتي يا چاجوا.

تجاهلتْ أمر زوجته وأطفاله وسألته: كيف تدبرت أمور حياتك عندما وصلت إلى إنجلترا؟

أجابها باختصار قائلاً: إن النقود التي أخذتها منك على سبيل القرض قد ساعدتني وخاصة في الأيام الأولى بعد وصولي، لكن الاستمرار في العيش هناك لاستكمال الدراسة كان يتطلب مجهوداً في البحث عن عمل، واستطعت بعد محاولات كثيرة أن أجد وظيفة في إحدى شركات النقل والمواصلات ساعدتني في الحصول على حجرة متواضعة في بادينجتون بقيمة إيجارية قدرها جنيهان، كنت أصنع فيها الطعام لنفسي وأستذكر فيها دروسي في الوقت القليل المتبقي بعد نهاية فترة العمل، وكانت فكرة التسوق لشراء ما يلزمني من طعام وخلافه تسرق مني كثيراً من الوقت إلى جانب قيامي بأعمال السكرتارية بأحد فروع حزب O P (3) السياسي بلندن الذي كان يستغرق وقتاً طويلاً وعندما جاءت نانسي بدأنا على الفور بالتخطيط للعيش معاً.

تحسستْ چاجوا وجهها بأطراف أصابعها وسألته: ومتى استطعت شراء سيارة؟، أنت لم تعد إلا منذ أيام ستة فمن أين استطعت الحصول على النقود؟

توقف بالسيارة عند أحد الأركان بعيداً عن الطريق الرئيس وأجاب: إنها سيارة الحزب ولتعلمي أنني مرشح في دائرة أوبانلا الانتخابية وهذا ما جعلني أعود في هذا الوقت، لقد عدت لترشيح نفسي وعمل الدعاية اللازمة.

- أهلاً بك ومرحباً يا فريدي، إنني سعيدة جداً برؤيتك وأكاد أموت من شدة السعادة، أوه فريدي أرغب الآن بقوة في ممارسة الحب معك حتى يمكنني معرفة إذا ما كنت أنت الشخص نفسه أم إنك...

مضت إحدى السيارات بالقرب منهما فأظهرت مصابيح السيارة المضاءة وجه فريدي المكفهر وهو يقول: لا مزيد من تلك الحماقات.

شعرتْ چاجوا بألم في قلبها ثم سألته: هل استلمت الخطاب الذي كتبته لك يا فريدي؟

تنحنح وقال: نعم.

- ولماذا لم تبعث لي بالرد؟

- لقد كتبت لك يا چاجوا رداً على خطابك ولكن يبدو بأن رسالتي لم تصلك لسبب ما.

شاهدتْ چاجوا الأشجار المألوفة لديها فأدركتْ بأنهما قد وصلا إلى الشارع الذي تقيم فيه وعندئذ قال فريدي: سوف أعود لرؤيتك مرة أخرى يا چاجوا.

- وهل تريد أن تنساني بمجرد أن تستدير بالسيارة؟

شعر بنبرة من التهديد في صوتها فتردد قليلاً ثم أوقف محرك السيارة وفتح لها الباب كي تنزل، خرجتْ من السيارة وانطلقت الكلمات الغاضبة من فمها: أنت لا تريد أن تدخل بيت امرأة مومس، هكذا أصبحت بالنسبة لك وهكذا تراني! شيء جيد على أية حال، إن اللّه فوق كل شيء.

حاولتْ أن تغيّر الموضوع فقالت: هل ستكون بالفعل مشغولاً بالانتخابات؟

- سأكون مشغولاً في أوبانلا بالتأكيد.

بدتْ چاجوا وكأنها تسمع الإسم لأول مرة فراحت تردد: أوبانلا، أوبانلا، إن العم تايو مرشح هناك أيضاً كما أن دينيس أودوما يعيش هناك.

قال فريدي متسائلاً: العم تايو؟، هل هو الرجل نفسه الذي جاء معك إلى المطار عندما سافرت إلى إنجلترا؟

- نعم، إنه العم تايو الذي يرعاني ويدفع لي أجرة البيت وهو رجل قوي في الحزب ولديه الكثير من المال الذي يستطيع إنفاقه على حملته الانتخابية ولا أعرف كيف يمكنك الفوز عليه، هل تستطيع إنفاق كثير من الأموال مثله؟ سوف أساعده كي يفوز عليك يا فريدي لأننا لم نعد شخصاً واحد.

حاولت أن تتماسك وأضافت: لا يمكنك الفوز في الانتخابات بارتداء الملابس الفاخرة والابتعاد عن الناس، إن الانتخابات في لاجوس تتطلب أن يعرف الناس ما سوف تقدمه لهم ولا بد لكي تتفوق على خصمك أن تقترب من كل شخص وخاصة أولئك المعدمون والفقراء وأن تنظر إليهم وكأنهم أصدقاؤك، يجب أن تمنحهم وقتك وأفكارك وينبغي أن يشاركوك سيارتك وحجرتك، وهكذا فقط تستطيع أن تعرف أفكارهم وتتعلم شيئاً عن سلوكياتهم وتصرفاتهم. إن العم تايو يعمل جاهداً في الحقيقة ولا يبخل في توزيع الأموال والهدايا على الناس، ولقد ذهبت معه في الأسبوع الماضي إلى أوبانلا حيث كان الناس يعانون من الغرامات المفروضة عليهم فوقف في الفناء الكبير ولم يتردد في دفع الغرامة نيابة عن كل شخص، ولذلك فإنه من المؤكد أن أولئك الناس سيمنحون أصواتهم للعم تايو عندما يحين موعد الانتخابات، بالإضافة إلى أنهم سيحثون أصدقاءهم على التصويت لذلك الرجل الطيب، لقد امتلأت شوارع أوبانلا بصور العم تايو بعد أن قام بتوزيع أعواد الثقاب ومواقد الطهي على كل النساء، وكانت صوره مطبوعة فوق كراسات طلبة المدارس، إن العم تايو سيحظى بأصوات الناخبين لأنه بدأ بداية قوية ومؤثرة أما أنت فإن أحداً لم يسمع عنك.

ابتسم فريدي وقال: ما زال أمامنا ثلاثة أشهر أخرى.

قالت چاجوا: نسيت أن أخبرك بشيء آخر يا فريدي وهو أنني سأقف ضدك حتى أموت، أنا والعم تايو سنحاربك بكل الوسائل وأدعوك أن تبدأ الآن إذا أردت أن تربح الانتخابات.

استدار فريدي بعنف حتى أصبح من اليسير على چاجوا أن ترى الشرارة وهي تنطلق من عينيه ثم قال: هل ترغبين في بفوزي بالانتخابات؟

أجابتْ بحزم: لا يا فريدي، أنا لا أرغب بفوزك.

واستطردتْ بعدما شاهدته وهو يجلس غاضباً وعابساً: أنت لا تجيد لعبة السياسة يا فريدي لكنك متعلم ومثقف كما أنك رقيق ومهذب وتتمتع بشخصية تبعث على الفخر، أما السياسة فهي لعبة قذرة وعنيفة خاصة هنا في لاجوس، إنها من أعنف وأقذر الألعاب في العالم كله وتستطيع أن تشتم فيها رائحة القذارة والدناءة بكل أشكالهما وأنت رجل مهذب وشريف، نعم، إنني أتحدث معك بكل الصدق ولا أتمنى أبداً أن تكون واحداً من المشاركين في تلك اللعبة القذرة، لقد سمعت إشاعة تفيد بأنهم يريدون قتل أحد رجالكم في الحزب...

كانت تتحدث بصدق وأمانة وتمنتْ لو أن فريدي قد سمعها جيداً وتعلم شيئاً من كلامها لكنه فرد ذراعيه وشدَ كتفيه إلى أعلى عندما بدأت تتحدث عن الإشاعة وأراد مقاطعتها غير أنه لم يقل شيئاً وبدا أن إنجلترا قد ساهمت في تغييره بدرجة كبيرة.

قال فجأة وقد برقت عيناه بومضات خاطفة: أريد أموالاً بسرعة، السياسة هي الأمل الوحيد، لقد حررت شيكاً بكل النقود التي اقترضتها منك وقمت بتسجيله في البريد ويمكنك أن تستلميه في خلال يوم أو يومين، وأجد لزاماً على أن أشكرك كثيراً على مساعدتك لي.

أدار محرك السيارة وبدأ بالتحرك ببطء فقالتْ چاجوا: وإذن فأنت لن تأتي معي إلى البيت؟

-في المرة القادمة يا چاجوا.

أدركتْ چاجوا عندئذ أن إنجلترا قد ساهمت بشكل كبير في اتساع الفجوة بينهما.

# (٢٠)

جلستْ چاجوا إلى جوار العم تايو في سيارته البونتياك وكان علم الحزب يرفرف فوق مقدمة السيارة، وعند جانبي الطريق كان الناس يتوقفون عن سيرهم وأعمالهم ويهتفون لهما وللحزب، شعرت چاجوا بالسرور، إنهما الآن في قلب المعركة ووسط حشد من الناس فوق أرض السباق المسيجة بأسوار عالية وأسلاك شائكة، ربط أحد الرجال جسده بالحبال ورفعوه فوق رؤوسهم ثم راح يهتف بصوت عال مستخدماً مكبر الصوت، أغلق العم تايو باب السيارة البونتياك بعد أن حمل أوراقه معه بينما كانت چاجوا تقف مترقبة، وراح متحدث الحزب يخبر الناس بأهم القضايا وشرح لهم أن الحزب المنافس في دائرة أوبانلا الانتخابية قد رشح رجلاً متأثراً بنمط الحياة الإنجليزية هو فريدي نام الذي كان يدرس في إنجلترا، لكنه لا يعرف شيئاً عن مشاكل الناس في لاجوس خاصة وأنه لم يعد للبلاد إلا منذ أسابيع قليلة وأن الناس ستخرج للتصويت بعد ثلاثة أشهر لاختيار رجل قادر على تمثيلهم وعلي عرض وجهات نظرهم في المجلس، وأن ذلك الرجل موجود فقط في الحزب الذي ننتمي إليه واسمه العم تايو.

أزاح المتحدث باسم الحزب مكبر الصوت ناحية چاجوا والعم تايو فانطلقت هتافات التشجيع وصيحات البهجة في الفضاء.

هدأت حدة الهتاف فاستطرد المتحدث قائلاً: أعدكم بأن الحزب سيوفر لكم أسواقاً أكبر إذا فاز في الانتخابات وسيكون التعليم مجانياً وسيحظى كل الناس بعلاج طبي، مناسب كما أننا سنعمل على بناء الطرق الواسعة في كل أركان وزوايا المدينة المنعزلة حتى يشهد العالم كله ما قمنا به.

بدأت چاجوا تحب الحملات الانتخابية، إنها واحدة من مظاهر الحياة في لاجوس التي تمنحها فرصة إظهار أناقتها دون عناء كبير، اعتلى العم تايو منبر الخطابة بعد أن عبّر عن امتنانه ثم فتح حقيبته السوداء ونزل من فوق المنصة وراح يتحرك بين الناس وهو يلقي بأوراق نقدية من فئة العشرة شلنات وكأنه يلقي بحبات من الأرز فوق رأس العروس حتى اكتظت الأرض بأوراق النقد كما يحدث في الحفلات الراقصة.

سألته چاجوا: من أين تأتي هذه النقود؟

أجاب: إنها نقود الحزب وأنا أمنحهم النقود بهذه الطريقة لكي يدركوا بأننا سنفعل الكثير من أجلهم إذا منحونا أصواتهم.

سارتْ چاجوا المخلصة خلفه وأثناء سيرهما تعرضا لمجموعة من الشواذ والمتطرفين الذين اعترضوا طريقهما وراحوا يتشاجرون وتم إرجاء الحملة الانتخابية.

وقفتْ چاجوا أمام نافذة حجرتها وراحت تتطلع إلى الشارع ثم أسدلت ستارة النافذة فجأة وعادت بسرعة إلى مكانها، شاهدها العم تايو فالتمعت عيناه بالتساؤلات وقال: لماذا تقفزين هكذا وكأنك شاهدت عفريتاً من النافذة؟ اجلسي يا چاجوا ودعينا نستمتع بالشراب.

كان يصب البيرة لها ببطء وكان الثلج داخل كأسه يذوب تدريجياً ويتلامس مع الجوانب الزجاجية كأنه نهر من العرق ورغم أن المروحة كانت تدور بقوة فوق الطاولة وكان الهواء موجهاً ناحية وجهه إلا أنه لم يتوقف عن مسح جبينه بالمنديل.

كانت چاجوا ما تزال تشعر بثقل جسده رغم انتهاء مضاجعته لها منذ لحظة قصيرة فسألها أثناء ذلك قائلاً: هل أنت غير مستعدة للحديث مرة أخرى يا چاجوا؟ لقد سألتك عن سبب عودتك السريعة والمفاجئة من عند النافذة، هل رأيت شخصاً شريراً أو شيئاً وحشياً جعلك تقفزين هكذا؟

أجابت چاجوا: إنه فريدي و...

وقع الكأس من يده وتحول إلى شظايا وأخذت البيرة شكل البحيرات الصغيرة فوق السجادة ثم قال: إنه منافسي الذي يعتقد بأنه قادر على تدميري، إنه رجل السياسة الرقيق.

ضحك بصوت عال ثم أضاف: لماذا يأتي إلى هنا وماذا يريد؟

لم تتأثر چاجوا بضحكاته واستطاعت أن ترى أسنانه المطبقة وبدأت بالتقاط شظايا الكأس من فوق السجادة ثم دخلت روزا وقامت بتنظيف الأرض.
نهض العم تايو ومضى مع چاجوا نحو النافذة وراح كلاهما يتطلع إلى سيارة اللاندروفر المليئة بالرجال الغاضبين ذوي العضلات المفتولة كعضلات المصارعين، كانوا يرتدون بنطلونات وقمصان قصيرة، وكانوا جميعاً يتمتعون بعضلات قوية خاصة عند أعلى الذراع وفي مؤخرة الفخذ وبطة الساق وكانت رقابهم شبيهة برقاب الثور، أمسكتْ چاجوا برداء العم تايو وتعلقت به

ولم تشأ أن تفكر فيما قد يحدث نتيجة لطريقة كلا المتنافسين في تناول الأحداث.

همس العم تايو قائلاً: إن ذلك الشاب يمتلك قدراً من الوعي والإحساس السليم، لقد نجح في استقطاب بعض الأتباع والمؤيدين.

كانت چاجوا تعرف العم تايو جيداً فاستطاعت بسهولة -من خلال صوته - أن تكتشف ما أصابه من قلق وتوتر، شاهدتْ عينيه الزائغتين وهما تندفعان كالسهم في أرجاء الحجرة فبدا وكأنه يريد الاختباء في الدولاب.

قالتْ چاجوا: هل تخاف منهم؟ وهل تعتقد بأنهم جاؤوا للنيل منك؟ أوه، تبدو كأنك قد تبولت على نفسك، هكذا يدير الرجال معاركهم السياسية فلا تخف خاصة وأن فريدي لا يفعل شيئاً، إنه فقط يسعى للفت الأنظار وهو لا يملك الشجاعة الكافية للنيل من أي شخص كما أنه رجل مهذب وعاقل جداً.

كان دينيس أودوما واقفاً وسط أولئك الغاضبين، وحين شاهدته چاجوا شعرت بالسرور وأدركتْ أن وجوده يعني عدم وفاة ضابط الشرطة وأنه الآن في حماية فريدي واستطاعت في تلك الأثناء أن تدرك ما يربط بينه وبين فريدي، يستطيع فريدي أن يكسب التأييد في أوبانلا ويستطيع دينيس أن يساهم بخبرته في جلب مزيد من التأييد.

شاهدت چاجوا فريدي وهو يخرج من السيارة اللاندروفر ويعبر الطريق، ثم سمعت طرقات متقطعة وقوية فوق الباب، فتحت الباب فأبصرت فريدي في مواجهتها بقميصه المفتوح وبدا لها حينئذ وسيماً وجديراً بالحب.

قال: لقد جئت يا چاجوا لتحيتك ولكي أفي بوعدي.

كانت تعرف مدى الارتباك الذي أصابه بعد لقائهما الأخير في تلك الليلة فقالت: أهلاً بك يا فريدي، أهلاً، أنت تعرف العم تايو، إنه هو الذي يساندني هنا ويدفع لي قيمة الإيجار فماذا بمقدور امرأة فقيرة مثلي أن تفعل؟ إنني لا أعمل كما أنك هجرتني و...

صافح فريدي العم تايو وقال: قالت چاجوا بأنك منافسي في دائرة أوبانلا، أليس كذلك؟

ضحك العم تايو كثيراً فساد المكان جو من الراحة والطمأنينة ثم قال: بالتأكيد وسوف أفوز في الانتخابات.

بدأ الرجلان بالحديث بلغة إنجليزية فصيحة فشعرت چاجوا على الفور بعدم قدرتها على المشاركة وأدركت بأنها لم تستطع أبداً أن تفهمهما، وعرفت من خلال الطريقة التي يتصرفان بها أنهما غريبان كما أن كلاهما لا يضمر أي مرارة تجاه الآخر مثلما تفعل النساء.

طلبا بعض الشراب فجاءت روزا مسرعة ومعها زجاجتين من البيرة وكأسين نظيفين ثم وضعت زجاجة وكأساً أمام كل واحد منهما، وعندئذ فكرت چاجوا وهمست لنفسها قائلة: متنافسان يتسم كلاهما بالعداوة تجاه الآخر لكنهما يتبادلان الشراب بمحبة وكأنهما أخوان التقيا بعد طول فراق.

نظر فريدي إلى چاجوا بإمعان وحين تأملتْ نظراته لم تخطئ في التعرف على رغبته في احتوائها ومدى اشتياقه لها، كانتْ ترتدي عباءتها المزخرفة الجميلة واختارتِ الجلوس عند أحد الأركان في مواجهته تماماً ثم فردتْ ساقيها بطريقة لا يستطيع معها رؤية الساقين إلا بعد عناء كبير، نهضتْ بعد ذلك وجلستْ فوق ركبة العم تايو وراحتْ تسأله عن أشياء أخرى لا تتعلق بموضوع الانتخابات.

غادر فريدي المكان فسارع العم تايو بشرب كأسه المليء بالبيرة في جرعة واحدة وارتدى قبعته ومضى خارج الحجرة دون أن يتفوه بأي كلمة وداع فسألته چاجوا: إلى أين أنت ذاهب؟

لم يجب غير أن علامات التوتر كانت بادية فوق وجهه.

سمعتْ چاجوا في صباح اليوم التالي أن فريدي تعرض لضرب شديد وأنه يرقد الآن بالمستشفي في حالة خطيرة، فأسرعت إلى هناك حيث أخبروها بأنه يعاني من أضرار بسيطة وأنه تحت العلاج، وعرفت بأنه تعرض بالفعل لهجوم حين كان يرفع أعلام الحزب مع مجموعته وكانوا يطوفون المدينة ويهتفون بشعاراتهم الانتخابية في اللحظة نفسها التي كان فيها عدد من المتهورين والمتحمسين للحزب الآخر يلوحون بشعاراتهم من داخل الحافلة ويحاولون الاصطدام بهم.

نشبت الحرب بين الحزبين وكان الرجل الذي أشرف على كل شيء يقف بعيداً ويطلق النعوت والألقاب المشجعة وينفجر بالضحكات المدوية، سمعوا مؤخراً أنه العم تايو ولا أحد غيره هو الذي يدير كل شيء في الخفاء ولا يتعرض للأحجار الطائرة ورؤوس الزجاجات الحادة، لقد حدث كل شيء في الظلام حين كانت الشوارع شبه خالية وقبل أن تتمكن الشرطة من التدخل كان كل شيء قد انتهى. كانت چاجوا خائفة من فريدى والعم تايو، ورغم أن

المرشحين الآخرين للمقاعد التسعة والخمسين المتبقية تفعل الشيء نفسه وتتعقب بعضها البعض بالطريقة نفسها إلا أنها لا تخاف منهم لأنها لا تعرفهم ولا تهتم كثيراً بوجودهم.

عندما جاء العم تايو في ذلك المساء أخبرته چاجوا أن يكف عن تلك الأعمال لكنه ابتسم وطلب من روزا مزيداً من البيرة ثم قال: إذا كان صديقك غير قادر على الصراع وخوض المعارك في لعبة الانتخابات فمن الأفضل له أن يترك لعبة السياسة.

-أتقول بأنه صديقي؟ لقد انتهى كل شي بيني وبينه ولن أتردد في قتله والقضاء

عليه وإلحاق الأذى به إذا ما وجدت طريقة لذلك.

ضحك العم تايو ضحكة صاخبة توحي بعدم التصديق وقال: تريدين قتله لكنك عندما تشاهدينه يبدأ خصرك بالاهتزاز ويرتعش جسدك في أرجاء الحجرة، أتعتقدين بأنني لا أدرك ما يحدث لك عندما تشاهدينه؟

فردتْ ساقيها وقالت: أنا ؟ يهتز خصري أنا ويرتعش جسدي؟ أنت لا تعرف ما تقول، إنها مجرد أوهام في ذهنك، لقد جاء إلى هنا ومعه كل أولئك الأشرار كي يقتلك كما يقتل فأراً صغيراً وها هو يلقاك داخل بيت امرأة بعد أن أصابك التعب من ممارسة الحب معها.

اكتسى وجهه باللون الأحمر وطافت فوق شفتيه ابتسامة عرجاء وهو يقول: ولماذا لم يقتلني إذن؟ لماذا لم يقتلني إذا كان الأمر بهذه السهولة؟ كان ينبغي أن أبدأ ضده معركتي طالما أنه لا يريد أن يبدأ، هذه هي السياسة التي لا تتجنب الأعداء.

أدركتْ چاجوا أن النقاش معه لن يثمر شيئاً وأنهما لن يتوصلا معاً إلى اتفاق مقبول، وحين نظرتْ إليه في تلك اللحظة شعرتْ تجاهه بالكراهية الشديدة لكنها بعد أن طافتْ بنظراتها في أرجاء الحجرة لم تستطع أن تتجاهل تلك الراحة وذلك الدفء والجو العائلي الحميم الذي أحاطها به، ثم فكرتْ بتلك المنحة الشهرية السخية التي كانت تتلقاها منه وعندئذ قررتْ التزام الصمت فبدأ هو بالحديث قائلاً: لا تنسي اجتماع هذا المساء.

-أي اجتماع؟

- اجتماع حملة النساء الانتخابية، لقد تعهدت بأنك ستقدميننني لهن وستفعلين ما بوسعك من أجل أن يصوتن لي.

-لكنني لا أعرف شيئاً عن السياسة.

ضحك العم تايو وقال: ماذا تريدين أن تعرفي؟ كنت تحضرين معي لقاءات حملتي الانتخابية كل يوم تقريباً.

شعرتْ چاجوا بالخوف فلم تكن تعرف بأنه شعر بالاطمئنان حين وعدته بمناشدة النساء من أجل التصويت له وأنه تعامل مع وعدها بمثل هذه الجدية.

قال العم تايو لحملها على التذكر: اليوم في الخامسة مساءً.

-أليس مبكراً؟

-الخامسة هو أنسب الأوقات، إنه موعد عودتهن من السوق.

-أوه، لكنني لا أعرف ما يجب أن أقول لهن.

رجع بظهره إلى الوراء وراح يهز ركبتيه ويضرب واحدة بالأخرى وقال: اطلبي منهن التصويت لحزب O.P 2.

ضحك وهو يواصل هز ركبتيه حتى اهتز المقعد من تحته وانسكب كوب البيرة فوق المقعد ثم أضاف: لقد قلت لي بأنك لا تعرفين ما ستقولينه لهن، هل أنت فعلاً لا تعرفين ما يجب أن تقوليه؟ أوه، أنت غريبة ولا بد أنك تمزحين، قولي لهن بضرورة التصويت لحزبنا لأنه أفضل الأحزاب وأننا سوف نمنحهن أكشاكاً مجانية في السوق وسوف نوفر لهن مزيداً من فرص التجارة و سنسمح لهن بتعليم أطفالهن، قولي لهن كل ما يخطر على بالك من أكاذيب وبعد أن يفوز العم تايو في الانتخابات سينتهي الأمر ولن تتذكر أي واحدة منهن أي شيء من تلك الوعود، يمكنك أيضاً إخبارهن أننا ضد الضرائب التي تدفعها النساء لأنها شيء خاطئ وغير منصف، قولي لهن إنني سأحارب من أجل المساواة بين النساء والرجال.

صمت لحظة قصيرة ثم أضاف: أنت تتساءلين عما يمكنك أن تقولي لهن؟ أوه، يا إلهي، تستطيعين إخبارهن بأن كل نساء لاجوس سوف يحصلن على عمل مناسب إذا ذهبن إلى صندوق الاقتراع وصوتن لصالحي، ولن تعاني أي

واحدة من البطالة، ولقد حان الوقت لمعاملة النساء بطريقة عادلة حتى ينعمن بوضع أفضل ومنزلة اجتماعية لائقة.

كانت چاجوا تستمع إلى ضحكات العم تايو الجوفاء وقد أعجبتها ذراعيه القويتين وهو يلوح بهما على شكل أقواس بخفة ورشاقة، وازداد إعجابها بقوامه الممشوق وشعرت بأنها فتاة صغيرة أمام مرشح الحزب فقالت بعينين مشرقتين: كفي، أنت لست في السوق الآن.

ضحك العم تايو بالطريقة الصاخبة نفسها وقال: يا إلهي، يجب أن أفوز في الانتخابات، لا بد أن أفوز لأصبح عضواً في المجلس وتصبح امرأتي ذات شأن كبير وعندئذ لن أتردد في الزواج منك.

قالت چاجوا بغضب واستياء: وماذا عن زوجاتك الأخريات؟ وفي أي مكان ستحتفظ بهن حين يمنحك المجلس شقة كبيرة؟

ضحك مرة أخرى وأجاب: سوف تعيشين معهن، إنني متزوج الآن من ثلاث نساء يقمن في البيت نفسه وأنت الوحيدة التي تقيم خارج البيت بمفردها، ها ها ها ها، أنت قلقة بشأن فريدي نام، لا تقلقي فهو الآن متزوج من امرأة أخرى، لقد عاد من إنجلترا بزوجة وطفلين وعرف الرجل طريقه نحو الثراء السريع لكنه مسكين لا يعرف شيئاً عن السياسة ولذلك لن يستطيع أن يربح مني الانتخابات، إن الناس لم تسمع به من قبل أبداً.

داعبها بالضرب فوق مؤخرتها مرة ثانية لكنها لم تبدِ أياً من علامات الرضا فاستطرد العم تايو قائلاً: يجب أن تنسي فريدي في الحال لأنك أنت الآن امرأتي وحدي، إنني أدفع إيجار هذه الحجرة بعد أن قمت بتأسيسها وهكذا فأنت تنعمين بكل وسائل الراحة.

عندما كان العم تايو يتحدث بمثل هذه الطريقة في كل مرة كانت چاجوا تشعر بالحنين تجاه فريدي، إن العم تايو رجل فظ رغم طيبته ولا يؤمن بشيء سوى سلطة المال، لقد ساندته في الحملة الانتخابية ليحظى بالولاء لكنه نسي أن الحياة ليست مجرد حملات انتخابية وإنما هي شيء مختلف تماماً .

كان الجو صافياً والحر شديداً حين ذهبت چاجوا بعد الظهيرة إلى أوبانلا لمقابلة دينيس والتحدث معه ومعرفة ما حدث، هبطتْ من الحافلة ومضتْ في سيرها تحت الأشجار، وعند أحد أركان الشارع أشار لها الحلاق لكنها لم تهتم به ومضت في سيرها.

كان البيت الذي يعيش فيه دينيس ورفاقه هو البيت الثالث على اليمين في مواجهة قطعة أرض زراعية مليئة بالبراز والنفايات القذرة، وحين طرقتِ الباب سمعتْ أصواتاً جوفاء فأصابها الرعب، ثم دفعتِ الباب وراحتْ تتنقل من حجرة إلى أخرى وكأنها في حلم، لم تجد چاجوا أي شخص في البيت، جاء أحد الكلاب مندفعاً من الفناء وبدأ بالنباح فسارعتْ چاجوا بمداعبته بعد أن شعرتْ بوحدته ثم اغلقتِ الباب أثناء سيرها نحو الشرفة وتأكدتْ عندئذ من اختفاء دينيس ورفاقه.

شاهدتْ أثناء سيرها في الطريق سيارة بونتياك زرقاء تمر بالقرب منها وتنشر أضواء مصابيحها بمحاذاة الطريق، فتذكرتِ العم تايو وتذكرتْ أيضاً أنها يجب أن تتوجه - في خلال الساعات القادمة - إلى السوق لمقابلة النساء وإقناعهن بالتصويت لصالح العم تايو.

وقفتْ چاجوا في المقصورة ونظرتْ إلى الأسفل فشاهدتْ حشداً كبيراً من النسوة العاملات في السوق يقدر عددهن بحوالي ثلاثة آلاف امرأة وكان مكبر الصوت قريباً منها وعلم الحزب يرفرف فوقها بخطوطه البرتقالية والبيضاء، فوجدتْ نفسها للمرة الأولى بدون العم تايو الذي اعتادتْ أن تكون تابعة له في كل لقاءاته أما اليوم فهو الذي سيتبعها، أمسكتِ مكبر الصوت بعصبية وارتعشت يداها من الخوف وانطلقتْ من فمها الكلمات الأولى متعثرة وغير واضحة لكنها سرعان ما اكتسبتْ إحساساً جديداً بالقوة وأصبح صوتها غريباً ومؤثراً مما جعل النساء تستدير برؤوسهن لمعرفة صاحبة الصوت، وظللن يستمعن إليها من مكان بعيد عبر الجسر بالقرب من جانب البحيرة والسيارات الفارهة وبدا الناس وكأنهم على وشك مقاطعتها.

تعرف چاجوا كل نساء السوق اللاتي يتسمن بالذكاء والثقة في النفس والاستقلالية التامة التي تزودهن بالقوة، وتعرف رغبتهن بسماع العم تايو الذي لم يتوقفن عن سماعه طوال الأسابيع الماضية أثناء حملاته الانتخابية، إنهن قادرات بأصواتهن الجماعية على التأثير في نتائج الانتخابات، خاصة وأن عددهن كبير، ويكمن سر اهتمامهن في أن أولاد البعض منهن يتعلم في إنجلترا بينما أولاد معظمهن يتعلمون في المدارس الثانوية، ويعد التعليم بالنسبة لهن أمراً بالغ الأهمية، إنهن يذهبن إلى المسجد في يوم الجمعة وإلى السوق يوم الأحد حيث يجلسن في السوق منذ الفجر وحتى غروب الشمس وسط مياه الصرف القذرة التي لا تجف لأنها امتداد لمياه البحيرة التي هي جزء من خليج بينين الذي بدوره امتداد للمحيط الأطلنطي والمحيط الهندي والمحيط الهادي التي لا تجف المياه فيهم أبداً.

كانت الزبالة والنفايات مكدسة على شكل أكوام في منتصف السوق حيث تأتي شاحنات الصحة لجمعها مرة في اليوم، وكان كثير من الرجال ذوي الشأن يأتون إلى ذلك السوق لانخفاض أسعاره ومن أجل توفير بعض المال الذي يذهب إلى المحلات الكبيرة، إنهم يشترون الشاي والمناشف والسكر والكولا والقهوة واللبن والفول السوداني من النساء اللاتي يبعن بسعر أقل من أي شخص آخر لأنهن يشترين بضاعتهن بالجملة من مصادر مشبوهة ولا يتطلعن للمكاسب الكبيرة.

إن أولئك النسوة يذكرن چاجوا - بطرق عديدة - بأميرات التجارة في سوق أونيتشا غير أنهن لا يملكن كثيراً من المال الذي تملكه الأميرات في سوق أونيتشا، وعرفتْ چاجوا أن بعضاً منهن قد جئن لاعتقادهن بأن الحملة الانتخابية ستكون كالكرنفال وأنهن سينعمن برؤية أحدث الموضات وبعض القصص الغرامية، وهكذا فقد حضرن إلى السوق بملابسهن المخملية الخاصة بألوانها الزرقاء والخضراء والبنفسجية وارتدتْ كثيرات منهن المجوهرات البراقة حتى يشعر رجالهن بالبهجة والفخر، كانت قمصانهن الخارجية الفضفاضة مصنوعة من النايلون الشفاف فاستطاعتْ چاجوا أن ترى أثدائهن بوضوح وحلمات صدورهن التي أصابتها كثرة الرضاعة بالترهل.

سألتهن چاجوا بلغة غير الإنجليزية : كم واحدة منكن تتذكر يوم مولدها؟

خيم الصمت على كل الحاضرات في الحال فاستطردتْ چاجوا: عدد قليل جداً منكن هو الذي يعرف يوم مولده لكن الكثيرات يتذكرن يوم ميلاد أطفالهن، والآن أفليس شيئاً عجيباً بالنسبة لنا في لاجوس أن تقدم زوجة موظف الحزب هدية عيد الزواج لزوجها؟، إنه لشيء جميل حقاً أن يحدث ذلك ولكن يجب أن تكون المعاملة بالمثل لتنعمن أنتن أيضاً وأنا معكن بتقديم الهدايا في ذكرى الزواج، إن المرأة التي تقدم الهدايا إلى زوجها ليست سوى امرأة مثلنا جميعاً، إنها تدعو زوجها في ذكرى الزواج السنوية إلى شاطئ البحر ثم تقول لزوجها: زوجي العزيز، قلننعم بالسعادة مدى الحياة وها هي مفاتيح بيتنا الجديد الذي قمت ببنائه تخليداً لذكرى زواجنا.

صمتتْ چاجوا لحظة قصيرة ثم أضافتْ: وبعد أن تناوله مجموعة المفاتيح تشير إلى البيت الجديد الجميل ذي الطوابق الستة والملاصق لشاطئ البحر، من أين استطاعت تلك المرأة الحصول على المال اللازم لبناء مثل ذلك البيت؟ إنها تعمل بالتجارة مثلنا.

ساد الضجيج والصخب من حول چاجوا فانتظرتْ حتى يسود الهدوء وقالتْ: وبالطبع فلقد أصابت الدهشة زوجها، وبعد أن تناول من يدها المفاتيح أصبح متأكداً بأنه لا يحلم، لقد امتلكا مفاتيح المبنى الجديد الذي تكلف بناؤه على ما أعتقد خمسة آلاف جنيه بالتمام والكمال، خمسة آلاف جنيه بالعملة الإنجليزية وتستطيع كل واحدة منكن أن تشرح لصديقاتها قيمة البيت بالعملة المحلية، نعم خمسة آلاف من الجنيهات وهو بيت تتوفر فيه كل أساليب الراحة والمتعة، بيت على الشاطئ بمثل تلك التكلفة العالية قامت ببنائه امرأة لا تختلف عنكن في أي شيء وإذن فأين أنتن مما يحدث؟ اذهبن الآن وسارعن ببناء بيت مثله لأزواجكن أم إنكن لا تملكن خمسة آلاف من الجنيهات؟

قامتْ بعض النساء بفك ربطات الرأس وإلقائها فوق الأرض وهن يضربن بأيديهن فوق أردافهن بغضب، وعندئذ راحتْ چاجوا تتحدث عبر الميكروفون قائلة: إن القصة لم تنته بعد ودعوني أواصل حديثي.

هدأت النساء ورحن يستمعن إلى چاجوا التي استطردتْ: هل عرفتن الآن نوعية الناس الذين ستقمن بالتصويت لصالحهم، إذا ذهبت أصواتكن لصالح حزب العم تايو فلن تدفعن الضرائب أبداً وسوف يتعلم أولادكن تعليماً لائقاً، أما الحزب الآخر فسوف يستغل أموالكن في بناء بيوت خاصة لأعضائه المرموقين، وسوف يرسلون أولادهم إلى أكسفورد وكامبريدج ولن يستطيع أولادكن سوى التعلّم في مدارس أوبانلا وليتهم يستطيعون لأن أوبانلا ما تزال مناسبة لأولادكن، أعتقد أنهم سيرسلون أولادكم إلى الضواحي الفقيرة القذرة لأن حزبهم ضعيف ولا يتمتع بالقوة الكافية. أيتها النساء سوف تواصلن النوم على حصائرالعشب فوق الأرض بينما تنام زوجاتهم فوق الفراش المريح، سوف تحملن أغراضكن إلى السوق فوق رؤوسكن، وسوف تعانين من لسعات البعوض، وسيصاب أولادكن بالملاريا، ولن تجد أي واحدة منكن شيئاً تفعله سوى البحث عن طريقة للعزاء، وستقول كل واحدة للأخرى: إننا نشقى ونعاني .

استطردتْ چاجوا دون أن تتوقف قائلة: أخبرنني عن السبب وراء كل ذلك الشقاء وتلك المعاناة، وهل سيظل ذلك الشقاء إلى الأبد؟ لقد حان وقت الاستمتاع وعليكن أن تذبحن دجاجة صغيرة في أيام السبت وتستقبلن الأصدقاء، يجب أن ترقصن على إيقاع الموسيقى وتتمتعن بالسعادة. انظرن إلى أسقف منازلكن المليئة بالصدأ والتي ترشح عند سقوط المطر، وإلى عدم وجود أماكن يستطيع أطفالكن اللعب فيها، إنكم جميعاً تقضون حاجتكم في دلو مفتوح تستخدمونه كمرحاض وغالباً ما يكون مليئاً ببراز الرجال

العاطلين عن العمل مما يجعل الرائحة الكريهة لا تفارق آنوفكم، إن الحمام ضيق وصغير ويفوح برائحة البول، أي نوع من الحياة تلك بالله عليكن؟

ضحكتْ چاجوا بالطريقة نفسها التي يضحك بها العم تايو وأضافتْ: أهذه هي الحياة بالنسبة لكن أيتها النساء؟ سوف تعشن هذه الحياة نفسها إذا لم تذهب أصواتكن لصالح حزب العم تايو، وهل تعرفن بأن مرشح الحزب الآخر رجل إنجليزي؟ نعم، رجل إنجليزي لمنافسة العم تايو.

نهض العم تايو من مكانه وهو يهز رأسه بأسى فصفق له جمهور الحاضرين، ثم استدارتْ چاجوا ونظرتْ إليه وقالتْ: ذلك الإنجليزي اسمه فريدي نام، هل تعرفن زوجته؟ إنها من سيراليون التي تبعد ألف ميل عن لاجوس حيث لا يتحدث الناس هناك بلغة اليوروبا ولا بلغة الإيبو أو الهوسا، إن سيراليون تعد جزءاً مختلفاً عن أفريقيا وإذا ذهبت أصواتكن إلى رجل متزوج من امرأة أجنبية فهل تعتقدن أيتها النساء النيجيريات أنه سيفهم شيئاً عن مطالبكن؟

قالت النساء بغضب: لا.

كان عدد النساء المحتشدات يفوق الثلاثة آلاف امرأة، وكن جميعاً في حالة من الهدوء ورحن يتحسسن أغطية شعورهن من حين لآخر، توقفتْ چاجوا لحظة لالتقاط أنفاسها ونظرتْ بعدوانية إليهن فشاهدتْ أحد الأولاد الصغار بملابسه البيضاء واقفاً في مكان بعيد وهو يرمي كرة القدم نحو أمه التي كانت ترتدي وشاحاً أحمر.

قالتْ چاجوا: إن العم تايو هو الرجل المناسب يا أخواتي، إنه رجل أعمال ويستطيع

- مثلكن- أن يفهم قيمة العمل كما أنه يشعر بما تعانين من متاعب في العمل، ويعرف جيداً كل شيء عن مشاكلكن حتى قبل عرض هذه المشاكل عليه، سوف يعرض العم تايو أحوالكن على المجلس وسوف يوفر لكنّ سوقاً لائقة وبعيدة عن مياه الصرف ذات الرائحة الكريهة وعن رائحة البول والبراز المخجلة، عليكن بالذهاب إلى أونيتشا لرؤية ما يجب أن يكون عليه السوق، لقد كنت هناك وأستطيع إخباركن أن العم تايو سيقوم بإنشاء سوق أكبر من سوق أونيتشا وأكثر نظافة منه من أجلكن، وسوف يصبح بمقدور أي واحدة منكن النوم فيه إذا شاءت دون أن تطاردها الروائح الكريهة ودون أن تتعرض للسعات البعوض، وإذن فعليكن التصويت لصالحه أو فلنقل التصويت من أجل حياة أطول وأكثر سعادة؛ والأهم من كل ذلك فليكن من أجل الحرية.

ارتفعت في الأفق دقات الطبول وبدأ فريق الأوركسترا بعزف الألحان والغناء، فتسللتْ چاجوا إلى الخلف وتركتْ مكبّر الصوت للعم تايو. كانت چاجوا تشعر بالتعب والعطش، وكان فريق الأوركسترا الذي استأجره العم تايو خصيصاً لذلك اللقاء والمكون من اثني عشر من الرجال متحلقاً حول مكبر الصوت وكانوا يرتدون زياً موحداً، اقترب أحدهم من المكبّر وراح يرتجل أغنية تشيد بطيبة العم تايو وصدق وإخلاص الحزب التابع له، بينما راح الآخرون يقرعون آلات النقر المختلفة ويغنون على إيقاع موسيقى الأبالا، فلم تستطع النساء مقاومة سحر الإيقاع ورحن يتبارين في هز الأرداف والرقص بولع شديد والتنقل بحركات فنية من جانب إلى آخر في محاولة منهن للاحتكاك بالرجال الذين راحوا بدورهم يضربون أرداف النساء بأجسادهم بالإيقاع نفسه، فتحولت الحملة الانتخابية إلى كرنفال.

انتهى العم تايو من خطابه الذي لم يستمع أحد إليه ثم سأل قائلاً: هل هي چاجوا التي علمتكم فنون السياسة؟

قالتْ چاجوا: بل أنت أيها العم تايو، أما أنا فإنني أكرر بأن كل شيء أقوله ليس سوى ما أشعر به، أوه، إنني أشعر بالتعب قدعنا نذهب إلى البيت أو إلى تروبيكانا.

قال العم تايو وهو يمضي خارجاً: أنا متأكد الآن من الفوز فهيا لنحتفل معاً في تروبيكانا.

تجمع حشد النساء والرجال حول چاجوا من كل جانب في محاولة لمصافحتها والإبقاء عليها، فشعرتْ چاجوا بالفخر وهمست لنفسها قائلة: لقد ضربت المسمار الأول في نعش فريدي، فريدي سوف يدفن قريباً.

# (٢١)

تقدمتْ نانسي بخطوات رشيقة نحو حلبة الرقص فلاحظ كل الرجال بأنها مختلفة عن بقية النساء المترددات على تروبيكانا، وراحوا يحدقون فيها ويمعنون النظر في ملابسها وكل تفاصيل جسدها، دارتْ چاجوا حول نفسها وحين أمعنت النظر لم تستطع التعرف على نانسي، بدتْ نانسي الشابة رشيقة وفاتنة، لقد تعلمتْ في إنجلترا كيفية استخدام المساحيق التي ساعدت في إظهار مزيد من جاذبيتها، وكان أحمر الشفاة ممتزجاً ببشرتها الطبيعية، كما أجادتْ استخدام طلاء الأظافر ولم تفلح المشدات حول جسدها في إعاقة حركتها، كانت نانسي رشيقة في حركتها وكان لا بد لچاجوا من الاعتراف والتسليم بفتنتها وسحرها.

نظرتْ نانسي بثبات وهدوء إلى چاجوا وقالت لها: هل رأيت فريدي؟

أجابتْ چاجوا: ولماذا تسألينني أنا يا نانسي؟ أولاً وقبل كل شيء دعيني أرحب بعودتك من إنجلترا، ولتعلمي بأننا لم نلتق منذ أن ودعتك وأنا في طريقي إلى باجانا كما أنني لم أسمع بخبرعودتكما.

- أنت تكذبين يا چاجوا، لقد سمعت كل شيء عن علاقتكما.

خافتْ چاجوا من طريقة نانسي في الحديث وحاولتْ ألا يعلو صوتها وهي تقول: أقسم بالله أن ما قلته لك هو الحقيقة بعينها وليس ثمة ما يدعوني للكذب عليك.

- لا تقسمي بالله لأنك امرأة شريرة.

- أقسم مرة أخرى بأنني لم ألتق بزوجك منذ عودته فأنا لا أريد شيئاً منه خاصة وأنه أرسل لي النقود التي اقترضها مني قبل سفره.

قالتْ نانسي بغضب: أنت تكذبين يا چاجوا فمنذ عودتنا وفريدي خارج البيت على الدوام ولا بد أنه كان يتردد عليك .

لم تستطع چاجوا أن تتحمل مزيداً من التوبيخ فقالتْ: معذرة يا نانسي، هل تقولين بأنني كاذبة؟ هل أنا كاذبة؟ أرجوك ألا تقوليها مرة أخرى أم إنك نسيت تجربتك القاسية في نهر باجانا ونسيت أنني أنا السبب في إنقاذك؟

أنت يا نانسي مختلفة عني تماماً وأنا لا يعنيني أنك عائدة للتو من إنجلترا لأنك بالنسبة لي مجرد طفلة صغيرة في مقام ابنتي، وليس لدي ما أفعله مع طفلة صغيرة مثلك لا تحترم من هم أكبر منها، إذهبي الآن لاستدعاء أمك لكي أتحدث معها بدلاً منك لأنني لا أتحدث مع الصغار، أنا لم أعد أفكر في فريدي لأنني الآن لا أشعر تجاهه بأي شيء، وإذا كان يخرج من البيت كثيراً كما تقولين ويتطلع لصحبة امرأة أخرى فلتبحثي عن السبب داخل نفسك ولتعرفي عندئذ أنك المخطئة الوحيدة، أنت غير قادرة على احتواء زوجك وهذا كل ما في الأمر.

كان العم تايو يعيد ترتيب ملابسه ويتطلع بشغف إلى نانسي ثم سأل چاجوا الجالسة بجواره: من تكون هذه السيدة؟

- إنها زوجة فريدي نام الذي عاد لتوه...

- أوه، چاجوا، لقد حذرتك بشأن...، وقلت لك ألا...

قاطعته چاجوا وقالتْ: أرجوك أن تصمت أيها العم تايو، أنا لا أعرف أي شيء عن فريدي وليس لدي شيء آخر يمكنني قوله.

بدأ الرجال بالإلتفاف حول چاجوا ونانسي حتى أصبحتا في وسط الدائرة التي اتسعت مساحتها بعد انضمام فتيات تروبيكانا إلى الرجال، فتوجهتْ چاجوا ناحيتهم وقالت لهم وهي تشير إلى العم تايو: كنت جالسة هنا أتبادل الشراب مع سيدي حين جاءت هذه الفتاة الصغيرة فجأة لتتهمني وتسألني عن زوجها فقلت لها بأنني لا أعرف فريدي ثم بدأت تلعنني.

قالتْ نانسي بإصرار: أنت كاذبة لأنك تعرفين فريدي جيداً ولقد جئت إلى هنا لتحذيرك وإخبارك بأن تتركي زوجي وشأنه ودعيه يعيش معي، إنه يعرفك أيتها المرأة المومس قبل أن يتزوجني لكنه الآن زوجي وأنت بالنسبة له مجرد شيء من الماضي.

- أنت بنت زنا ولا أصل لك.

- أيتها المومس التي لا تعرف الخجل، كنت تلاحقين رجلاً من عمر أبنائك لكنني لا ألومك فلقد جف رحمك أيتها العجوز الشمطاء ولا تستطيعين أبداً أن تصبحي أماً.

مزقتْ الكلمات كبرياء چاجوا ورغم قدرتها على العفو والغفران إلا أنها لم تستطع تجاهل تلك السخرية المهينة المتمثلة في عدم القدرة على الإنجاب، فقفزتْ من فوق الكرسي وهجمتْ على نانسي التي حاولت أن تسدد ضربة قوية بقبضة يدها في وجه چاجوا لكنها لم تفلح بعد أن أمسك شخص ما بقبضتها من الخلف، أمسكتْ چاجوا بملابس العم تايو الذي سحبها بالقوة إلى خارج تروبيكانا.

أشار العم تايو بقبضته إلى نانسي وقال: أنت تعتبرين نفسك سيدة قادمة من إنجلترا ولذلك فإنني أتساءل وأتعجب وأرى أنك لم تتعلمي شيئاً من وجودك هناك، أنت تتهمين امرأتي بأنها امرأة مومس فلتنتظري إذن حتى يمكنني مواجهة زوجك، سأجعله يفر هارباً من لاجوس.

تعرف چاجوا أن فريدي لا يأتي لزيارتها إلا عند غياب العم تايو وها هي الآن وحيدة في بيتها ولم يساورها أدنى شك في قدوم فريدي، خلعتْ كل ملابسها ورشّت حلمة أذنيها وتحت إبطيها بالعطر، وقبل أن ترتدي حمالة النهدين القطنية راحتْ تدعك ثدييها بالعطر نفسه، ثم تذكرتْ على الفور أهمية أن تكون أضواء الحجرة خافتة وحالمة، عادت إلى السرير وقد قررتْ أن تعصف بالعلاقة بين فريدي وزوجته وقالتْ لنفسها: سأمارس كل أنوثتي وفنوني في ممارسة الحب معه حتى يشعر بالقرف تجاهها ويطيح ببيت الزوجية وليكن ذلك هو التعويض المناسب عن إهانتها لي، يجب على نانسي أن تعرف مقدار القوة التي تتمتع بها المرأة المومس للسيطرة على الرجال، ويجب أن تعلم بأنني قادرة على تدمير حياتهما الزوجية.

نجحتْ چاجوا في أن تجعل العم تايو يشاركها روح الغضب نفسها تجاه فريدي، فأصبح مستعداً لمنازلته وراغباً في الهجوم عليه بعد أن أخبرته بأن فريدي يضايقها ويتدخل في حياتها، ورغم تحذيرها له بالتوقف عن زيارتها إلا أنه لم يفعل وظل يضايقها بكثرة التردد على بيتها. أخبرتْ چاجوا العم تايو أيضاً أن فريدي يلجأ إلى كثير من الحيل والذرائع لنيل أصوات الناخبين في أوبانلا فقرر العم تايو - لكل تلك الأسباب- أن ينتقم من فريدي.

استلقتْ چاجوا فوق السرير الناعم وبدأتْ تفكر في دينيس أودوما، لقد أصبح معروفاً الآن أن ضابط الشرطة قد مات في المستشفى وحين يأتي فريدي سوف تناشده وتطلب منه الدفاع عن دينيس لأنها كانت متأكدة بينها وبين نفسها أن فريدي قادر على عمل الكثير من أجل دينيس إذا استطاعتْ إقناعه بتحمل مسؤولية الدفاع.

سمعتْ چاجوا أصواتاً بالخارج، كانت روزا تتحدث إلى شخص ما، وحين وضعتْ أذنيها فوق الباب سمعتْ فريدي يقول: كيف تكون نائمة في مثل هذا الوقت من الليل؟

قالتْ روزا: لقد عادتْ للتو من الخارج.

- إذهبي لإيقاظها، لا، لا، ابق في مكانك.

وعندئذ سمعتْ چاجوا طرقاً خفيفاً على الباب فسارعتْ نحو السرير واستدارتْ بجسدها حتى أصبح وجهها في مواجهة الحائط وراحتْ تصدر أصواتاً كالشخير، فردتْ ذراعيها وساقيها فوق السرير بطريقة مثيرة وكان فخذاها نصف عاريين وهي تقول لنفسها: وهكذا يراني فريدي في هذا الوضع المثير فلا يتردد في ملامستي وعندئذ أتنهد وأفتح عينيَ فأسارع بالابتعاد عنه.

كانت روزا هي الطارق الذي دخل الحجرة فسألتها چاجوا: من هو ذلك الشخص؟

- إنه فريدي وبصحبته رجل آخر أعتقد أنه القائم على حملته الانتخابية لكنني أخبرتهما بأنك نائمة.

- حمقاء، ألم أقل لك أن تسمحي له بالدخول حين يأتي؟

- نعم سيدتي لكن...

- اخرجي الآن ودعيني أستريح.

في تلك الليلة نفسها ارتدتْ چاجوا أفضل ثيابها وذهبتْ إلى تروبيكانا حيث طلبتْ كأساً من البيرة وجلستْ في إحدى الزوايا، وما هي إلا لحظات قليلة حتى جاء فريدي بصحبة عدد من الشباب ذوي العضلات المفتولة، كانوا يرتدون قمصاناً زاهية اللون وأحذية براقة لكن ذقونهم كانت كثيفة الشعر، وبدا فريدي مرهقاً حين اقترب منها وجلس إلى جوارها وتجمَع الشباب الخمسة الأقوياء حول طاولتهما.

قالتْ له چاجوا متسائلة: من هم هؤلاء الرجال يا فريدي؟

ضحك ضحكته الغريبة وأجاب: إنهم الحرس الخاص بي، ألا تعرفين بأهمية أن يكون لكل مرشح الحرس الخاص به في هذه الأيام؟

تحسستْ چاجوا كأسها بعصبية وقالتْ: ماذا لو جاء العم تايو وشاهدك وأنت جالس إلى جواري بصحبة كل أولئك الرجال؟

- لقد ذهب العم تايو ورجاله إلى القرية من أجل حملته الانتخابية، لقد تركناه هناك ولن يأتي إلى هنا الآن.

- أتوسل إليك يا فريدي ألا تغامر بالدخول في عالم السياسة، إنها لعبة خطيرة وأنت مولع بالتجوال وسط تلك الحراسة لكن كل ذلك مجرد أوهام، أنت تخدم أولاداً أشقياء لا يعرفون شيئاً عن حياة الإنسان، هل ستتحمل المسؤولية كاملة عندما يقوم أحدهم بقتل أحد الرجال؟ أم إنك تعتقد بأن الأمر كله ليس سوى لعبة؟

- أنا لا يهمني ذلك الآن، لقد فات وقت التراجع وأنا لا أريد سوى المال.

حكى لها عن اليوم الذي كان يتجول فيه بعد الظهر من أجل حملته الانتخابية حين أمر العم تايو أتباعه بالهجوم عليهم وإلحاق الأذى بأكثر من اثني عشررجلاً حتى إنه هو نفسه قد أصيب بجرح في وجهه ثم قال لها بأنه -منذ ذلك الوقت- لا يخرج أبداً بدون أولئك الحراس الخمسة لحماية نفسه، خاصة بعد أن أخبروه بأن العم تايو يخطط لقتله.

قالتْ چاجوا: لا أعتقد ذلك، إن العم تايو مجرد منافس لك لكنه ليس بالشخص الذي يقوم بأعمال القتل، أنت تمزح يا فريدي وأرى أنك تغيرت كثيراً منذ عودتك من إنجلترا ولا يشغل بالك سوى المال، ولذلك فإنك لا تثق بأي شخص.

ابتسم فريدي وقال: نعم، أنت تقولين الحقيقة لكن الرجل يكرهني بدون سبب رغم أنني لم أفعل شيئاً له، إن يديه لا ترتعشان وهو يصب البيرة من الزجاجة.

قالتْ چاجوا: بالمناسبة، هل سمعت عن دينيس أودوما؟ ذلك الرجل الذي كنت أراه أحياناً بين حراسك؟ يقولون إن الشرطة قد اعتقلته.

- سمعت ذلك وأنا حزين بشأنه، لقد ارتكب جريمة خطيرة ضد القانون لن يستطيع الفكاك منها، لقد قتل أحد ضباط الشرطة وسوف يقومون بإعدامه.

كان كلام فريدي قاطعاً ولم يبد في صوته أي أمل في الدفاع عن دينيس فتدفقت الدموع من عيني چاجوا وقالتْ: أتوسل إليك يا فريدي أن تدافع عنه.

- لا يا چاجوا، أنا لا أملك الوقت الكافي ويجب أن أستثمر كل وقتي في الانتخابات، وعلي أية حال فإن الحكومة ستكلف محامياً من عندها للدفاع عنه.

تنهدت چاجوا وشعرتْ بالعجز لعدم قدرتها على مساعدة دينيس فراحتْ تبتهل إلى الله أن يتغاضى القانون عن خطئه ولا يحكم عليه بالإعدام .

لم تستطع چاجوا أن تبقى في مكانها دون المشاركة في الرقص، ليس ابتهاجاً بخطابها أمام النساء في الحملة الانتخابية ولكن لأنها تحب الرقص ولا تترك رقصة واحدة دون المشاركة فيها. ضربتْ بقدميها فوق الأرض وهزّتْ كتفيها وبدا أن إيقاع الموسيقى قد تسرب من مسام جسدها إلى بشرتها حتى اشتعل جسدها بالحماس، فتركتْ فريدي وحيداً عند الطاولة وراحتْ ترقص وحيدة دون شريك.

واصلتْ الرقص بمفردها لبعض الوقت ثم شاركتها نساء أخريات كن مثلها بدون رفيق، إن نساء وفتيات تروبيكانا يجدن -أحياناً- متعة بالغة في الرقص وحدهن بدون رجال ليستعرضن ملابسهن المخملية الناعمة بألوانها ورسوماتها المختلفة مما يشجع الرجال على اختيار المرأة المناسبة والاندماج في الرقص معها، ارتفعتْ موسيقى جيمو لادي وفرقته لمدة ساعة كاملة بدون توقف، ثم تغيرت النغمة لكن الإيقاع ظلّ جميلاً حتى اكتست أجساد كل الراقصين بالعرق.

أصاب أعضاء الفرقة الموسيقية التعب بعد مواصلة العزف لمدة ساعة كاملة، فتراجعوا قليلاً إلى الخلف وجلسوا لالتقاط أنفاسهم لكن جمهور الحاضرين ظل يصيح طالباً المزيد من الموسيقى بينما أمسكتْ چاجوا بفخذيها المتألمين وعادت إلى الطاولة وراحتْ تتطلع حواليها في كل مكان بحثاً عن فريدي غير أنها لم تجده، فجلستْ وقد ارتسمت على وجهها علامات القلق وهمست لنفسها قائلة: كان يجب أن يخبرني قبل أن يرحل لكنه ربما لم يشأ أن يقاطعني أثناء الرقص.

تقدَم ناحيتها أحد العاملين في تروبيكانا وقال لها: لقد جاء رجل يرتدي شارة الحزب الذي ينتمي إليه فريدي وأبلغه برسالة غريبة خرج بعدها مسرعاً، لقد

خرج فريدي بمفرده ثم لحق به الحرَاس الخمسة بسرعة، وأعتقد أنه قد تعرَض لحادث مفاجئ لكنني لا أعرف بقية التفاصيل.

انتابها إحساس غريزي بأن شيئاً مريباً قد حدث فنهضتْ من فوق مقعدها ووقفتْ أمام الباب وراحتْ تنظر خارج النادي، فأبصرتْ - على يسارها وبالقرب من البالوعة - حشداً من الناس، كانوا ينظرون إلى شيء ما عرفتْ چاجوا أنه حادثة.

اندفعتْ چاجوا مخترقة الحشد وجاهدتْ حتى أصبحتْ في مقدمة المشهد، كان أحد الرجال راقداً في البالوعة والدم يتدفق من فمه فقدتْ وعيها وبدا أن رأسها قد انشطر إلى نصفين، اعتقدتْ في البداية أن الرجل قد مات لكنها حين اقتربتْ أكثر ودققت النظر شاهدتْ يديه وهما تتحركان وعرفتْ أنه فريدي نام.

لم يستطع أحد معرفة الفاعل أو السبب الذي حدث من أجله، فصاحتْ چاجوا قائلة: لماذا تقفون هكذا؟ فليتصل أحدكم بالإسعاف، ليدخل أحدكم النادي فوراً لاستدعاء الإسعاف.

لم يتحرك أحد فسارعتْ چاجوا بدخول تروبيكانا وهي تتمتم: أنا أعرف الفاعل، إنهم يريدون قتل حبيبي فريدي المسكين.

لم تتوقف چاجوا - طوال أيام ثلاثة متتالية - عن محاولة رؤية فريدي في المستشفى لكن الممرض كان يعترض طريقها في كل مرة قائلاً: من الأفضل أن تعودي يا مدام لأنك لن تستطيعي رؤيته، إنهم يقولون إن حالته الآن حرجة جداً.

كان الممرض نفسه هو الذي يكرر الكلمات نفسها كلما جاءتْ چاجوا لرؤية فريدي، وبدا واضحاً أنهم لقنوه هذه الكلمات كي يقولها لأي شخص، وحين فشلتْ چاجوا في رؤية فريدي عادتْ للخروج لكنها شاهدتْ نانسي بعباءتها الزرقاء الجميلة وحذائها الأبيض غير أن نانسي لم تنظر إليها وتظاهرتْ بعدم الاهتمام لوجودها ثم قوبلتْ بانحناءة لطيفة من الممرض الذي فتح لها الباب عن آخره، ارتبكتْ چاجوا وساورها شعور بالخجل والضيق لأنها بالنسبة لفريدي لا تمثل شيئاً مهما كانت العلاقة بينهما، لكن نانسي هي المرأة التي يعرفون بأنها زوجته.

كان فريدي يرقد في إحدى المستشفيات الخاصة، فتذكرتْ چاجوا سيارة الإسعاف الخاصة بهم التي جاءت إلى مكان الحادث بعد اتصالها التليفوني

وحملت فريدي إلى مكان بعيد، وقالت صحيفة الحزب الأول أن الرجل الذي يحمل اسم فريدي وهو خارج من تروبيكانا لم يكن سوى الرجل الذي ينتمي إلى الحزب الثاني ولكنه كان يرتدي ثياب الحزب الأول، وعند خروجه قاموا بمهاجمته وضربه، وذكرت الصحيفة على لسان رئيس الحزب الثاني أنهم يتحملون المسؤولية كاملة عمّا حدث لفريدي وما أصابه من جروح بالغة، لكن چاجوا سمعتْ بأن أعضاء الحزب الثاني أنكروا معرفتهم بأي شيء يتعلَق بضرب فريدي وألصقوا التهمة بالطبيب صاحب المستشفى التي يرقد فيها فريدي، وقالوا بأن الطبيب معروف بولائه للحزب الأول، وبالتالي فإن أي تقرير سوف يقدمه للمحكمة لا بد أن يشوبه الكذب ولا يجب الاعتداد به لأنه شاهد منحاز.

كل ما سمعته چاجوا كان نوعاً من الشائعات، فأدركتْ أن كل ذلك من أجل تعقيد القضية. وفي مساء ذلك اليوم انتظرتْ چاجوا خارج المستشفي على أمل أن تقدم رشوة للممرض بعد خروج نانسي كي يسمح لها بالدخول لرؤية فريدي للحظات قليلة لأنها لم تستطع أن تتحمل فكرة مرض فريدي ومعاناته بدون أن تلقاه وتخفف عنه، كانتْ تمشي أمام بوابة المستشفي جيئة وذهاباً وعندما توقفت أمامها إحدي سيارات اللاندروفر لم تخف على غير العادة ثم جاءت سيارة الإسعاف ووقفت خلف اللاندروفر مباشرة بطريقة طائشة، لم تكن سيارة الإسعاف تحمل شارة تلك المستشفي الخاص وظهر بداخلها رجلان من رجال الشرطة كان السائق أحدهما فشعرتْ چاجوا بشيء غير طبيعي وحاولت التركيز والانتباه، وبعد لحظة قصيرة شاهدتْ سيارة لاندروفر ثالثة أصغر قليلاً من السيارة الأولي ومطبوع عليها شارة الشرطة وبداخلها أحد الضباط وهو ممسك بمكبر الصوت، وبعد لحظات قليلة شاهدتْ چاجوا نساء السوق والباعة والسيارات والشاحنات وسيارات الأجرة وهم يتجمعون أمام باب سيارة إسعاف الشرطة في غضب ويقولون: أوقفوهم، إنهم يريدون انتشال فريدي من المستشفي، إن الحزب الثاني هو الذي خطط لكل شيء.

قال أحدهم: أتعتقدون بأنه سيموت؟ فلنتركهم يحاولون نقله، إنهم مسؤولون عن حياة فريدي.

- إنهم لا يستطيعون نقله كما أن الطبيب لن يوافق.

أصبح الطريق مغلقاً بسيارات الشرطة، وكانت أبواق مكبرات الصوت تدوي من مكان بعيد عند نهاية الشارع، ولم ينتبه السائقون لأي شيء وعادوا بسياراتهم بسرعة ونفاد صبر إلى الخلف حتى توقفوا عند جانب الطريق،

وبدا لچاجوا أن ذلك الوضع سيستمر لمدة ساعات وأن تلك الورطة لن تتعدى حدود المستشفى.

انضم المارة إلى بقية الحشد وراحوا يصيحون في وجه الشرطة بكلمات غاضبة، واستطاعت چاجوا من خلالهم رؤية سيارة الفولكس فاجن وبداخلها مؤيدو الحزب الأول، كما شاهدتْ بعض الصحفيين الذين اعتادتْ رؤيتهم في تروبيكانا، كانوا يقفون عند الركن ويسجلون بنشاط وحماس كل ما يرونه في أوراقهم، لم يتزحزح البوليس من مكانه فابتعد الناس عن بوابة المستشفى وعندئذ شاهدتْ چاجوا النقالة التي يحملون عليها فريدي لوضعه في سيارة الإسعاف، ثم لمحتْ نظرة خاطفة من نانسي اختلطت فيها الدموع بلون الماكياج الأحمر، كانت تبكي بطريقة مخزية وحاولت رؤية وجه فريدي لكن الوجه بكامله كان ملفوفاً بالضمادات، فراحتْ تراقب سائق سيارة الإسعاف وهو يحمل فريدي من فوق النقالة ويضعه بحذر داخل سيارة اللاندروفر.

ذهبتْ چاجوا إلى بيتها مشياً على الأقدام وهي خائفة، وكانتْ تفكر في ما تتسم به الشرطة من غباء شديد وفي ذلك الشيطان الغريب الذي يطلقون عليه اسم السياسة حتى تساءلتْ بينها وبين نفسها باندهاش: لماذا يتغير الناس العاديون ممن أعرفهم حين يدخلون معترك السياسة؟ إنهم يفقدون قيمتهم الإنسانية من أجل القوة ومن أجل الفوز بأكبر عدد من المقاعد في الانتخابات وطمعاً في الظهور بصفحات الصحف الأولى والنشرات الإخبارية في الإذاعة النيجيرية.

لم تستطع چاجوا أن تعرف إذا ما كان فريدي حياً أم ميتاً، لكنها كانتْ تعرف ذلك الخوف الغريب الذي اعتراها فجأة مثل معرفتها بذلك الشيء المسيطرعلى قلبها ولا تستطيع التخلص منه بسهولة.

شقَتْ چاجوا طريقها وسط الزحام حتى وصلتْ إلى بيت أسرة نام، بيت الموت والحداد وكانت نانسي تجلس فوق البلاط الإسمنتي وسط عدد من النسوة النائحات، كانت عيناها حمراوتان وكانت ملامح وجهها ما تزال غامرة بالشك وعدم التصديق وراحتْ تتجول بعينيها الحمراويين في أرجاء المكان بينما كان المزيد من الرجال والنساء يتدفقون لدخول حجرة الجلوس، تشقَقتْ شفتاها الصغيرتان وكانت أنفاسها لاهثة ومتقطعة وشبيهة بالدخان المتصاعد من أحد المحركات الصغيرة، ورغم كل ذلك فقد رأتْ چاجوا أنها جذابة وفاتنة رغم ثوبها البالي ورغم بؤسها.

عندما شاهدتْ أصدقاء فريدي بملابسهم السوداء لم تستطع السيطرة على نفسها وغلبها الانهيار وراحتْ تبكي بصوت عال، تقدَم ناحيتها رجل يرتدي زي المحاماة وقال لها: لقد جئنا - نيابة عن كل المحامين- لنعبرعن تعاطفنا ومشاركتنا الوجدانية الصادقة...

أجابته النساء بسيل من النحيب فتوقف عن الحديث واستدار ناحية أصدقائه ثم قال لهم: هيا بنا يا أصدقاء.

كانت جثة فريدي نام ترقد فوق السرير خلف شبكة الحماية من الناموس وقالوا بأنه مات قبل وصوله إلى المستشفى وكانوا يغطون الجثة بقماش أسود وجوارب وقفازات بيضاء، أما الرأس فقد لفوا حوله قطعة من القماش الأبيض وكانت فتحتا الأنف مسدودتين بالقطن. وحين نظرت چاجوا إلى الجثة لم تستطع مقاومة دموعها وظلت تبكي بهدوء رغم عدم تصديقها لكل ما يحدث حولها، وشعرتْ بأن تلك الأصوات المكتومة وتلك التنهدات والتأوهات وذلك العويل والنواح وما ظهر على الوجوه من تعبيرات المواساة والتعاطف والمشاركة الوجدانية وأولئك الرجال وهم يجرجرون أقدامهم وينحنون بأدب مصطنع لتقديم العزاء ليس سوى فيلم سينمائي تشاهده مع بقية الحاضرين، لكنها كانت تردد مع نفسها من حين لآخر: لقد مات فريدي، لا، لا يمكن أن يكون الأمر حقيقياً.

جلستْ وهي شاردة وبدتْ في حالة من الغيبوبة الكاملة ثم استسلمتْ تماماً لأحزانها وأحاطها جو من الكآبة، ثم أبصرتْ امرأة عجوزاً ترتدي فستاناً أبيض وفتيات صغيرات نابضات بالحياة والجاذبية لكنها لم تتوقف كثيراً إلا أمام تلك الفتاة المفعمة بالحياة ذات البشرة البنية الفاتحة والتي كانت تغطي رأسها بقطعة غريبة من القماش وترتدي دثاراً مخملياً ناعماً، وكان وجودها بهذا الشكل لا يتناسب مع جو العزاء.

تساءلتْ چاجوا: من تكون هذه الفتاة؟ وهل كان فريدي في حياته يعرف كل أولئك الناس؟

توجهتْ بنظراتها نحو نانسي المفجوعة بفقد زوجها وراحتْ تتطلع مباشرة إلى عينيها المبللتين باللون الأحمر. كانت عينا نانسي مليئتين بالعداء والحقد تجاه چاجوا، وفي تلك اللحظة أدركتْ چاجوا أن المصائب والأحزان ليست سوى أشياء خاصة بصاحبها ويمكن للأصدقاء فقط أن يشاركوا في طقوسها، كما أدركتْ - بعد مزيد من التدقيق في عيني نانسي- أنها العدو والخصم الأول لها.

سارعتْ نانسي بالانقضاض على چاجوا والإمساك بقدميها وقالت لها: لماذا جئت إلى هنا؟ فلتغادري المنزل حالاً.

- لا يا نانسي، أتوسل إليك أن تتماسكي فنحن جميعاً نشعر بالأسى والحزن لوفاة زوجك، وأرجوك أن تتركيني كي أشاركك البكاء، لقد قمت بعمل الكثير من أجل فريدي كما تعرفين وقد أحبني بطريقته الخاصة رغم أنه لم يتزوج إلا منك.

- أنت تحبينه وأنت السبب وراء قتله، أنت وعشيقك العم تايو تستطيعان الآن الفوز بمقعد أوبانلا، فلترحلي إذن وعلي الفور ودعيني مع أحزاني الخاصة ومع أطفالي، ارحلي فوراً وإن لم تفعلي فسوف أستدعي الشرطة.

بدأتْ چاجوا بالتذمر والاحتجاج، لكن إحساسها بالتجاهل وعدم الرغبة في وجودها لم يفارقها فقالتْ: حسناً يا نانسي، سوف أرحل الآن ولكن انظري إلى كل أولئك الناس الذين يحبون فريدي، هل تعرفينهم جميعاً؟ أم إنك ستجبرين من لا تعرفينهم على الرحيل؟ لقد كان زوجك فريدي رجلاً معروفاً ومحبوباً من الناس ولتعلمي بأنه لو كان ما يزال حياً لما فكر بطردي من بيته.

ألقتْ نانسي بجسدها فوق المقعد بتثاقل في اللحظة نفسها التي همَت فيها چاجوا بالخروج، سمعتْ چاجوا - وهي تمضي نحو الباب- بعض الناس من كبار السن يقترحون ضرورة الإسراع بدفن فريدي لأنهم ضربوه بوحشية وكان موته مختلفاً.

لم تستطع چاجوا أن ترحل وقالتْ لنفسها: لقد جرت العادة على أن تظل الجثة يومين أو ثلاثة قبل الدفن فلماذا يقترحون دفن فريدي بسرعة؟

في اليوم التالي مباشرة كان النعش المحاط بأكاليل الزهور جاهزاً خارج الكنيسة وكان المحامون يرتدون السواد ويقفون بالقرب من النعش كما حضرت نساء الحزب الأول وهن يرتدين زياً موحداً، غطاء رأس أزرق وقمصان شفافة من النايلون وعباءات زرقاء وقد تجمعن بشكل لافت للنظر، وكان تلاميذ فريدي السابقون من بين الحاضرين وكان شكلهم جميلاً وهم يرفعون العلم ويرتدون ملابس بيضاء ويحملون أكاليل الزهور.

كانت چاجوا تستمع من داخل الكنيسة إلى القس وهو يقول: كان فريدي مدرساً متميزاً ولقد عانى كثيراً في إنجلترا من أجل تحقيق طموحاته لكنه - دون أن يدري - سلك طريقاً شائكاً واختار نهايته بنفسه حين التحق بالحزب السياسي، كان فريدي يحب شعبه حباً كبيراً فاعتقد بأنه قادر على تمثيلهم،

لقد جاءتْ أرملته الحزينة من سيراليون إلى نيجيريا وأصبحتْ نيجيرية وقامتْ معه بتقديم خدمات أهلية إلى الناس في الوقت الذي افتقدتْ فيه نيجيريا لأمثالهما.

اختتم القس كلامه بالقول: فليباركها الله وليبارك أطفالها.

كانوا يفتحون كتب التراتيل من حولها وبدؤوا بالتلاوة غير أن چاجوا لم تكن تحمل كتاباً فراحتْ تشاركهم قراءة التراتيل من فوق كتف إحدى السيدات، وكانت الأنغام الحزينة تنطلق من آلة الأرغن الموسيقية، وما إن اقتربت الأنغام من نهايتها حتى بدأ أحدهم يعظ الناس بلغة اليوروبا وقد اتسم صوته بمسحة دينية زائفة.

كان جمهور الحاضرين يردد بعد كل كلمة يقولها : آمين.

انضمتْ چاجوا لهم وظلت تردد أيضاً بعدهم بثانية واحدة: آمين، آمين.

اختلستِ النظر إلى نانسي فأبصرتْ عينيها الملطختين بالدموع وثمة رجل كان يجلس إلى جوار چاجوا وهو يبكي بشدة.

قال القس: دعونا نصلي.

انتابتْ چاجوا انطباعات مضطربة من تلك الأصوات التي كانت تردد كلمة آمين من الأعماق ومن آلة الأرغن وهي تعزف ألحاناً خفيفة ما لبثت أن تحولتْ إلى ألحان أكثر عذوبة عندما بدأ الكفن بالخروج محمولاً فوق الأكتاف، خرجتْ نانسي مندفعة من وسط الزحام فجأة وراحتْ تجري خلف الكفن وتقول: تعال يا فريدي للبقاء معي ومع الأطفال.

أمسكوا بها وأوقفوها عن اللحاق بالكفن ولم تستطع چاجوا التوقف عن البكاء.

خرج الناس على طول الطريق وملؤوا الأرصفة لمشاهدة جنازة الرجل الشهير والمشاركة في التراتيل، وكان عدد من الرجال يحيط بنانسي ويراقبونها بعيون حادة ويقظة، وبعد مرورهم فوق الجسر الأخير أصبحوا في مواجهة المقبرة، كان رجال الزوارق يجلسون بهدوء وعندما شاهدوا ذلك الحشد الكبير المشارك في الجنازة انحنوا برؤوسهم وخلع بعضهم القبعات.

بدأتْ جوقة المرتلين بالإنشاد: يسوع الرب.

كان كل الناس حول چاجوا يتحدثون بأصوات خفيضة فاختلطتْ بعض أحاديثهم بالتراتيل لكنها استطاعتْ أن تسمع بعض الأحاديث الأخرى.

- ستراهم الآن وهم ذاهبون للإدلاء بأصواتهم في الانتخابات، سيحدث تغيير كبير في عملية التصويت.

* أعتقد أن الحزب الثاني قد ارتكب خطأً فادحاً عندما ضرب فريدي، لقد أصبح عامة الناس ضدهم كما أنهم خسروا أصوات النساء، انظر إلى عدد النساء في

الجنازة...

كانت فرقة الإنشاد ما زالت تردد: يسوع الرب، يسوع الرب.

نظرتْ چاجوا حواليها فأدركتْ حقيقة ما سمعته، كان عدد النساء يفوق عدد الرجال عشر مرات تقريباً، وكان معظمهن من نساء السوق اللاتي تحدثتْ معهن منذ أيام قليلة.

- فلتنعم روحه بالسلام.

- كان فريدي رجلاً رائعاً.

- وها نحن ندفنه بطريقة مسيحية لائقة رغم أنه مات بأيادي الشيطان.

سمعتْ چاجوا كل ذلك فانتابها شعور كبير بالفخر بينما كان الكفن يمضي في طريقه تحت أشجار المانجو متوجهاً نحو مثواه الأخير.

# (٢٢)

خرج العم تايو مبكراً في يوم الاقتراع ثم تبعته چاجوا، وبدا أن موت فريدي لم يؤثر في حركة الانتخابات ولم يغير شيئاً من الحقيقة. لم تكن الانتخابات سوى حرب مباشرة بين الحزبين، وفي الدوائر الانتخابية الستين لم تكرس چاجوا مجهوداتها إلا في دائرة أوبانلا التي يمثل فيها العم تايو قائمة الحزب الثاني في مواجهة مرشح جديد تم اختياره بديلاً عن فريدي نام ولا أحد يعرفه.

خافتْ چاجوا من احتجاج النساء أو قيامهن بالتظاهرات تعبيراً عن رفضهن للطريقة التي مات بها فريدي خارج تروبيكانا، خاصة وأنها تعرف بأن نساء نيجيريا لا يستمعن إلى الوعود الانتخابية، وأن أفكارهن غالباً ما تكون محددة تجاه موقف ما لا يتغير إلا في حال حدوث شيء ما، كما أنها تعرف أنهن لا يدلين بأصواتهن إلى أشخاص بعينهم وإنما إلى رموز الحزب، وهكذا فإن موت فريدي لن يؤثر في مجموع الأصوات التي سيحصل عليها الحزب الأول .

استعادتْ چاجوا وجه نانسي أثناء الجنازة وتذكرتْ ما قالته للناس بأنهم يستطيعون الآن الفوز بمقعد أوبانلا فشعرتْ بمزيد من الخوف، وبدا أن لعنة ما ستصيب ذلك المقعد، وإذا ما لحقت بهم الخسارة فإنهم سيشعرون بالخزي والعار.

في الصباح الباكر استقلَتْ چاجوا السيارة مع العم تايو وراحا يتجولان حول المدينة لمشاهدة النساء اللاتي تجمعن حول صناديق الاقتراع، اقتربت الساعة من الثامنة ولم يحضر المسؤولون عن عملية الاقتراع، وكانت النساء تراجع أرقامهن في وثيقة التسجيل بوجوه عابسة على بعد مسافة قصيرة من صندوق الاقتراع، وفور حضور المسؤولين دخلت النساء واحدة تلو الأخرى وغمسن أصابعهن في الحبر ثم اختفين في حجرة الاقتراع.

عندما خرجت النساء لم تستطع چاجوا أن تعرف إذا ما كانت أصواتهن قد ذهبت لصالح الحزب الأول الذي يمثله فريدي نام أم لصالح الحزب الثاني الذي يمثله العم تايو، لكنها رأتْ أن كثيراً من النساء اللاتي جئن إلى هذه اللجنة الخاصة هن من نساء السوق اللاتي توجهتْ إليهن بخطابها في ذلك المساء، اختلستْ چاجوا نظرة خاطفة إلى العم تايو فأبصرتْ وجهاً مشدوداً يوحي بالعداء لأن الانتخابات بالنسبة له أمر هامٍ يتعلق بأشياء كثيرة، ولأنه

إذا ربح سيصبح عضواً بالمجلس وسيكون قادراً على استخدام نفوذه كما فعل الأعضاء السابقون ، كما أن وضعه في المدينة سيكون أكثر شأناً وبالتالي فإن چاجوا أيضاً ستكون أول المستفيدين من نجاحه وستصبح هي صديقة العضو وربة بيته، وقد يستخدم سلطته ويؤسس لها مشروعاً تجارياً كبيراً وتهجر بذلك طريقتها الحالية في الحياة وتعيش مخلصة له وحده.

كانتْ چاجوا تراقبهم بهدوء وهم يتفحصون الأسماء في دائرة أوبانلا الانتخابية، وعرفتْ أنهم اختاروا المسؤول عن هذه الدائرة بعناية كبيرة لأن الانتخابات في أوبانلا غالباً ما تكون أكثر سخونة من أي دائرة أخرى، كان المسؤول رجلاً أبيض يعمل في هيئة إعلامية مشهود لها بالحياد، ابتسم الرجل ونظر حواليه بطريقة لطيفة إلى ممثلي الأحزاب السياسية، وفي تلك الأثناء شاهدتْ چاجوا العم تايو وهو يتحرك بعصبية ولم يستطع أن يحتفظ بهدوئه أكثر من ثوان معدودة، كان العم تايو شبيهاً بالحارس الخائف من لصوص المنازل، وكان ينتفض لأقل شيء مثير يحدث حوله، وفجأة صاح بأعلى صوته وهو يشير إلى أحد الناخبين وقال: أنا أعترض.

تحرَك الناس بنشاط بالغ وراحوا يهمهمون بكلمات غير مفهومة ثم سمحوا للناخب بالإدلاء بصوته.

قال العم تايو بأنه شاهد ذلك الرجل وهو يدلي بصوته مرتين، لكن الرجل قال شارحاً: لقد عدت للتصويت نيابة عن صديقي المريض والقانون يسمح بذلك وهكذا سمح لي الموظف بالتصويت.

شاهدتْ چاجوا الرجل وهو يخرج من حجرة الاقتراع فعرفتْ أنه الشخص نفسه الذي أدلي بصوته مرات عديدة وكان في كل مرة يغمس أحد أصابعه في الحبر الذي يصعب إزالته ثم يعود بعد لحظات قليلة ويضع إصبعاً آخر في الحبر ويدلي بصوت جديد حتى وصل به الأمر إلى استخدام كل أصابعه، لقد أدلي بصوته وصوت تسعة أصدقاء وسمعتْ چاجوا العم تايو وهو يلعنه بصوت هامس.

أحضرتْ چاجوا معها بعض الشطائر ودورقين مملوئين بالقهوة، وكانتْ تتجول في المكان وتوزع الشطائر والقهوة على جمهور الناخبين، غير أن العم تايو لم يستطع أن يأكل أو يشرب أي شيء. وعند الظهيرة أصبح الإقبال على التصويت ضعيفاً وتناقص عدد الناخبين، ولكن الرجال بدؤوا بالعودة مع اقتراب المساء وراحوا يتوافدون بكثرة على صندوق الاقتراع حتى اقترب

موعد غروب الشمس حيث دخل الموظف المسؤول وأغلق الصناديق أمامهم ثم قام بختمها بالشمع.

مضى الموظف نحو صالة فرز الأصوات ثم تبعته چاجوا بصحبة العم تايو وبقية الناس حيث كانت كل صناديق الانتخاب المختومة مرصوصة إلى جوار بعضها البعض، كان العم تايو يتحرك في المكان بقلق وهو يمسح وجهه من العرق، فأشفقتْ چاجوا عليه وشعرتْ تجاهه بالأسى وأدركتْ بأنه لن يسمح لها بتبادل الحديث معه خاصة وأنه كان يتحدث بغضب إلى كل من يقترب منه، وعندئذ عرفتْ چاجوا أهمية الانتخابات بالنسبة له وراحتْ تتساءل بينها وبين نفسها قائلة: ماذا لو ظهرت روح فريدي نام فجأة في صالة فرز الأصوات، روحه البعيدة القوية والتي ستضاعف من الأصوات لصالح الحزب الأول، إن العم تايو عندئذ لن يخسر الانتخابات فقط وإنما سيخسر كل ما قدمه للناس من أموال، ثم ماذا لو ظهر كل أولئك الناس داخل صالة فرز الأصوات الآن ثم ضحكوا وقالوا: أيها العم تايو، لقد قمنا بتبديد كل أموالك لكننا لن نصوت لصالحك لأنك لا تستطيع شراء أصواتنا التي هي ملك لنا وسر من أسرارنا التي لا نبوح لأحد بها، إن أصواتنا هي القوة العظمى التي منحتها الديمقراطية للفقراء من أمثالنا! نحن نستطيع استخدام أصواتنا لقطع رقبتك.

قالت چاجوا لنفسها: يا لها من خيالات حمقاء ولكن تلك الأفكار هي التي تسيطر على رأس العم تايو الآن على ما أعتقد.

كانوا يقومون بفك أختام الصناديق للبدء بعملية إحصاء الأصوات، ثم شاهدتهم چاجوا وهم يجمعون كل خمسين ورقة من أوراق التصويت في حزمة واحدة، وقبل الانتهاء من ربط الحزمة الأخيرة وضع العم تايو يده فوق كتفها فقالت له: دعنا نذهب

- ألن تنتظري حتى ينتهوا من عملية فرز الأصوات؟ أم إنك تريدين سماع النتيجة في الراديو؟ أنا أريد مشاهدتهم أثناء عملية الفرز.

كان صوته الخشن ينم عن قدر من الغلظة والألم حين استطرد قائلاً: هيا بنا.

مضتْ چاجوا خلفه عبر الشوارع المزدحمة بدوريات رجال الشرطة ذوي القمصان الرمادية والبنطلونات القصيرة البيضاء حيث كانوا يلوحون بأذرعهم لتحويل السير بعيداً عن مكان فرز الأصوات، كان بعضهم يمسك بالهراوات والدروع الواقية ويرتدون خوذات من الصلب.

سمعتهم چاجوا وهم يرددون بهدوء اسم العم تايو الذي راح بدوره يشير لهم بيديه ثم طلب منهم التزام الصمت، لكنه لم يستطع إخفاء قلقه وهو يعبث بسلسلة المفاتيح.

قررت چاجوا أن تبوح للعم تايو بالسؤال الذي لم يبرح ذاكرتها ولم يزل يسبّب لها كثيراً من القلق فقالت: أيها العم تايو، أريد أن أسألك عن شيء ما.

- تفضلي.

- من الذي قتل فريدي نام؟

سقطت المفاتيح من يده لكنه سارع بالتقاطها وانتابته لحظة سريعة من التوتر لم يستطع خلالها العثور على مفتاح السيارة من بين بقية المفاتيح، ثم قال: ولماذا تسألينني؟ إنهم أولئك المتوحشون الذين لا يتوقفون عن محاربة الخصم.

- ولماذا يحاربون الخصم؟

ضحك وقال: إنها التعليمات، إن المتطرفين من كلا الحزبين لا يتوقفون عن قتال بعضهم البعض، والشخصيات البارزة في أي من الحزبين تدفع لأولئك المتطرفين جنيهاً في اليوم الواحد للاحتكاك بالخصم ومحاربته، وفي حالة النيل من مرشح هام فإنهم يدفعون لهم المزيد.

ضحك مرة أخرى وأضاف: أما زلت تفكرين في فريدي؟ لقد أخبرته أن الرجال من ذوي السلوك الحسن والذين يتمتعون بالشهامة والنبل لا يجب أن ينخرطوا في لعبة السياسة

عثر أخيراً على مفتاح السيارة ثم فتح لها الباب، جلستْ چاجوا فوق مقعدها وقالتْ: وإذن فأنت معرض للخطر أثناء سيرك بالسيارة الآن؟ إن المتطرفين من الحزب الأول يتطلعون للنيل منك على ما أعتقد.

- تماماً، لكنني لست ساذجاً إلى هذا الحد كما تعرفين.
سحب سيفاً من تحت مقعد السيارة وقال: هل ترين هذا السيف، إن شفرته حادة جداً ومن الممكن أن تقطعي بها أذن أي شخص دون أن يشعر بأي ألم وكأنه واقع تحت تأثير المخدر.

قالتْ چاجوا وهو يدير محرك السيارة: أتوسل إليك أن تساعدني في الاختفاء ولا تدع رجال الشرطة يشاهدونني.

انطلق بالسيارة وحين نظرتْ چاجوا إلى وجهه عرفتِ الحقيقة، لم يكن راغباً في البقاء بصالة فرز الأصوات لأنه خسر المعركة ولذلك أصبح وجهه شاحباً وبدا عليه الرعب، كل تلك النقود، كل تلك الوعود وكل ذلك المجهود والنشاط الوافر الذي قام به من أجل حملته الانتخابية ودفع جنيه واحد لكل المتشردين وقاطعي الطرق الذين أستأجرهم، ثم تجواله بالسيارة في كل الطرقات وكل الأماكن والتحدث إلى الناس عبر مكبر الصوت العالي والتوجه إليهم بخطبه الرنانة، كل ذلك راح هباءً غير أن خوف العم تايو الشديد من العقاب كان هو أكثر الأمور التي تؤرقه، إن حزبه لا يتحمل نتيجة الفشل وإنما هو الوحيد الذي يتحمل المسؤولية كاملة بصفته الأمين العام للحزب.

ساورتْ چاجوا الشكوك في عملية تكليف الأشقياء بقتل فريدي، وشعرتْ أن موته لا بد وأن يفعل شيئاً في الشارع ثم همستْ لنفسها قائلة: إن الموت كان هو نتيجة مهاجمة فريدي والقضية الآن في المحكمة وعلي الحزب الثاني أن يجيب على كل الأسئلة، لقد كان فريدي محامياً وسوف تقف هيئة المحكمة إلى جانبه بكل ما تملك من ذكاء.

أسندتْ چاجوا رأسها فوق زجاج نافذة السيارة ولم تكن تعرف أو تشعر بشيء سوى خسارتها الكبيرة بفقدان فريدي.

كان العم تايو يتمتم ببعض الكلمات ويتوعد ويلعن أثناء قيادته للسيارة، سمعته چاجوا وبدا لها كالدرويش الذي يتجول في المدينة بلا هدف، ولم تتأثر بكلماته غير أنها كانت متأكدة تماماً بأن الصدمة قد أفقدته توازنه العقلي.

توقف عند مفترق الطريق بين شارع سكاي لارك العريض وشارع أودوبا حيث هبطت چاجوا من السيارة وراح يلوح لها دون التوقف عن التمتمة وصب اللعنات بطريقة غاضبة.

مضتْ چاجوا في سيرها لكنها سمعتْ بعد لحظة قصيرة نفير بوق السيارة المتكرر وهو يدوي من خلفها، كان العم تايو ينادي عليها ويرفع حقيبة في يده ويقول: چاجوا، احتفظي لي بهذه الحقيبة في البيت إلى أن أعود ولا تدعي أحداً يطلع على محتوياتها أو يأخذها منك حتى لو أخبرك أحدهم أنه رئيس الحزب الثاني، هل تسمعينني؟

كانت الحقيبة مليئة بالمستندات وأوراق الحزب، فقالتْ له چاجوا متسائلة: أليس ذلك أمراً خطيراً؟ أنا لا أريد الاحتفاظ بشيء يكون سبباً في اقتحام الشرطة لبيتي وتفتيشه.

- لا، ليس الأمر خطيراً كما تتصورين.

- ومتي ستأتي؟

- لا أعرف، يجب أن أذهب أولاً إلى مركز الحزب الرئيس، احتفظي بالحقيبة حتى أعود لزيارتك.

- لا تتأخر، سأكون بانتظارك .

فكرتْ چاجوا بليالي لاجوس ومحطات البنزين ذات الأضواء المتلألئة التي كانت تخترق عينيها والفتيات بملابسهن الحمراء المثيرة والبنطلونات الفضية الضيقة وهن يحاولن إغراء أصحاب السيارات، فحسمتْ أمرها بعدم لقاء العم تايو مرة أخرى لكنها لم تستطع أبداً أن تعرف مدى البؤس الذي سيطر عليه .

انطلق العم تايو بسيارته وكاد أن يصطدم بامرأة وطفل كانا يحاولان عبور الشارع ويحاولان اللحاق بالحافلة التي توقفت خصيصاً من أجلهما.

عادتْ چاجوا إلى حجرتها وراحتْ تتفحص الأثاث ومحتويات الحجرة، فأبصرتْ إحدى صور فريدي القديمة حين كان يعمل مدرساً في المدرسة القومية، تناولتِ الصورة من فوق الحائط ووضعتها بسرعة تحت قطعة من الورق، كانت عيناه مليئتين بقدر هائل من الاتهامات التي لا يمكن احتمالها، وظلتْ تنتظر قدوم العم تايو عند منتصف الليل كعادته لكنه لم يأت ولم يبعث برسالة كي يطمئنها، وحدث أن كثيراً من الرجال الغرباء بدؤوا بطرق بابها منذ تلك الليلة، كانوا يسألون عن العم تايو، وقف أحدهم بكبرياء أمام الباب وهو يحمل حقيبة زرقاء في يده وسأل السؤال نفسه.

أجابتْ چاجوا: لقد رحل من هنا وها هو العنوان الذي تعيش فيه زوجاته.

سحب الرجل ورقة من الحقيبة وراجع العنوان ثم وقف حائراً وقال: لقد كنت هناك لكن زوجاته أخبرنني بضرورة المجيء إلى هنا لرؤيته .

كانت چاجوا ترتدي قميصها الوحيد المطرز ذا الثنيات المتدلية فوق ثدييها وكان شعرها مفتولاً، أغلقتِ الباب بهدوء ومضتْ نحو السرير، وما هي إلا لحظات قليلة حتى حضر رجلان آخران وقالا دون مقدمات: لقد اقترض نقوداً منا.

- هو لا يعيش هنا، اذهبا إلى بيته.

- كنا هناك وأخبرتنا إحدى زوجاته بأنه موجود هنا.

وقف الرجلان أمام الباب بتحدٍّ وراحا يتمتمان بكلمات غير مفهومة بغضب ويتوعدان بإحضار الشرطة لتفتيش البيت ثم غلقه وعرض مقتنيات چاجوا للبيع.

في المساء بدا أن تهديدهما ليس مجرد مزحة حيث جاء رجلان وراحا يفتشان البيت ويطرحان الأسئلة، ثم رحلا دون أن يذكرا شيئاً عن الديون، شعرتْ چاجوا بالقلق وتساءلتْ بينها وبين نفسها عن المكان الذي يختبئ فيه العم تايو، وظلتْ تدخن السجائر بلا انقطاع وتشرب ما تبقى من زجاجة الويسكي التي يحتفظ بها العم تايو لنفسه.

دخلتْ روزا إلى الحجرة دون أن تطرق الباب، غير أن چاجوا لم تشعر بوجودها لفترة طويلة، كانت روزا قد رحلت ذات مساء مع شاب مفعم بالحيوية والتوهج كان يرتدي سترة فضفاضة وقالت إنها ستعود في الليلة نفسها لكنها لم تعد رغم أنها لم تأخذ أغراضها معها مما جعل چاجوا تفكر بأنها وجدت الشخص المناسب لمشاركتها عش الزوجية.

قالت روزا: لقد جئت لأحذرك يا چاجوا، لقد استولى أفراد الحزب الأول على بيت العم تايو وأغلقوا كل الطرقات المؤدية إليه، ستواجهين المتاعب يا چاجوا وقد جئت خصيصاً لتحذيرك قبل فوات الأوان لأنهم بعد ذلك سيحضرون إلى هنا، دعيني أتناول أغراضي الآن قبل أن يحضروا ويستولوا على كل شيء .

نظرتْ إلى كل أرجاء الحجرة وراحتْ تجمع أغراضها بسرعة وتضعها في الحقيبة.

ألقتْ چاجوا نظرة إعجاب إلى الأريكة التي كانت تستلقي فوقها باسترخاء، ثم ضربت بيدها فوق دولاب الملابس وراحت تقلِب فراش السرير وبدا أنها تعاني من ورطة حقيقية، وفقدت قدرتها على التركيز فلم تستطع التفكير في

كيفية نقل أغراضها وأثاث بيتها الذي ابتاعته بالتقسيط ولم تسدد ثمنه كاملاً حتى الآن.

رفعتْ السجادة وأسندتها إلى الحائط ثم تذكرتْ أن ذلك الوقت هو الموعد المعتاد للذهاب إلى تروبيكانا، فسارعتْ بارتداء ملابسها لكنها سمعتْ أصواتاً تتبادل الحديث فوق السلم.

كانت الأصوات الغريبة تتحدث عن چاجوا وكان أحدهم يقول: نعم، لقد أخذ كل أموالنا لتأسيس بيت العاهرة اللعينة.

التقطتْ چاجوا فستانها بسرعة وقالتْ روزا بانفعال: إنهم في طريقهم إلى هنا.

صاح أحدهم في الخادم قائلاً: في أي حجرة تعيش؟

أجاب مايكل: من؟ أنا لا أعرف عمن تتحدث.

تقدمتْ چاجوا للرب بالشكر لما أنعم به من غباء على مايكل بينما كانت روزا تردد: بسرعة، بسرعة، ليس لدينا وقت كاف.

وضعتْ چاجوا كل ما استطاعت داخل حقيبة صغيرة ثم ألقتْ نظرة أخيرة على الحجرة التي عاشت فيها مدة طويلة، كانت ملابسها الحريرية والفساتين المخملية الناعمة معلقة في الدولاب، وبعد أن عبرتِ الباب تذكرت شيئاً ما فاستدارتْ ودخلتِ الحجرة من جديد ومضتْ نحو السرير، سحبتْ من تحت السرير حقيبة العم تايو التي طلب منها في يوم ما أن تضعها في مكان آمن.

كان الوقت مناسباً تماماً للخروج فقالت روزا وهي تشير إلى أحد الاتجاهات: من هنا، تعالي من الطريق الخلفي بسرعة.

أثناء هبوط السلالم سمعتْ چاجوا صوت اصطدام مروع فعرفت أنهم اقتحموا بابها بقوة وحطموه، توقفتْ وضمت قبضتيها وبدأت بالعودة إلى حجرتها وهي تصيح: ها أنذا أعود.

تدفقت الدموع - فجأة - من عينيها وهي تواصل الصياح ثم استطردتْ قائلة: سأعود لمحاربتهم فليس من حقهم اقتحام البيت وتحطيم الباب.

أمسكتْ روزا بيدها لإيقافها وقالت: هل أصابك الجنون؟ سيقتلونك حتماً وبالمجان.

ألقتْ چاجوا بجسدها فوق الأرض وراحتْ تتدحرج وتصرخ بصوت عال قائلة: سأموت، سأموت، إنها النهاية.

هتفتْ روزا بأعلي صوتها حتي سمعها سائق سيارة الأجرة الذي قادهما بعيداً عن موقع الحدث إلى حيث الأمان ثم قالت وهي تلف ذراعها حول چاجوا: لا تبك.

مضتْ چاجوا بصحبة روزا حتى وصلتا إلى ضواحي لاجوس حيث حي الفقراء القذر والمزدحم بالسكان، إنه جزء من المدينة طالما سمعت عنه چاجوا لكنها لم تقم بزيارته من قبل، غيرَالسائق من اتجاه سيره ثلاث مرات حتى مضى بالقرب من قطعة أرض فسيحة وممتدة يستخدمها الرجال ذوو العباءات وأغطية الرأس البيضاء في بيع وشراء الماشية، ثم عبر بهما جسراً خشبياً نزلت بعده كل من چاجوا وروزا وبدأتا بالسير على الأقدام لمدة عشر دقائق وهن يحملن حقائبهن فوق الرؤوس.

كان البيت مطلياً باللون الرمادي والأحمر من الخارج وكانت القاذورات تحيط بالمكان كله، وما إن دخلتا البيت حتى خلعت چاجوا حذاءها وراحت تتحسس قدميها الساخنتين، إنها حجرة روزا التي استأجرتها بجنيهين في الشهر والتي كان من اليسير وهما بداخلها سماع ضجيج وهمهمة الناس في السوق المجاور.

قالت روزا: يمكنك البقاء معي حتى يهدأ كل شيء.

نظرتْ چاجوا إلي كل ما حولها باستياء، كانت الأرضية الإسمنتية العارية مليئة بالغبار والأتربة، وكان فراش السرير الخشبي محشواً بذلك النوع من العشب الذي يجلبه السجناء من حلبات السباق، لقد وقعت روزا - كبقية النساء اللاتي ذهبن إلى لاجوس ومثل چاجوا نفسها- في شرك المدينة ولم يعد بمقدورها التخلص من براثنها وسيطرتها، كانت أقل مستويات المعيشة وأكثرها تفسخاً أفضل بالنسبة لها من الحياة الهادئة في بلدها الأصلي لأنها لم تشعر يوماً بحريتها.

فكرتْ چاجوا وتساءلتْ: كيف يمكنني العيش الآن وماذا عليّ أن أفعل لأتمتع بحياة معقولة ؟ هل ينبغي أن أبقي في أونيتشا مع أخي فونسو وأحاول أن أصبح أميرة للتجار أم من الأفضل أن أتزوج الزعيم أوقوبارا؟

خرجت روزا من الحجرة ومضت نحو واجهة البيت الخلفية بينما جلست چاجوا وراحت تتساءل من جديد: كنت متزوجة قبل رحيلي إلى لاجوس وها أنذا أفكر في زوجي الآن وتجتاحني كل صور حياتي السابقة.

عادت روزا وقالت لچاجوا: هل تحبين الطعام بالبطاطس المهروسة أم بالأرز مع لحم الخنزير؟

أضافت روزا بفخر: لدينا كثير من الخنازير هنا.

أجابت چاجوا بذهول: آه، آه، نعم.

قالت روزا في محاولة للتخفيف عن چاجوا وهي تحاول خلق أعذار واهية لجيرانها الفاسدين: إنه مكان جميل ولا يستطيع أحد أن يضايقك، لقد اعتاد حبيبي المجيء إلى هنا لقضاء بعض الوقت لكنه عاد الآن للالتحاق بالكلية وسوف ينتهي من دراسته هذا العام، هذا المكان لا يشبه لاجوس فلا أحد هنا يتدخل في شؤون الآخر وكما ترين فأنا أذهب وأعود كما أشاء.

عادت بسرعة إلى المطبخ واستطاعتْ چاجوا رؤيتها وهي تضع الإناء فوق موقد النار الخشبي، كان الموقد مستنداً إلى ثلاثة قوالب من الطوب وراحتْ روزا تميل بردفيها الكبيرين وتسحب جلبابها لتضعه بين ركبتيها ثم بدأت في تقليب النار، لقد أصبح كتفها أكبر وأكثر نعومة مما كان عليه قبل أن تغادر چاجوا وتأتي إلى هذا المكان مما جعل چاجوا تتمني أن تنعم بالسعادة وراحة البال مثل روزا التي لم تزل شابة يافعة.

قالتْ چاجوا وهي تتمتم بينها وبين نفسها: لقد كان حظي سيئاً طوال حياتي.

ثم بدأت تفكر في حياتها حين كانت تعيش في نيجيريا الشرقية قبل رحيلها إلى غانا بوقت كبير وقبل مجرد التفكير في الذهاب إلى لاجوس للإقامة الدائمة وقبل مقابلة المرحوم فريدي نام، لقد كانت وقتها في أوائل الثلاثينيات من عمرها ولم تكن ثمة امرأة في طول البلاد وعرضها تستطيع منافسة فتنتها وأنوثتها.

كانت مجرد فتاة وكان أبوها المتدين متيماً بها وأراد لها أن تتزوج من أحد رجال القرية الأتقياء، يا له من أب مسكين كان يعمل وقتها في شرح تعاليم الدين وتلقينه قبل أن يجتهد ويصبح قسيساً، وكان الزوج الذي وافق عليه

يعمل في مدينة الفحم حيث جاء من أوجابو في إجازة وعندما شاهدها طلب أن يتزوجها.

كانت چاجوا في تلك الأيام المبكرة مغرمة بتغيير ملابسها كثيراً، وكانت تجيد عمل الماكياج فوق وجهها وشفتيها المتوحشتين، ولم تكن تتوانى عن الذهاب إلى الشاطئ وخلع ملابسها والسباحة في المياه الباردة النظيفة حيث اعتاد الأولاد الاختباء لاختلاس النظر إلى ثدييها النافرين وردفيها الملساوين، كانت چاجوا تشعر بهم وتتعمد إثارة رغباتهم المكبوتة.

كانت كل الفتيات في مثل عمرها قد تزوجن وأنجبن أطفالاً لكنها كانت تقاوم حتى النهاية وتأمل دائماً بقدوم رجل ذي شأن إلى أوجابو ليكون هو زوجها المرتقب، وكان ارتداؤها للجينز وقيادة دراجتها في أزقة أوجابو الضيقة والتحدث بصوت عال والضحك من الأعماق هو ما جذب إليها الرجال وجعلهم يرغبون فيها، لكنها كانت ترى بأن أولئك الرجال من أهل أوجابو ليسوا جديرين بها نظراً لقلة خبرتهم.

تقدم رجل مدينة الفحم للزواج منها ودفع مهراً للعروس قيمته مائة وعشرين جنيهاً، وبعد أن اتفقا على كل شيء ذهب أهل العروسين إلى الكنيسة حيث تقدم والدها لمباركتها ويعلم الله وحده أنها كانت ترغب بالاستقرار وتحلم أن تكون زوجة صالحة، لكنها كانت شخصية ضجرة، إنها امرأة غير عادية ولا تشبه بقية النساء كما أن الرجل كان تقليدياً ولا يعرف شيئاً عن شخصيتها، وكانت اهتماماته الرئيسية وكل طموحاته تنحصر فقط في محطة البنزين وكاراج السيارات .

كان يستيقظ مبكراً ويذهب لمباشرة حركة بيع الوقود وتسجيل الصادر والوارد في دفاتره العتيقة، وحين كانت تذهب چاجوا إليه في المحطة كانت تجده نائماً فوق الطاولة الفارغة لكنه استطاع - في فترة وجيزة- أن يمتلك سلسلة من محطات البنزين في كل أرجاء المدينة وأصبح بمقدوره شراء سيارة صغيرة غير أنه لم يصطحبها في أي يوم من الأيام لحضور حفلة من الحفلات، ولم يحاول أن يتأنق في ملبسه خشية أن تتبدد النقود، وهكذا لم تجد چاجوا فيه ما يشدها إليه، كان عليها أن تطيع والديها وتمتثل لرغباتهما لكنهما لا يعيشان معها الآن ولا يشعران بمدى البؤس الذي تعاني منه كما أنهما لن يقدرا على فهم رغباتها وأحلامها، إن ظمأ المغامرة الشديد يجري في عروقها ولم تستطع التكيف مع حياتها الرتيبة حتى إنها تعجبتْ وتساءلتْ كثيراً بينها وبين نفسها قائلة: كيف استطعتْ البقاء معه ثلاث سنوات كاملة؟

لم تنجب منه أطفالاً وذلك ما أصابها بالحزن أكثر من كل شيء. وكانت أمها وأخواتها من البنات والأولاد وأبوها دائماً ما يأتون إليها ويضايقونها بالحديث عن موضوع الحمل، حتى إنهم أخبروه في يوم ما أن يتزوج من فتاة أصغر منها في السن طالما أن چاجوا لا تستطيع الإنجاب، لكنه في البداية لم يستجب لهم ثم رأى بعد ذلك أنها فكرة جيدة عرفتْ چاجوا بعدها أنه بدأ يتردد على مدينته الأصلية لرؤية بعض الفتيات، وسمعتْ أيضاً أنهم كانوا يعرضون عليه الفتيات في محطة البنزين لاختيار واحدة من بينهن لتصبح زوجة له بعد أن وجهوا اللوم لچاجوا لعدم قدرتها على الإنجاب واتهموها بالعقم رغم عدم معرفتهم بحقيقة الأمر الذي كان سراً بينها وبين زوجها.

ارتدتْ ملابسها ذات يوم بعد أن خرج للذهاب إلى محطة البنزين وراحتْ تسير في الشوارع، وعند اقترابها من محطة السكك الحديدية لم تتردد في الدخول بسرعة للسؤال عن موعد الرحلات، وحين قال لها الشاب المسؤول بابتسامته العريضة إن القطار القادم سيتجه إلى لاجوس توقفتْ أمام كلمة لاجوس التي ظلت تتردد في أذنيها كالسحر، لقد سمعتْ عن لاجوس وفتيات لاجوس الجميلات اللاتي يعملن في المكاتب مثل الرجال ويرقصن ويدخن السجائر ويرتدين الأحذية ذات الكعوب العالية والفساتين الفضفاضة الضيقة ويمارسن حياتهن بحرية، كما سمعتْ عن أن الناس في لاجوس لا ينامون في الثامنة مساءً وأن باستطاعة أي شخص أن يتجول في الشوارع طوال الليل وحتى طلوع الصباح، وأن النوادي الليلية لا تغلق أبوابها أبداً على خلاف ما يحدث هنا حيث تغلق كل الأماكن أبوابها عند الثامنة مساءً وتصبح الشوارع خالية ومهجورة ويعتبر التجول فيها أمراً غريباً وشاذاً .

عندما ابتعدتْ چاجوا عن شباك حجز التذاكر شعرتْ فجأة بصعوبة الأمر، كانت فكرة الرحيل تنطوي على عمل شرير، وبدأت منذ تلك اللحظة فصاعداً تنظر إلى زوجها بطريقة غير منحازة، فلقد كان بالنسبة لها رجلاً طيباً لكنه يتسم بالفتور ولا يعرف شيئاً عن بهجة الحياة كما أنه لم يستطع أن يدرك بأنها لا تحبه وأن طريقته في الحياة لا تستهويها، لقد منحته جسدها الذي لم تمنحه لأولئك الشباب من ذوي ربطات العنق والملابس الفاخرة.

كانت تطهو له الطعام وتشتاق في الوقت نفسه لارتياد المطاعم الجميلة الهادئة حيث الملابس المخملية والموسيقى الخفيفة العذبة، وحيث أكواب النبيذ وهمسات الرجال إلى الفتيات والتي يعقبها ضحكاتهن الهستيرية رغم شدة البؤس الذي يعانين منه، توقفتْ چاجوا عن تناول العلاج الذي أوصي به الطبيب من أجل الحمل، وحين اكتشف زوجها ذلك تشاجرا لكنها كانت سعيدة بتلك المشاجرة التي لم يتبادلا بعدها الحديث سوياً طوال يومين

كاملين، وفي اليوم الثالث وفور خروجه للذهاب إلى محطة البنزين لحقت بالقطار وشعرتْ بملل شديد من طول الرحلة التي استغرقت ثلاثة أيام للوصول إلى لاجوس.

لم تكن تعرف أحداً ولا تدري شيئاً عن المدينة، ففرحتْ كثيراً بالتعرف على قائد لأحد الفرق الموسيقية استطاع أن يوفر لها مكاناً مؤقتاً للإقامة، كان أصدقاؤه يلقبونه بذي الشفاة الغليظة بسبب طريقته في العزف على البوق وبسبب تلك الندبات والتشققات فوق شفتيه، لم يكن الرجل غنياً لكنه كان يتمتع بأسلوب خاص في كل شيء وعندما قدمها إلى الفتيات اللاتي جئن لرؤيته عرف أن أفكارها قديمة وأنها قروية ساذجة وعرفتْ هي أنه يريد الاحتفاظ بها لسبب ما لا يتعلق بجمالها.

وقفتْ چاجوا في ميدان تينوبو فشاهدتْ منتجات لاجوس الجميلة التي يرتديها الشباب المبتهج فرغبتْ أن تكون مثلهم، ثم تذكرت ذلك الصباح حين كانت تسير في الشارع وهي تتنقل من محل إلى آخر حيث كان الرجال يتعقبونها ويغازلونها وكان ذلك شيئاً جديداً بالنسبة لها وتساءلتْ بينها وبين نفسها في ذلك الوقت: لماذا يفعل الرجال ذلك في لاجوس؟

اجتازتْ زاوية الشارع وما إن دخلت شارع ويليام حتى سارع رجلان من الشباب وقدما لها التحية وقالا: نحن نعيش في إيكوي ونعمل عند رجل إنجليزي أبيض جاء من إنجلترا بعد أن ترك زوجته من أجل الإقامة في بلدنا، وهو الآن يتوق لمعرفة سيدة جميلة يستطيع أن يأنس لها.

نظرالرجلان إليها نظرة استحسان ورأوا أنها مناسبة تماماً، كانت ترتدي حلقات معدنية في أذنيها وقميصاً مطرزاً بالنقوش وتنورة أنيقة وتضع البودرة فوق خديها وأحمر الشفاه فوق شفتيها الساحرتين وتتمتع بكتفين مرنين وناعمين وكانت أصابع قدميها تظهر من حذائها ذي الكعب العالي، وحين شاهدها الرجلان وهي تمشي أثارتْ إعجابهما وراحا يصفران بأفواههما وقال أحدهم: سوف يعاملك معاملة حسنة، إنه رجل طيب جداً.

لاحظتْ چاجوا أنهما يرتديان قميصاً أبيض وبنطلوناً أبيض وأن ملابسهما نظيفة وفاخرة فعرفت أنهما يعملان كخادمين عند موظف كبير وراحتْ تفكر في الأمر وهمستْ لنفسها قائلة: ليتني أستطيع الإفلات من قائد الفرقة الموسيقية ذي الشفاه الغليظة وأعيش مع ذلك الرجل في حجرة خاصة بي وعندئذ سيكون بمقدوري ارتياد المحلات الكبيرة وشراء كثيرمن الأشياء الجميلة لأصبح أكثر جاذبية وفتنة.

سألت الرجلين: متي يريدني؟

أجاب أحدهما: من الأفضل أن يكون ذلك بالليل ومن الأجدر أن تخبريني عن مكان إقامتك فمن الممكن أن...

قاطعته چاجوا وقالت: لا، لا، أنا أعيش مع رجل ما لكنني أستطيع مقابلتك في أي مكان.

وسألتْ نفسها: هل يريدني الرجل الأبيض حقيقة؟ أم إن الأمر كله مجرد مزحة أو خديعة بشكل أو بآخر؟ إنني على أية حال جريئة كما إنني أحب المغامرة وإذا حدث مكروه فإنني على الأقل ما زلت قادرة على العودة إلى ميدان تينوبو.

ذهب الرجلان معها إلى موقف السيارات وانطلق ثلاثتهم إلى إيكوي، وعندما هبطتْ چاجوا من سيارة الأجرة ودخلتْ بيت الرجل الأبيض نظرتْ حواليها بأنفاس لاهثة واكتسى وجهها بعلامات الدهشة والانبهار، فهي لم تحلم طوال حياتها أبداً أن تجد نفسها وسط ذلك الجو المبهر، السجاجيد الناعمة الوثيرة والمقاعد المبطنة التي لم تشاهد مثلها إلا في الأفلام، وبعد أن جلستْ قدم لها الخادمان شراباً فتناولت الكوب من الصينية بأصابعها المرتعشة وراحتْ تشرب من السائل الأحمر فشعرتْ برأسها يدور ثم أشعلتْ سيجارة بينما كان الرجل الأبيض ينحني فوق الجرامافون ويضع تسجيلاً لأحد المقطوعات الموسيقية النيجيرية.

قال لها الرجل الأبيض : اسمي جون مارتل وأنا أعيش هنا بمفردي لأن زوجتي في إنجلترا، ولقد جئت للعمل مع شركة معمارية وإذا شعرت بالراحة تجاهك فإنني سأعاملك معاملة حسنة.

بدا أنه شعر تجاهها بالراحة والاطمئنان فأنعم عليها بحجرة خاصة قام بتنظيفها وإصلاحها وتزويدها بالمفروشات اللازمة لتقيم فيها إلى حين عودته إلى إنجلترا وقال لها: حين أعود ستكون معي زوجتي وأطفالي وسوف أكتب لك من هناك.

عاد الرجل إلى إنجلترا لكنه لم يرسل لها أي خطابات ولم تشاهده چاجوا بعد ذلك أبداً.

كانت چاجوا قد سمعتْ عن أكرا وجمال نساء أكرا ومدى ما يتمتعن به من ذوق رفيع في الملبس إلى جانب طريقتهن المثيرة في الحياة، فاستطاعت -

بما حصلتْ عليه من جون - أن تسافر إلى هناك حيث عرفتْ أن نساء أكرا هن حقاً حوريات خليج غينيا السوداوات وأنهن يفكرن كما تفكر نساء باريس وقد عقدت الدهشة لسانها وتعجبتْ كثيراً عندما هبطتْ أرض أكرا.

عادتْ إلى لاجوس محملة بكمية كبيرة من الملابس المطرزة المصقولة بالشمع وراحتْ تبيعها بالتقسيط، وتعلمتِ الاهتمام بمظهرها وأصبحت ترتدي قمصاناً فضفاضة بدون أكمام مع الحرص على إظهار فتحة الصدر والأحذية ذات الكعب العالي، وعرفتْ كيفية الاعتناء بشعرها وارتداء حلقات الأذن التي ينبعث منها أصوات كرنين الجرس أثناء تعمدها السير وهي تؤرجح أردافها فبدتْ أكثر فتنة مما هي عليه ورأتْ أن قيامها بنشر الموضة السائدة في أكرا يعد أمراً مثيراً.

أطلقوا عليها في لاجوس اسم چاجوا، ولا بد أن ذلك الوقت كان من أسعد أوقاتها في المدينة، وكان ذهابها المتكرر إلى أكرا حافلاً بالمخاطرة على الدوام لكنها استطاعتْ أن تتدبر أمورها دون الوقوع في شرك الرجال، لقد أحبها كثير من الرجال في لاجوس وأكرا وكان أحدهم هو صاحب نادي لولو القديم في أكرا الذي جلبتْ من ورائه مالاً وفيراً وعرفت من خلاله كثيراً من الناس وساعدها حتى أصبح لها اسم مرموق في عالم تجارة الأقمشة والملابس المطرزة.

استأجرتْ لنفسها حجرة تطل على شارع سكاي لارك في لاجوس وعندئذ تغير الحال، كان فريدي نام المدرس الشاب يعيش في البيت نفسه في الطابق الأرضي، وكان أعزبَ ووسيماً، وعندما رأته لأول مرة قررتْ أن تعيش معه فاستخدمتْ أنوثتها من أجل الفوز به، وبدأ اهتمامها بتجارة الملابس يتضاءل تدريجياً دون وعي منها بعد أن سيطر عليها التفكير في فريدي، كانت تمر بالقرب من باب حجرته وتلقي عليه التحية بصوت عال ثم بدأت تعد له الطعام والأطباق المنزلية الشهية مما جعله يتذكر أمه ويتحدث عنها وعن طريقتها في طهي الطعام.

اكتشفتْ چاجوا أنه ليس مرتبطاً بأي من الفتيات ففكرتْ أن تفوز بقلبه وتبادله الحديث عن الحب لكنها لم تستطع، كانت خائفة من فارق السن بينهما فتركتْ له فرصة الحديث عن طموحاته ورغبته في أن يصبح محامياً، وبين حين وآخر كانت تقول لنفسها: لو شعرت معه بالأمان فلن أتردد في التوسل إليه طلباً للحب وإذا رزقت منه بطفل فلن أبخل عليه بالمساعدة.

زحف الظلام ببطء فتنهدَتْ چاجوا وراحتْ تتأمل سقف الحجرة، شاهدتْ أشباحاً بالخارج تتحرك عبر الشوارع المظلمة واستطاعتْ رؤية وجوههم من خلال المصابيح التي كانوا يحملونها.

عادتْ روزا وقالتْ لها وهي تفتش في الرف: هل ستذهبين للحمام قبل الأكل أم إنك ستأكلين قبل الحمام؟

أجابتْ چاجوا بذهول: لا.

- هل ستأكلين أولاً؟

- أنا لا أريد شيئاً وحالتي المزاجية ليست على ما يرام، أريد فقط التفكير بجدية في الحياة وما يجب أن تكون عليه.

اقتربتْ روزا منها ووضعت ذراعها فوق كتفها وقالتْ: لماذا تشعرين بالقلق ومن أجل أي شيء؟ أنت لا تستطيعين تغيير أي شيء سواء بالضحك أو البكاء فما حدث قد حدث ولن يستطيع العم تايو أن يهرب كما أن من يدينونه لن يفكروا في اقتحام بيتك، يجب أن تشكري الرب لأن أعينهم لم تقع عليك ولم يتسببوا في إيذائك، من الأفضل أن تختبئي هنا بعض الوقت حتى ينتهي كل شيء.

نهضتْ چاجوا وبدأت بخلع ملابسها ورغبتْ في العودة إلى بيتها في أوجابو، ثم فكرتْ في الذهاب إلى كريناميه لمعرفة ما إذا كان الزعيم أوفوبارا ما يزال راغباً فيها أم لا، وحين بدأت تفكر في أمها شعرتْ بجوع شديد وتيقنتْ من فشلها في مدينة لاجوس ثم همستْ لنفسها قائلة: يجب أن أحاول وأبدأ من جديد ولكن في مكان آخر غير لاجوس، ليت أخي فونسو يستطيع مساعدتي فأنا لا أريد شيئاً سوى أن أصبح أميرة للتجار في أونيتشا.

قالتْ لروزا: جهزي الماء لي لأنني سأستحم أولاً ولا أعتقد أن بمقدوري تناول الطعام.

خرجتْ روزا من الحجرة بقدمين حافيتين وعلي الفور شعرتْ چاجوا بارتياح حقيقي.

# (٢٣)

اكتشفتْ چاجوا عالماً جديداً من التفسخ والانحلال بعد أن بدأت تتردد يومياً على نادي تروبيكانا الليلي، كانتْ تغادرالحجرة في كل مساء بصحبة روزا ليتوجها مباشرة إلى هناك وعند عودتهما كل يوم في الثالثة صباحاً برفقة اثنين من الرجال كانتا تطلبان منهما ترك السيارة بالخارج ودخول الحجرة معهما، كان الخوف ينتاب الرجلين عادة وكانا يترددان في الدخول ويتساءلان: كيف لاثنين من الرجال الغرباء أن يمارسا الحب في حجرة واحدة؟

كانت چاجوا تتحدث إلى الرجلين في كل مرة حتى تتمكن من إقناعهما ومساعدتهما في التغلب على مخاوفهما وخجلهما، وكانت روزا أحياناً تحتل السرير مع الرجل الخاص بها لأنها صاحبة الحجرة، وفي أحيان أخرى قليلة كانت تسمح لچاجوا باستخدام السرير مع الرجل الثاني وترقد هي فوق الحصيرة وعند الفجر وبعد أن يرتوي الرجلان من الحب كانا ينطلقان بالسيارة ويختفيان فتبدأ كل من روزا وچاجوا بحساب النقود التي حصلا عليها من الرجلين والمقارنة بين نصيب كل منهما، كان اللون الأحمر هو لون الجنيهات والأخضر للعشرات والبنفسجي للخمسة جنيهات.

ذات مساء عادتْ چاجوا وروزا بصحبة رجلين آخرين، وما إن أوقف الرجلان السيارة أمام الحجرة حتى جاءت سيارة أجرة ووقفت خلفهما، لم تهتم چاجوا وروزا بالأمر وسارعتا بالدخول إلى الحجرة ثم أغلقتا الباب بإحكام.

سمعتا طرقات قوية ومتتالية فوق الباب مع صوت يقول: نعتذر لذلك القلق.

نظرتْ چاجوا إلى روزا القلقة وقالت: سأفتح الباب لمعرفة ما يحدث.

اندفعتْ روزا وهي غاضبة حتى وصلتْ إلى الباب قبلها وحاولتْ چاجوا أن تسمع ما يحدث خلف الباب وبدا لها أنها تسمع اسمها وجال بخاطرها أنه معجب آخر يرغب في مشاركتها الفراش فهمستْ لنفسها قائلة: لقد تأخر الوقت ولتحاول في ليلة أخرى.

اقتربتْ روزا من الباب وقالتْ: يقول الرجل بأنه يريدك يا چاجوا.

وأضافتْ وهي تحاول أن تصف ملامحه: لكنني لا أعرفه .

لم يكن أمام چاجوا من خيار سوى تسليم المصباح لروزا والتقدم نحو الباب لمواجهة الرجل.

كان شعاع الضوء يتسلل من المصباح مخترقاً الباب الموارب حتى سقط فوق وجه الرجل الواقف بالخارج، نظرتْ چاجوا إلى الوجه بإمعان ثم تراجعتْ خطوة إلى الوراء وقالتْ: أخي فونسو.

- لقد بحثت عنك يا أختي في كل أرجاء لاجوس.

- لا يمكنك الدخول يا أخي فونسو.

- أعرف.

خرجتْ إلى الظلام فقال لها فونسو على الفور: قالوا لي بأنه يمكنني العثور عليك في تروبيكانا وعندما وصلت إلى هناك كنت خارجة للتو بصحبة امرأة أخرى ورجلين، وقبل أن أنادي عليك شاهدتك تستقلين السيارة مع أحد الرجلين فسارعت باستئجار سيارة أجرة للحاق بك وحالفني الحظ في اللحاق بك رغم أن الرجل كان يقود سيارته بسرعة، لقد كانت رحلتي إلى لاجوس طويلة وشاقة.

شرح لها فونسو سبب حضوره ولهفته للقائها ثم أضاف: لقد جئت لأن أحوالنا ليست على ما يرام.

شعرتْ چاجوا بقلق شديد وتساءلتْ بفزع: ألا تجدون المال الكافي للعيش؟

- لا، لا يتعلق الأمر بالنقود بل هو أكثر خطورة من ذلك.

- لقد قلت يا أخي بأنك حين تأتي إلى لاجوس...

شعرتْ چاجوا فجأة بمزيج من الألم والغضب وعرفتْ - من خلال طريقته في الحديث - أن ثمة شيئاً قد حدث ولا تستطيع التنبؤ به، فقال لها فونسو: نعم، لقد جئت لأن الأمر يتعلق بأبيك، إنه يحتضر ولا يتوقف عن ترديد اسمك طوال الوقت، وأعتقد أنه لن يموت إذا تمكن من رؤيتك ولذلك كان من الضروري أن نبحث عنك في كل مكان.

أخذتْ چاجوا نفساً عميقاً ونظرتْ إلى أخيها فونسو لكنها لم تر شيئاً سوى الظلام، وحين راحتْ تستمع إلى ما حواليها لم تستطع سماع أي شيء وبدا

أن ضميرها قد استيقظ فراحتْ تلوم نفسها ولم تعد قادرة على الفهم، وحين وقف فونسو أمامها ازدحمت برأسها على الفور كل خطايا حياتها الماضية والآتية وتذكرت سوء الحظ الذي لم يتوقف عن ملاحقتها وموت أقرب الناس إليها ومصادرة ممتلكاتها، إنها ابنة أبيها الوحيدة التي طالما أحبها وكان شغوفاً بها ولم يبخل عليها بأي شيء، لقد شاهد زفافها وفرح بزواجها لكنها إنسانة عنيدة ومتمردة تركت كل شيء ورحلتْ إلى لاجوس لتقتفي أثر الأضواء في تروبيكانا وضحكات الرجال وكلامهم المبتذل المليء بعبارات الإغواء الرخيصة وبريق الأزياء بأشكالها المختلفة، وراحتْ تتجول في كل أرجاء نيجيريا وحيدة بلا زوج ولا عائلة وتتخبط وسط تعقيدات الحياة بخبرتها القليلة المتواضعة حتى لم يعد بوسعها أن تتذكر أباها وأمها وحاجتهما لها ولحبها .

قال فونسو بشكل قاطع: هل أنت مستعدة إذن للعودة معي الآن؟

- الآن؟ أغادر لاجوس الآن؟

- نعم، الآن، نحن لا نملك الوقت الكافي يا أختي.

شاهدتْ چاجوا نظراته المتأججة وهو يستطرد قائلاً: وإذا شئت ألا تذهبي معي فعليك بالبقاء، إن أبي سيموت وهو رجل عجوز، حسناً، فلتفعلي ما تشائين لكنه يريد فعلاً أن يراك قبل أن يموت، ألا يهمك ذلك في شيء؟ حسناً، لقد قمت بواجبي وتركت عملي للمجيء إلى لاجوس لأبحث عنك في كل مكان بالمدينة ولتعلمي أنني لم أر لاجوس من قبل أبداً لكنني جئت خصيصاً لتلبية رغبة أبي في رؤيتك لعله يشعر بالسعادة والفرح قبل أن يموت .

بدأت چاجوا بالبكاء وقالت: لكنني لا أملك أي شيء، لقد صادروا كل ممتلكاتي وأغراضي فكيف أذهب معك الآن؟ إن تكاليف الجنازة ومراسم الدفن ليست بالشيء اليسير فكيف أغادر الآن بدون نقود؟، إنه لأمر مخجل خاصة وأنني لم أذهب إلى هناك منذ ما يربو على عشر سنوات، لا، أنا أشعر بالخزي والعار.

تساءل فونسو بصوت ساخر: ليس معك نقود بعد كل تلك السنوات؟

ثم ضحك وأضاف: ألم تخبريني عندما جئت إلى أونيتشا بأنك تعملين بتجارة الملابس وقلت لك عندئذ أن تبقي في أونيتشا وتعملي ببيع العباءات والملابس النسائية لكنك لم تسمعي كلامي؟ انظري الآن إلى حالك .

شعرتْ چاجوا بقسوة كلام فونسو وبدأت تبكي بهدوء ثم راحتْ تسند رأسها براحة يدها وتندب حظها، وعندئذ سمعته بصعوبة وهو يواصل حديثه ويقول: هل أخبرك أحد بأن بابا يريد نقوداً منك؟ لا، إنه لا يفكر في ذلك أبداً رغم أنه لم ينعم طوال حياته بامتلاك المال الكافي، إنه على وشك الموت ولم يعد بحاجة للنقود لكنه باحتياج شديد لرؤية ابنته چاجوا التي يحبها ولا يحلم بشيء سوى رؤيتها إلى جواره، كنت أغار منك دائماً بسبب ذلك الحب الكبير الذي خصَك به، أنت متمردة وعنيدة يا چاجوا وأنت الوحيدة القادرة على شفائه بعد أن باءت كل محاولاتنا بالفشل، إنه يحتضر الآن وإذا كنت تشعرين بالذنب لهجرانه فإنني أقول لك بأنه لا يتذكر شيئاً.

أدركتْ چاجوا حجم السخرية والتشاؤم في كلام أخيها وقالتْ: ليس الوقت مناسباً لذهابي الآن يا أخي وما الذي يمكن أن أجلبه معي؟ لا، إنه وقت سيئ بالنسبة لي وأنا لا أملك شيئاً ، إن الجنازة ومراسم الدفن في أوجابو يتطلبان أموالاً كثيرة .

نظر فونسو إلى الشارع من أوله إلى آخره وقال: هل كل ذلك بسبب الرجال الموجودين داخل الحجرة؟ وهل هم أكثر أهمية من بابا ؟ أم إنها النقود التي سيمنحونك إياها هذه الليلة؟ أعرف أن ما ستحصلين عليه الليلة يفوق بكثير كل ما حصلت عليه منذ ولادتك.

احتوتها سحابة من الخزي والخجل بعد ما قاله فونسو وشعرتْ بتأنيب الضمير وأصبحتْ بحالة مزاجية سيئة وقالتْ: أعرف أنه لأمر مخجل أن تأتي وتلتقي بي في مثل هذا الوضع لكنني لا أستطيع الذهاب معك لأسباب أخرى وليس بسبب أولئك الرجال، وكل ما أستطيع قوله هو أنني أشعر بخجل شديد وأنني لست قادرة بأي حال على العودة الآن.

كان فونسو يسوِي من هندامه وينتصب في وقفته دون إدراك منه حين كانت أخته تتحدث، وبعد انتهائها من الكلام وجدته واقفاً أمامها بجسد مفرود وكأنه شجرة نخيل فبدا لها في تلك اللحظة أنه واقف في ساحة المحكمة لإصدار الحكم بتعذيبها، فتوسلتْ إليه وبكتْ واجتهدتْ لمحاولة إقناعه بصواب قرارها لكنه كان ما يزال واقفاً بهدوء واستطاعتْ من خلال هدوئه أن ترى كل خطاياها الماضية ولم تستطع مواصلة حديثها كما فقدتْ قدرتها على التفكير.

شعرتْ بقشعريرة تسري في روحها عندما قال الأخ فونسو بصوته المتقطع: وإذن فأنت لن تأتي معي وسوف تتركين أبي يموت؟، إنه لن يعود مرة أخرى

كما تعرفين وأنت لم تشاهديه منذ ما يربو على سنوات عشر و...

- لا، ليس الأمر كذلك يا أخي، سوف أذهب إلى حيث أبي ولكن أمهلني بعض الوقت.

ضحك فونسو وقال: حتى متي؟ حتى نكون قد انتهينا من دفنه؟ وهل سيشعر عندئذ بوجودك وهو ميت؟ افعلي ما تشائين ولا تتعجلي فالموت سيمنحك الوقت الكافي ولن يقترب من أبيك حتى تعودي.

استدار الأخ فونسو ومضى ببطء نحو سيارة الأجرة وسمعته وهو يسبها ويلعنها، حاولتْ أن تنادي عليه لكنها لم تستطع تحريك لسانها وشعرتْ بجفاف حنجرتها كما أنها لم تستطع حتى رؤية شكله الطويل وهو يختفي بسرعة وغضب ثم سمعتْ صوت محرك السيارة الذي انطلق بسرعة .

كانتْ چاجوا واقفة في مكانها أمام الباب فجاءت روزا وتحسست كتفيها وقالت: من هو ذلك الشخص؟

نظرتْ إليها چاجوا بصعوبة وكانت حنجرتها ما تزال جافة فلم تستطع الإجابة.

فكرتْ كثيراً في كيفية الحصول على الأموال اللازمة كي تسافر لرؤية أبيها وفي خلال أيام ثلاثة استطاعتْ أن تجمع بعض النقود من أصدقائها القدامى، كان لا بد من الحصول على تلك النقود رغم علمها بأنها لن تقدر على سدادها لكنها كانت تقول لنفسها: أستطيع الآن - على الأقل- أن أدفع أجرة الطبيب الباهظة.

ذهبتْ روزا معها إلى محطة الحافلات لتوديعها وكانت أشعة الشمس تتسلل إلى وجه چاجوا وفستانها الممتزج باللون الأحمر الداكن واللون الأصفر فبدتْ بكامل فتنتها، وحين جاء شاب يرتدي سترة فضفاضة قالتْ روزا: كان يقضي عطلة نهاية الاسبوع في لاجوس.

ثم سألتْ چاجوا: متي ستعودين يا چاجوا؟

- لا أعرف يا روزا.

ابتسمتْ روزا وقالتْ: لكنك ستكتبين لي لمعرفة كل شيء والاطمئنان عليك، أليس كذلك؟ وأرجو بالمناسبة يا چاجوا أن تأخذي معك تلك الحقيبة التي

تركها العم تايو معك لأنني أخشى أن يأتي رجال الحزب لتفتيش بيتي والشروع في قتلي.

صوبتْ چاجوا نظراتها نحو المقعد لمزيد من التأكد وقالتْ: لقد أخذتها معي ولا تخافي يا روزا.

لم تستطع أن تتذكر كيف بدأت تلك الرحلة ولكن حين وصلت الشاحنة إلى المحطة التي تعرفها أدركتْ أنها قد وصلتْ إلى مسقط رأسها، كانت البلدة هادئة لكنها استطاعتْ أن تفهم ذلك الهدوء فعرفتْ - دون أن يخبرها أحد - بوفاة أبيها خاصة بعد أن قابلها كل الناس بدموع غزيرة ونظرات فاترة، كان الطريق المؤدي للغابة مهجوراً وكان صوت أقدامها يتردد في الغابة وهي تمشي بإعياء، شاهدتِ الكلاب السوداء القذرة وهي راقدة بوهن تحت الأشجار وكانت لافتة القس «دافيد أوبي» مغطاة بالقماش الأسود وأمها واقفة وسط مجموعة من الرؤوس المحنية، كانت النساء الصامتات متجمعات في دائرة وكن شبيهات بالأشباح وحين نظرتْ چاجوا إليهن قالتْ: ماما.

كانت عينا الأم صفراء وكان شعر رأسها حليقاً وملابسها ممزقة وباهتة لكن چاجوا استطاعتْ من خلال ذلك الجو الكئيب أن ترى شيئاً آخر، لقد شعرتْ بأن أمها فقدت تماماً كل آمالها.

قالت الأم: ها أنت قد جئت أخيراً!

شاهدتْ چاجوا الدموع ومن مكان ما خلف الحجرات سمعتْ أصوات الصراخ والبكاء المتواصل فتذكرتْ على الفور كل ما هو غير قابل للتذكر ثم سألتْ قائلة: أين بابا؟

أجابت الأم: مات أبوك منذ أربعة أيام، لقد تأخرت يا چاجوا بالمجيء.

قالت امرأة أخرى وهي تتمتم: مات ودفن منذ وقت طويل، ألم تشاهدي أخاك فونسو؟، لقد أرسلناه لاستدعائك لكنه ما كاد يبتعد أكثر من عشرين ميلاً حتى مات أبوك الذي لم يتوقف لحظة عن ترديد اسمك والحلم برؤيتك .

نظرتْ چاجوا إلى أمها وهي تهز جسدها ورأسها من جانب إلى آخر فقالت لها الأم: اذهبي لإنزال تلك الأغراض عن كاهلك وتلك الحقيبة الشبيهة بحقيبة الطبيب.

كانت الأم رقيقة وطيبة وكانت تتحدث إلى ابنتها وكأنها لم تغادر البيت أبداً أو وكأنها كانت على يقين من عودتها في يوم ما، وفي تلك الأثناء شعرتْ چاجوا تجاهها بالأمان رغم ما بدا عليها من تقدم مفاجئ في العمر.

حضر بقية إخوتها مراسم الدفن وكان فونسو موجوداً وكذلك ماثيو أوبي وجون وسمعتْ منهم قصة موت أبيها بالسكتة القلبية وعرفتْ أنه مات قبل وصوله إلى المستشفي بعد صراع طويل مع المرض.

قالت الأم: كان اسمك هو الكلمة الوحيدة التي ظل يرددها طوال الوقت حتى مات ولم يأكل أو يشرب أي شيء، لم يكن يفعل شيئاً سوى ترديد اسمك وآه لو استطاع أن يراك قبل أن يموت!

قالت چاجوا: فليسامحني الله.

كانت الحجرة معبأة برائحة النبيذ وشراب الجن المحلي حين بدأ صوت دقات الطبول ينتشر في أركان الحجرة، وعندما ظهر القمر في السماء تجمعتِ الفتيات على شكل دائرة وبدأن بالرقص والغناء فتسللتْ چاجوا بينهن وراحت ترقص وتبكي، وفي تلك الأثناء جاء فونسو وقال لها: يجب أن تعتني بماما يا چاجوا وإلا فإنها ستلحق ببابا، أنت تعرفين كبار السن وكيفية حبهم لأنفسهم.

نظرتْ إليه چاجوا وقالت بعد أن تسارعت ضربات قلبها: كيف؟

- عليك بالبقاء معها بضعة شهور على الأقل لمساعدتها.

- هنا أم في لاجوس؟

لا تفكري في لاجوس الآن، هذا هو مكانك الذي نشأت فيه وهذه هي تقاليدنا وأعرافنا، كما أنك تعرفين أن ماما لن تغادر أوجابو ولا يجب عليها أن تعتني بشعرها أو ترتدي ملابس جميلة لمدة ستة أشهر على الأقل بالإضافة إلى عدم وجود أحد بالبيت و...

جاء شخص ما وسحب فونسو من يده ثم خرجا فعادت چاجوا إلى حلبة الرقص وهي تقول لنفسها: ستكون تضحية كبيرة أن أظل مقيدة هنا في أوجابو.

ذهبتْ مؤخراً إلى مرقد أبيها في فناء الكنيسة وراحتْ تهمس لنفسها قائلة: هل يرقد أبي هنا فعلاً تحت ركام هذه الأرض؟ وهل هي روحه فقط هي التي صعدت كما قالوا؟

كان صوت چاجوا جميلاً فانضمت - ذات مرة - إلى جوقة المرتلين في الكنيسة وها هي تركع الآن أمام القبر وتقول: يا إلهي، أنا لم أدخل الكنيسة ولم أقم بأداء الصلوات منذ سنوات كثيرة رغم أن أبي كان قساً وولد في الكنيسة ومات وهو في خدمتها، لقد أنكرت وجود الله واخترت الشيطان والبحث عن الثروة ولكن انظر إليه الآن يا إلهي واحفظه.

لفحت حرارة الشمس ركبتيها فنهضتْ وتنهدتْ بعمق وقالتْ: يا إلهي، أنا لا أستطيع البقاء مع أمي مدة طويلة.

شعرتْ بقليل من الراحة فمضت في سيرها تاركة المكان وكانت تنظر إلى كتفيها حين التقت امرأة تحمل سلة فوق رأسها.

ابتسمت المرأة وقالت: هل جئت أخيراً يا چاجوا؟

أجابتْ چاجوا: نعم، لقد جئت.

لم تستطع چاجوا أن تتذكر المكان أو الزمان الذي عرفت فيه تلك المرأة، وحين نظرت إليها وتفحصت أسنانها البنية القذرة الملطخة بالسواد وبشرتها الخشنة وجسدها المرتعش لم تعد متأكدة أنها امرأة حقيقية.

قالت المرأة: أعتقد أنك لا تتذكرينني، عندما كنت صغيرة...

بكتْ چاجوا فلم تكن تعرف وهي صغيرة أن حياتها ستكون مليئة بكل ذلك الخزي والمرارة والانحلال والتفسخ، لقد عاشت بحرية وببساطة في أوجابو حين كانت صغيرة لكنها الآن لا تنعم بالحرية والبساطة.

ظلت المرأة تتحدث واكتفتْ چاجوا بالضغط على شفتيها وهز رأسها والإشارة بأصابعها الملتوية، ثم مضت في سيرها نحو البيت لمقابلة أمها وهي تواصل البكاء.

# (٢٤)

رحل كل المشاركين في العزاء، وفي الصباح سقطت قطرات الندى فوق أوراق الأشجار الندية، وكانت الشمس ما تزال راقدة في محبسها ولم تبسط أشعتها بعد حين سارت الفتيات في طابور بمحاذاة المياه وهن يجرجرن أقدامهن، وعلى غير العادة لم يتبادلن الأحاديث وإنما حرصن على الاحتفاظ بوحدة الطابور وكأن في ذلك حماية لهن من الأخطار والمخاوف الخارجية الغامضة.

تحول البيت الذي كان يعيش فيه والد چاجوا إلى تابوت وداخل ذلك التابوت جلستْ چاجوا نائا فوق أحد المقاعد بينما كانت أمها راقدة فوق حصيرة من القش بعينين مغلقتين لكنها لم تكن نائمة.

لم يكن أمام چاجوا من خيار سوى محاولة التكيف مع أهل مدينتها وطريقتهم في الحياة حتى تصبح قادرة على العيش في أوجابو، وكان ذلك أمراً شاقاً بالنسبة لها فالناس مازالوا ينظرون إليها بارتياب ويرونها شخصاً غريب الأطوار، كانت طريقتها في الحديث وشكل ملابسها وطريقة تناولها للطعام وطباعها الغريبة تقف حاجزاً بينها وبين الاندماج مع أهل بلدها ومع أسلوب حياتهم، ولطالما سمعتهم وهم يهمسون بأنها لم تأت للعزاء في أبيها لكنها جاءت من أجل رجل آخر مات في لاجوس، كما قال بعضهم بأنها كانت تعمل بالتدريس في بورت هاركورت وتم نقلها الآن إلى أوجابو غير أن جميعهم كانوا يعرفون بأنها تعاني من مأساة حقيقية، وكان الشباب الصغير يخاف من المرور بجوارها أو محاولة التقرب إليها، وهكذا ظلت منعزلة عن كل المحيطين بها والمقربين منها، وسرعان ما اكتشفتْ أنها لن تجد الصحبة المناسبة ولن تقدر على الاختلاط بالناس إلا في أونيتشا أو بورت هاركورت لكنها كانت تعرف بأن أمها لن تقبل أبداً بفكرة الرحيل عن أوجابو، وأنه من الأفضل ألا تتحدث معها في هذا الشأن خاصة وأنها لا تعرف وطناً آخر غير أوجابو.

مع بداية سقوط الأمطار كانت چاجوا تذهب مع أمها إلى مخزن الحبوب لتفحص حبات البطاطا الصغيرة، وكانتا تصطحبان معهما عدداً قليلاً من الفلاحين لحرث التربة وزراعة الذرة والبطاطا والبامية، وهكذا تم اختزال حياتها في الأرض والتربة فيما عدا ذهابها إلى السوق كل أربعة أيام بصحبة أمها أو بمفردها، كانت الخطابات تأتي من أحد أخوتها الذي يعمل فيما وراء نهر النيجر الكبير حيث التجارة الرائجة وحيث وفرة المال الذي ينتقل من يد

إلى أخرى، وكان مكتب البريد في أوجابو على بعد ستة أميال من الشاطئ فلا يستطيع صاحب الخطاب أن يتسلم خطابه قبل ثلاثة أيام، وعندما يصبح عبور الجسر خطراً بسبب سقوط الأمطارفإن الخطابات لا تأتي أبداً ورغم ذلك فالناس لا تقلق، إن أوجابو تواصل الحياة بطريقتها الخاصة والناس يجيدون الانعزال عن العالم.

بعد أن غادرت چاجوا لاجوس بأسابيع قليلة تلقتْ رسالة من روزا تفيد برغبتها في الحضور إلى أوجابو لأنها تشعر بالوحدة ولأن الأمور في لاجوس ليست على ما يرام، لكن چاجوا لم تهتم ورأتْ أن كلامها عديم الجدوى ولا فائدة منه، ولم تكن راغبة في سماع أي شيء عن لاجوس حتى لا تستيقظ رغبتها في العودة إلى هناك. كانت چاجوا تشعر بملل شديد فحاولت مع أمها حتى استطاعت الحصول على إذن منها بالذهاب إلى أونيتشا، وهناك بحثت عن أخيها فونسو الذي ساعدها في الحصول على ماكينة للحياكة وشيد لها سقيفة من القش في طريق بورت هاركورت الرئيس، كانت تخرج كل صباح وتجلس في السقيفة المجاورة للسوق وتبدأ عملها في الحياكة، وكانت أربعة أكشاك أخرى متراصة إلى جوارها لم تستغرق وقتاً طويلاً في التعرف على أصحابها ولكونها چاجوا القادمة من لاجوس كانت فتيات القرية يأتين إليها ليتعلمن منها فنون الموضة مما أثار غضب نساء القرية أصحاب الأكشاك المجاورة، لكن چاجوا لم تهتم وبدأت بحياكة ملابس فتيات الدير المحتشمة، ثم قمصان النساء الخارجية الفضفاضة، مما أتاح لها اتصالاً مباشراً مع العالم الذي تعرفه وطالما أحبته، وعندئذ اكتشفتْ أنها تجلس فوق حافة عالمها القديم وأنها تمتلك الجرأة الكافية لمراقبة ذلك العالم بابتسامة غريبة.
وعندما كانت السيارات والشاحنات والحافلات وعربات النقل تنطلق من أمامها قاصدة بورت هاركورت كانت تحدوها الرغبة أحياناً في الانطلاق معهم وهي تهمس لنفسها قائلة: أستطيع من هناك أن أستقل الزورق وأذهب إلى باجانا وكرينياميه وإذا ما حدث ذلك فإنني لن أعود أبداً، وهذا يعني أنني سأترك أمي وحيدة لا تجد من يرعاها ويقوم على خدمتها، كما أنني لن أشاهد شيئاً جديداً في بورت هاركورت بعد كل ما شاهدت وعرفت في لاجوس رغم أن بورت هاركورت تقع في شرق نيجيريا ولاجوس في غربها وتتميز بأنها ميناء يأتي إليه الناس من مختلف الأجناس ومن كل أنحاء العالم وهم ممسكون بالدولارات والجنيهات الإسترليني في أياديهم بحثاً عن الجديد. إنه عالم متعدد الثقافات ويتحدث الناس فيه بلغات عديدة ويختلف تماماً في أفكاره عن عالم أوجابو، وإذا ذهبت إلى هناك فإن أسلوب حياتي وطريقتي في العيش ستختلف عما كانت عليه في لاجوس وسأشتري ملابس جديدة ولا بد أنني سأتوقف قليلاً عند كرينياميه.

كانت تشعر بتعب شديد بعد عودتها إلى البيت في المساء وهي تحمل ماكينة الحياكة فوق رأسها، ورغم ذلك لم تتوقف عن مساعدة أمها والبقاء معها حتى وقت متأخر، ولم تكن تذهب للنوم إلا حين تأمرها الأم بذلك. استطاعتْ في وقت قصير أن تشتري دراجة وحين كانت تهم بالخروج كل صباح قاصدة مكان عملها كان أحد الصبية يحمل لها ماكينة الحياكة ويضعها فوق الدراجة، لقد أصبحت مسؤولة عن إدارة شؤون المنزل وخادمة لرغبات أمها، وكان واجبها يحتم عليها العناية بممتلكاتها وممتلكات أمها المتواضعة ولم تفكر بالزواج حتى لا تبتعد عن أمها، وحين كان الأطفال يضايقونها أو يتقربون إليها لم تشعر تجاههم بالاستياء حتى أصبحوا جزءاً من الأسرة. كانتْ چاجوا تمارس حريتها ولكن بطريقة جديدة ومختلفة دون أن يفارقها إحساسها بالندم على ما فات بعد أن استسلمتْ لقرار أخوتها في اجتماع العائلة الأخير قبل أن يتفرقوا ويذهب كل منهم إلى مكان مختلف وهكذا ظلتْ تعاني بصمت.

كانتْ چاجوا تشك كثيراً في قدرتها على التكيف مع تلك الحياة الجديدة خاصة حين عرفتْ بعد أشهر قليلة أن الحياة في أوجابو تختلف تماماً عن مثيلتها في مدينة لاجوس الصاخبة والمثيرة للرغبات الجنسية والغرائزالحسية لكل من الرجال والنساء. إن الرجال هنا في أوجابو يرتدون ملابس جميلة لكنها تفتقر إلى الشياكة والفخامة، كما أن النساء فاتنات وجميلات لكنهن يفتقدن الخبرة اللازمة ويغلب عليهن طابع الخجل ولا يعرفن شيئاً عن فن الممارسة الحميمة، إنهن شيء متمم لأشجار النخيل وأشجار الإيريكو والأنهار ولسن سوى جزء مما يحيط بهن مثلهن مثل الرياح والجداول وبقية مظاهر الطبيعة المختلفة وجزء من خصوبة الأرض، أما الإنسان في لاجوس فهو متمسك دائماً بالبيئة التي خلقها ومشغول بالبحث عن النقود ولا شيء سوى النقود والمزيد من النقود، لم تجد چاجوا في أوجابو ذلك الاندفاع نحو النقود والرغبة في التفوق على الآخرين والحديث الدائم عن عدم وجود وقت كاف والقول بأن الحياة قصيرة والوقت قصير، الوقت، الوقت!!

كانتْ چاجوا تستلقي باسترخاء وهي تقول لنفسها: لا توجد هنا مثل هذه الحياة الصاخبة السريعة.

لم تكن چاجوا تحب الحياة الهادئة الرتيبة لكنها فقدتْ تدريجياً معرفتها بالحياة الصاخبة ولم تعد تشتاق لها، وفي يوم ما جاء رجل من لاجوس لقضاء إجازته ولم يكن الرجل من أوجابو، وأثناء مروره بالقرب من الأكشاك توقف بسيارته في الطريق بجوار كشك چاجوا، كان الرجل شاباً متأنقاً

ومبتسماً ولم تستطع چاجوا أن تسيطر على ضربات قلبها حين أبصرتْ مدى شياكته، تحدث معها في أمور تافهة لوقت طويل وهو يتحسس ربطة عنقة الحريرية بأصابعه بينما كانت أسنانه تتلألأ أثناء الحديث وقد حظيت علبة سجائره الفضية بإعجاب چاجوا، فتح العلبة بطريقة مثيرة وقدم لها سيجارة ثم تناول واحدة لنفسه، وبينما كانت چاجوا تدخن بهدوءٍ تذكرتْ بأنها لم تدخن منذ ستة أشهر تقريباً، كان الشاب مهذباً ومتحضراً مما أثار إعجاب چاجوا. اعتاد الشاب على المجيء إلى كشك چاجوا دون أن يذكر السبب وراء مجيئه، وفي كل يوم كانت تصوب نظراتها عبر الطريق انتظاراً لمجيئه ولا تتوقف إلا عندما ترى الضوء المنعكس فوق نافذة سيارته، بدأتْ بتمشيط شعرها والبحث في حقيبة ملابسها عن فساتينها التي لم ترتديها منذ شهور كثيرة، وذات مساء أغلقتِ الكشك مبكراً واستقلتِ السيارة معه حيث واصلا السير حتى ساد الظلام ثم توقف واصطحبها إلى مكان ما على شاطئ النهر، ووسط صمت الأشجار لم تستطع چاجوا السيطرة على مشاعرها خاصة وأن رائحة الغابة قد أضافت بعداً رومانتيكياً لم تستطع الفكاك منه.

حضر الشاب لزيارتها مرة أخرى وذهب معها إلى المكان نفسه وكان اللقاء حاراً لكنه غادر أوجابو بعد ذلك وعاد من حيث أتى بعد أن كرر وعوده بمراسلتها وإرسال الهدايا لها، وبعد انقضاء شهر على رحيله لم تكن قد أخبرتْ أمها بالأمر فكان عليها أن تعالج نفسها بنفسها للتخلص من ارتعاشة جسدها والتوقف عن التفكير فيه وقالتْ لنفسها: إنه لشيء مستحيل أن يكون الأمر حقيقياً!!

مضى الشهر الثاني والثالث بعد رحيله حين ركبتْ چاجوا دراجتها وهي مبتهجة واتجهتْ إلى أقرب مستشفي على بعد ثلاثين ميلاً وقالت للطبيب بلغة الإيبو: أنا ابنة المرحوم دافيد أوبي.

تحرك الطبيب بسرعة واضطراب عبر ممرات العيادة واصطحبها على الفور إلى السرير، لم تكن المستشفى سوي مبنى خشبيٍّ تم بناؤه وسط أشجار النخيل منذ ثلاثين عاماً كحل مؤقت، لكنه ما يزال قائماً ويقوم بخدمة الناس الذين يأتي غالبيتهم من أماكن بعيدة بعد أن فقدوا الأمل في وعود الحكومة ببناء مستشفى كبير، كان الطبيب يتحدث إلى الممرضة الواقفة إلى جواره وهو يقرأ الفحوصات ثم فرك يديه وقال مبتسماً: سيكون زوجك رجلاً سعيداً.

كانت چاجوا تجلس ذات مساء بجوار كشكها المحاذي للطريق وهي تعلِم إحدى فتياتها كيفية تطريز رقبة القميص في ملابس الأطفال حين توقفت

إحدى الشاحنات في الطريق ونزلت منها امرأة، عبرتْ المرأة الطريق وبدأت تطرح الأسئلة.

نقلتِ المرأة العجوز السلة من كتف إلى آخر وأشارتْ بيدها إلى وجه چاجوا، وحين رأتْ چاجوا المرأة الغريبة وهي تستدير بجسدها تحركتْ بداخلها صورة غامضة فراحتْ تدقق النظر فعرفتْ أنها روزا.

ألقتْ بالفستان فوق الأرض وراحت تجري عبر الشارع وتقول: روزا!!

ارتمتْ روزا بين أحضان چاجوا وتعلقتْ بها وهي تئن من البهجة وقالتْ: چاجوا، أمي!! كنت أسأل لتوي إحدى السيدات عن الطريق المؤدي إلى أوجابو، لقد مضيت في طريقي حسب العنوان الذي أعطيتِني إياه حتى تمكنت من الوصول إلى هنا.

كانت تتحدث بسرعة وبطريقة لاهثة ولأن اللقاء المفاجئ كان فوق أرض الإيبو كان حديثها بلغة الإيبو.

بدتْ روزا شاحبة وكانت عيناها الواسعتان تشيران إلى مزاجها السيئ ومدى الأرق والقلق الذي تعاني منه، فقالت چاجوا لنفسها: إنها رحلة الشاحنة الطويلة ولا بد أنها ستصبح على ما يرام حين تستريح.

لكن تلك التقطيبة الدائمة الخالية من الغضب فوق وجه روزا هي ما جعل چاجوا تشعر بالقلق، وهي ما جعلتْ شكل روزا يبدو خيالياً. تحسستْ چاجوا بشرة روزا المشرقة وقميصها القطني الأصفر المطرزفشعرتْ كلتاهما بالحميمية والطمأنينة.

قالتْ روزا: لقد عدت إلى بلدي مع الرجل الذي أحبني.

أضافتْ روزا شارحة: هل تذكرين الشاب صاحب السترة الفضفاضة، إن بلده ليست بعيدة جداً عن أوجابو، لقد كان في إجازة من عمله فانتهز الفرصة كي يأتي ويتحدث إلى أهلي.

قالتْ چاجوا: فرصة جميلة وشيء طيب يا روزا لكنني...

طلبتْ چاجوا من الفتيات أن يتوقفن بسرعة عن العمل ويستدعين رجلاً لحمل حقيبة روزا ثم سارتا معاً عبر الغابة، ولم تشعر أي منهما بطول المسافة حين راحتا تستعيدان الذكريات والخبرات الماضية.

قالتْ روزا متسائلة: هل سمعت أي شيء عن دينيس أودوما؟

أجابتْ چاجوا بعد أن ازدادت ضربات قلبها: لا، ماذا حدث؟

قالتْ روزا: ألم تسمعي بأنهم شنقوه؟

بدأتْ چاجوا بالبكاء وقالتْ: لا.

أضافتْ روزا قائلة: أعدك بأنني سأحكي لك القصة كاملة في يوم ما.

كانت روزا تقشر البطاطس وتطحن الفلفل بنشاطها المعتاد ثم قامتْ بطهي الطعام وهي تزيح فستانها المطرز عن ركبتيها، وكانت تتدثر بلفافة خضراء مثيرة تلتف حول ساقيها وترتدي قميصاً شفافاً للنوم، وحين كانت تهبط سلالم الفناء الخلفي كان ثدياها الصغيران يتراقصان وردفاها المستديران يتأرجحان مما جعل چاجوا تقر بفتنتها.

قالتْ چاجوا لأمها حين دخلت: لدينا زائرة جاءت لتوها يا ماما، لقد عرفتها في لاجوس واسمها روزا.

قالت الأم: أهلاً ومرحباً بك يا روزا.

وأضافتْ قائلة لچاجوا: هل تناولت الطعام؟ قدمي لها الطعام الآن وبسرعة.

ابتسمتْ چاجوا وضغطتْ على يد روزا ثم همستْ لها قائلة: أمي تحبك يا روزا.

بعد الاستحمام والانتهاء من تناول الطعام جلستا في الشرفة وبعيداً عن لاجوس بخمسمائة ميل، أخبرتْ روزا چاجوا عن كل ما حدث لدينيس أودوما والعم تايو، وبعد كثير من الأسئلة عرفتْ چاجوا قصة دينيس وكأنها كانت موجودة بالمحكمة وطبقاً لأقوال روزا فقد حاول القاضي أن ينقذه غير أن تورط دينيس في القضية جعل محاولاته تبوء بالفشل.

حكتْ روزا عن وجه القاضي المكفهر وهو يعرض وجهات النظر المؤيدة لدينيس ويحاول أن يخدع المحكمة ويتملقها، وكيف كان دينيس يقف في قفص الاتهام مرتعشاً وقد بدا عليه الشحوب والضعف، وكيف أن ذقنه كان مليئاً بالشعر.

أضافت روزا بأن ملابسه كانت مجعدة وأن الأمطار الغزيرة والمثيرة للاكتئاب لم تتوقف طوال عشرة أيام في لاجوس وهي تضرب الأرض بقوة حتى قضت على إسفلت الطريق وحركت الأحجار من مكانها، ثم تدفقت نحو الأنهار الصغيرة واندفعت نحو الجداول فانسدت البالوعات وأصبح الخشب طافياً فوق المياه وغرقت السيارات في الطمي وكذلك الأغنام والكلاب، ثم توقفت الأمطار عند الفجر ولم يعد باستطاعة أحد أن يسمع أصوات المدينة مرة أخرى، وكانت الأبواق تزعق من مسافات بعيدة والقطارات تطلق صفاراتها فوق القضبان مما أثار اليأس في نفس روزا وأصاب الناس كلها بالقنوط. ولم يتضامن مع دينيس سوى جهة الادعاء بعد أن تعاونوا، بينما كان الصحفيون يدوّنون بسرعة كل ما يحدث وينتظرون، وفي تلك اللحظة جاء إلى المحكمة كثير من الناس لكنهم لم يستطيعوا البوح بما لديهم وإنما كانوا يهمسون.

كان ذلك هو الوقت الذي تمنت فيه روزا أن يطلقوا فيه سراح دينيس أو تسمع فيه بعض الكلمات المساندة له حيث كان الجميع قد يئس من القضية، وكان كل أعضاء الادعاء في صف دينيس غير أن الشرطة جاهدت لإثبات أنه شخصية بالغة السوء وأنه شخص مدمن وأنه هاجم ضابطاً للشرطة منذ ما يقرب من أربع سنوات، كما نجحوا في إثبات أنه في السنوات الأربع الأخيرة قد دخل السجن وخرج منه خمس مرات.

أصيبت روزا بالدهشة وقالت بأنه لم يخطر ببالها أبداً أنه كذلك خاصة بعد أن شاهدت طريقته في التصرف عندما جاء لزيارة چاجوا. ثم نطق المدعي العام بالحكم قائلاً: خمسة عشر شهراً لاقتحام منزل بغرض السرقة، وتسعة أشهر لتزوير العملة، وتسعة أشهر أخرى للسرقة باسم ماتياس أويمجي، ثم أربعة أشهر للسرقة ومثلهما لسرقة أخرى.

شرحتْ روزا - بطريقة مسرحية - كيف أن ضابط الشرطة كان يخلط الأوراق وهو يتحدث، وشرحتْ بالأداء المسرحي نفسه كيفية وقوف دينيس في قفص الاتهام برأس منحنٍ دون أن يقول شيئاً، وعندما بدؤوا بالحديث عن الطريقة البشعة التي خطّط لها ذلك الولد الشرير لقتل ضابط الشرطة بعد أن أغراه بالدخول إلى جانب الشارع تأكدتْ روزا عندئذ بأنه لا أمل في نجاته، وحين شاهدت صورته في الصحيفة بعد ذلك وقال بأنه كان يعترض على الحكم أصابتها الصدمة غير أنها لم تندهش، وسمعتْ روزا أنه لجأ للاستئناف لكن شيئاً لم يحدث لصالحه.

لم تقل چاجوا أي شيء لكنها كانت تردد بينها وبين نفسها قائلة: كان يحبني كثيراً واعتاد دائماً على مناداتي بماما، ولقد حاولت أن أعلمه كيف يكون رجلاً شريفاً لكنه مختلف عن فريدي نام، نوع آخر مختلف من الرجال.

ثم قالت بصوت مسموع وبدون خوف أو تردد: تعرفين بأنه كان يعيش فوق فوهة بركان طوال الوقت، وكان يمتلك من القوة ما يكفي لقتل أي رجل بضربة واحدة من يده، لكنه كان يبدو رقيقاً وضعيفاً جداً أثناء لحظات الحب وكان يفقد اتزانه ولا يستطيع التحكم في نفسه حين كان يشاهدني وأنا عارية.

كانت چاجوا تجلس في الشرفة المواجهة لبيت أبيها حين عادتْ روزا من الغابة مسرعة وقالتْ: لقد تذكرت شيئاً ما يا چاجوا.

قالتْ چاجوا: أي شيء يا روزا؟

أجابت روزا: هل تعرفين أي رجل اسمه أوفوبارا؟ الزعيم أوفوبارا؟ من كرينياميه؟

همستْ چاجوا وهي تضع يديها فوق صدرها: الزعيم أوفوبارا!!، نعم، إنه ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلى باجانا ومن هناك وصلت إلى كرينياميه و...

توقفتْ قليلاً وراحت تراجع نفسها فلم تستطع أن تخبر روزا عن غيرتها الشديدة تجاه نانسي حين راحت تتعقبها داخل مياه كرينياميه، لكنها تحدثت عما أصاب الزعيم أوفوبارا حين وقعت عيناه أول مرة عليها.

- لقد جاء الرجل إلى لاجوس بعد مغادرتك لها مباشرة وكان قلقاً عليك إلى درجة الجنون وقال بأنك تواعدت معه على الزواج، وقد عاود المجيء مرات عديدة ثم بدا أنه فقد الأمل في لقائك ولم يعد قلقاً عليك فتوقف عن المجيء.

استطردت روزا قائلة: جاء الزعيم أوفوبارا إلى لاجوس بصحبة آخرين لحضور مؤتمر ما خاص بشياخة القرية ورئاسة المدينة.

شعرت چاجوا برغبة جارفة لرؤية أوفوبارا من جديد ولكن ليس في هذه اللحظة ثم تنهدت وقالت: ذلك الرجل الذي تتحدثين عنه هو رجل طيب جداً.

كانت چاجوا ترى - بطريقة ما - أنها زوجته برغم أنه لم يتبع الطريقة التقليدية ويذهب للتحدث مع والديها، لقد دفع لها المهر لكنها لا تستطيع الزواج به الآن وربما تقدر على الذهاب إلى رصيف بورت هاركورت أو حتى أبعد كثيراً عن باجانا من أجل سماع بعض الأخبار عنه كما أن كريناميه لا تبعد كثيراً، إنها بالقرب من نهر النيجر.

كانت چاجوا تتبادل الحديث مع روزا كل ليلة، وفي إحدى الليالي حكت روزا عن قصة العم تايو، كانت قصة مروعة بالفعل تعلمت منها چاجوا أن السياسة شيء بغيض وقذر، ثم تحدثت روزا عن ذلك اليوم حين كانت ذاهبة إلى السوق وسمعتْ عن رجل مقتول قاموا بإلقائه في أحد الطرق الجانبية بوسط المدينة، وأشاعوا أنه مدفون بالقرب من السوق في مواجهة فندق ليفربول، وعبرتْ عن مدى الخوف الذي أصابها في ذلك الوقت، وأضافتْ بأن الرجال كانوا يشاهدون الرجل الميت من نوافذ سياراتهم وهم ذاهبون للعمل في الصباح الباكر وكانت تبدو عليهم علامات الفزع، وكان الشرطي في برج المراقبة يرفع غطاء رأس معطفه الواقي فوق رأسه تجنباً للأمطار الغزيرة المتواصلة حتى تشبع الغطاء بالماء، كما امتلأت الشوارع بالطين والحفر وطفحتْ البالوعات وتكدست الأعشاب الضارة فوق الحقول المنتشرة في الضواحي ، كانت لاجوس في ذلك اليوم في حالة من التشوش الكامل وبدا أن شبح تلك الجثة كان يطير عالياً فوق الرؤوس.

استطردتْ روزا قائلة: كانت الجثة ترقد في مكانها منتفخة وصلدة كالتمثال، وكانت واحدة من ركبتيه مرفوعة إلى صدره والذراعان متشابكان عند القلب.

حاولتْ روزا تقليد وضع الجثة وحين وضعت جسدها فوق الأرض أصيبت چاجوا بالفزع وتوسلتْ إليها أن تنهض بسرعة، كان جسد چاجوا يهتزمن شدة الخوف.

قالت لها روزا في محاولة لمساعدتها على التذكر: أنت تشاهدين مثل هذه الأشياء في أفريقيا، ولقد مشيت حول الجثة ثلاث مرات وأبصرت بعض الكلاب وهي تلف معي ربما انتظاراً للغروب حتى يستمتعوا بجثة الرجل المشهور، كان ذلك في لاجوس وليس في أي مكان آخر. ثم دخلت فندق ليفربول ورحت أنظر من الطابق الخامس إلى سلسلة من السيارات الحمراء والزرقاء والخضراء والصفراء وذات اللون القرمزي والأصفر الشاحب، وإلى التحركات البطيئة وسيارات المرور التي تدفقت داخل المكان المزدحم، وكانت جثة العم تايو ترقد وسط مياه الأمطار حيث لفتت إليها جميع الأنظار وأصابت السائقين بالرعب، طلبت كأساً من البراندي وشربت منه ببطء لأنني

كنت أشعر بألم ما بينما كان السقاة بزيهم الأبيض يملؤون المكان ولا أحد منهم يعرفني، وسمعتهم يقولون بأن حزبه هو الذي قام بعملية القتل ثم ألقوا به عند جانب الطريق لأنه خانهم وخسر الانتخابات.

ظلت الأمطار تواصل السقوط بغزارة وتضرب أسقف البيوت بقوة فكان يوم وفاة العم تايو يوماً بارداً وكئيباً، وقالت روزا بأنها خرجت من الفندق وتوجهت إلى البيت دون أن تذهب إلى السوق.

أصيبت چاجوا برعب شديد من تلك القصة، إنها لم تحب العم تايو أبداً لكنها كانت مجرد أداة في يده، لقد كان رجلاً كبيراً ويعرف ما يريد، ولم يتذمر يوماً لأنه كان يدفع مقابلاً لما يريد، ولم تدرك چاجوا أبداً بأنه كان غارقاً حتى أذنيه في تعقيدات سياسية واجتماعية لم يكن يتحدث عنها على الملأ. يا له من فرق كبير بينه وبين دينيس، لقد كان قلب دينيس نابضاً بالحياة وكان يستخف بكل الاتفاقيات والمعاهدات ولا يهتم بالاجتماعات أو المؤتمرات وكان قوياً ويافعاً، إنه الشاب الذي حرك أعماقها وجعلها تشعر بالقلق.

مضتْ روزا نحو السرير لتنال قسطاً من النوم فراحتْ چاجوا تعيد التفكير في قصة مقتل العم تايو، وعندئذ لم تجد سبباً للاحتفاظ بالحقيبة بعد وفاته ورأتْ بوجوب ذهابها في تلك اللحظة إلى الفناء الخلفي لتمزيق كل الأوراق، فأشعلت المصباح واتجهتْ ناحية الدولاب في حجرة أمها لالتقاط الحقيبة، وحين تناولتها وحاولت أن تفتحها كانت الحقيبة مغلقة، فأحضرتْ سكيناً وقطعتْ لسان القفل الجلدي ثم تناثرت محتويات الحقيبة فوق الأرض بجوار قدميها، كانت الحقيبة مليئة بالأوراق المالية من فئة الخمسين جنيهاً، فتراجعتْ چاجوا بخوف وأصابتها الدهشة ثم راحتْ تحصي عشرين حزمة من النقود قبل أن تتوجه بسرعة إلى أمها وتهز كتفيها قائلة لها: ماما، ماما، استيقظي وتعالي لتشاهدي ما رأيته.

فركتْ الأم عينيها ثم نظرت إلى النقود بإمعان وقالتْ: لن ألمسها.

وعندما سمعتْ قصة الحقيبة أضافت قائلة: إنها نقود ملوثة بالدماء.

قالتْ چاجوا في محاولة للتفسير: إنها ليست ملوثة ولكنها أموال الحزب.

كانت چاجوا متأكدة بأن العم تايو حصل على هذه الأموال من الحزب لإنفاقها على الدعاية الانتخابية، لكن الانتخابات قد انتهت وتم قتله وأنه كان يحتفظ بنصيبه هذا على أمل استخدامه في المستقبل من أجل أهدافه الخاصة.

ركعتْ چاجوا وراحت تحصي مائة حزمة من فئة الخمسين جنيهاً بينما كانت أمها تقف في حالة من الاندهاش والذعر.

قالت الأم: افعلي ما تشائين أما أنا فلا شأن لي بتلك النقود.

رفعتْ چاجوا يديها إلى أعلى كما يفعل المصلون وقالتْ: إذا كان حصولي على هذه الأموال خطأً أو حراماً فلتسامحني أيها الرب ولا تحملني مزيداً من المعاناة.

بدتْ چاجوا في الصباح شخصاً مختلفاً وقالتْ لأمها بثقة وكما يتحدث الأقوياء وأصحاب النفوذ: أنا أعرف ما يمكنني فعله بتلك النقود يا ماما عندما يأتي الوقت المناسب، سوف أقدم للمسؤولين في أوجابو بعض الأموال للانتهاء من بناء الكنيسة، أما باقي الأموال فإنني سأستخدمها في بعض الأعمال التجارية خاصة بعدما رأيت في أونيتشا آخر مرة دكاناً في شارع أودوزياكو يأتي إليه كثير من الزائرين والضيوف، ساشتري ذلك الدكان وليساعدني الله حتى أصبح أميرة حقيقية للتجار لكنني أرغب أولاً في الذهاب إلى بورت هاركورت.

رفعتْ يديها ووجهها مرة أخرى نحو السماء وأضافتْ: سيتحقق حلمي بمشيئة الله.

ذهبت چاجوا بصحبة روزا إلى بورت هاركورت لشراء الأقمشة وكانتا تسيران عبر الشارع وتحدقان في الفاترينات الزجاجية، وكان الوقت ماطراً مما اضطرهما للبحث عن مكان للاحتماء من الأمطار داخل المحلات، وفي أحد تلك المحلات شاهدتْ چاجوا ذلك المحامي الذي كان حاضراً جنازة فريدي فسألته عن نانسي.

فكر الرجل كثيراً وقال متسائلاً: نانسي؟ هل تقصدين نانسي نام؟ أوه، نعم، لقد كانت معركة حقيقية وتعاملت هيئة المحكمة مع القضية بجدية نيابة عن الطبيب صاحب المستشفى الخاص الذي طردوا منه فريدي عنوة وهو في أشد حالات المرض، لقد كان ترحيل فريدي من المستشفى عملاً اجرامياً، لقد طلبوا تعويضاً قدره عشرون ألفاً تدفعه الشرطة لنانسي التي أصبحت أرملة فريدي لأن شفاء فريدي كان ممكناً لو لم يقوموا بترحيله غير أنهم لم يحصلوا سوى على ألفين فقط .

تجهم المحامي قائلاً: كان ينبغي أن نطالب بعشرين ألفاً لأنه ينبغي دائماً المطالبة بعشرة أضعاف ما نريد، ولكن لم تكنِ النقود هي ما يجاهدون من

أجل الحصول عليها، لكنهم كانوا يعملون من أجل كرامة الرجال المهنيين من أمثال الطبيب والحفاظ عليهم من تفاهات العمل السياسي وكذلك محاولة الكشف عن أكاذيب رجال الشرطة.

تحدثا بالتفصيل عن فريدي وعن اندفاعه وتورطه في العمل السياسي المضطرب المتقلب، ثم شعرتْ چاجوا بالسعادة لعدم تعرض نانسي لأي من المصاعب لكنها لم تخبر المحامي عن مدى حبها لفريدي وكيف أنها علقتْ كل آمالها المستقبلية عليه كما لم تخبره عن خسارتها الفادحة لرحيله.

كانت چاجوا ومعها روزا ما تزالان في بورت هاركورت حين توجهتا بسيارة أجرة إلى جوار الشاطئ في محاولة لرؤية أي شخص تعرفه چاجوا يكون قادماً من باجانا لتسأله عن الزعيم أوفوبارا، جلستْ چاجوا فوق رصيف إسمنتي مدة طويلة وظلت تراقب الزوارق والنساء اللاتي يحملن البرتقال والبطاطا والخضروات، وبعد طول انتظار بدا واضحاً أنها لم تتعرف على كل القادمين من باجانا أو كرينياميه في ذلك اليوم، وعندئذ مضتْ روزا نحوها وهي تعلق حقيبة فوق كتفها ثم سألتها: ماذا سنفعل الآن؟ أتريدين الذهاب إلى باجانا وكرينياميه؟ لقد قال لي أحد العاملين بالزوارق أن الرحلة تستغرق ساعتين من هنا.

حدقَتْ چاجوا في ثوب الحداد الذي ترتديه وأجابت: أرغب في الذهاب لأنني وعدت الزعيم أوفوبارا بالعودة إلى كرينياميه.

وأشارتْ إلى ثوبها ثم أضافتْ: ولكن ثوب الحداد هذا!! إن الفرق شاسع بينه وبين ما كنت أرتديه عندما شاهدني الزعيم أوفوبارا لأول مرة.

تساءلت روزا قائلة: وماذا سوف تفعلين؟ سنذهب لإلقاء التحية وفقط، هذا كل ما في الأمر ويمكنك إخباره بوفاة والدك إذا سألك عن سبب ارتداء الملابس السوداء .

أضافت روزا وهي تشير إلى الشاطئ: انظري، إن الزورق هناك وهو جاهز للرحيل فلنلحق به.

سارعتا بالجري نحو الزورق ولحقتا به في آخر لحظة قبل أن يبدأ المحرك في الدوران، وفي أثناء ذلك بدأت الأمطار بالتساقط برفق وغطى الضباب أشجار المانجروف، لكن چاجوا استطاعتْ من خلال الجو الملبد بالضباب والغموض أن ترى برج كنيسة باجانا، وكانت ملامح البرج شاحبة من بعيد وبدا كالطيف

في مواجهة السماء السوداء فامتلأت عيناها بالدموع وساورها حنين العودة إلى الماضي.

لم يكن بانتظارهما أحد عندما وصلتا إلى شاطئ باجانا فقررتا الذهاب إلى القصر سيراً على الأقدام رغم استمرار تساقط المطر، وهناك تعرفت الخادمة على چاجوا فابتسمتْ وسمحت لهما بالجلوس في قاعة الانتظار، نظرتْ چاجوا إلى الجدران وطلبتْ من روزا أن تنظر معها لرؤية صور العم نام ودافيد نام والزعيم أوفوبارا.

ابتسمتْ الخادمة ورحبتْ بهما ثم أخبرتهما بأن الرجال الثلاثة ذهبوا إلى لاجوس منذ يومين لرؤية الحاكم العام من أجل بحث بعض الأمور، تناقشتْ چاجوا مع روزا واتفقتا على عدم البقاء في باجانا ومواصلة السير باتجاه كريناميه ثم بدأتا بالسير بمحاذاة الشاطئ حيث رأتْ چاجوا المكان الذي تعقبتْ فيه نانسي وسط مياه كريناميه، وأخيراً وافق أحد رجال الزوارق على اصطحابهما في زورقه للوصول إلى كريناميه عبر المياه وسط الأمواج العاتية والصخور الكثيرة.

راح الرجل يجدف عبر الصخور فأبصرتْ چاجوا كريناميه غير التي تعرفها، كانت كريناميه مهجورة لكنها مرصوفة بطرق جديدة وواسعة، وشاهدتْ للمرة الأولى بنايات جديدة كثيرة جعلتها تفكر بسرعة في بنايات بورت هاركورت المواجهة للبحر.

وصلتا إلى هناك في موعد انتهاء اليوم الدراسي، وكانت الشوارع مكتظة بالأطفال المنتشرين في كل مكان، كانوا يقذفون بالكرات المطاطية ويضحكون فأضافوا قدراً من الحياة على كريناميه، وتذكرتْ چاجوا عندئذ مناشدات الزعيم أوفوبارا الدائمة بأهمية وضرورة التعليم.

أمسكتْ روزا من ذراعها وقالتْ: علينا العودة إلى باجانا فلقد شاهدت كل ما كنت أرغب في مشاهدته.

رمقتها روزا بنظرة ملؤها الدهشة لكنها لم تكن تعرف حتى هذه اللحظة شيئاً عن أحوال چاجوا، كان بمقدور أي شخص -في الشهرين الأخيرين- أن يلاحظ بطنها المنتفخة والتي بسببها سيظل الزعيم أوفوبارا في ذاكرتها كأسعد الذكريات وأكثرها رومانسية.

كان الطفل يتحرك في بطن چاجوا التي أسندتْ ظهرها للحائط وراحتْ تراقب التموجات في بطنها، كانت البطن قد انتفخت بشكل ملحوظ فوضعتْ

يدها فوق بطنها في محاولة للإمساك بقدم الطفل الذي لم يولد بعد، لكنها شعرتْ بألم ما وبدأت تضغط على أسنانها وتفكر في اسم للمولود المرتقب وهمستْ لنفسها قائلة: أوزو هو الاسم المناسب ومعناه الطريق.

حلمتْ چاجوا كثيراً بأن يكون لها طفل حين كانت متزوجة لكن حلمها لم يتحقق، وها هو الطفل يأتيها الآن من الطريق نتيجة علاقة غرامية عابرة مع أب غير موجود، وفكرتْ بتنشئته تنشئة قوية ومستقيمة. وفي تلك الليلة وبعيداً عن مجرد العرفان بالجميل لم تستطع النوم لأنها لو عادت للعيش عند الشاطئ أو في لاجوس أو بورت هاركورت فإن الحياة ستكون في وضع أفضل وستتسم علاقاتها مع الناس بالود، ولن تكون طائشة ومتهورة كما كانت من قبل خلال حياتها السريعة.

كان يتحتم على أم چاجوا أن تكف عن ارتداء ثوب الحداد انتظاراً للمولود السعيد وبقيت روزا معهما انتظاراً لذلك اليوم العظيم، وحين شعرتْ چاجوا بالقدرة على الحركة توجهتْ أولاً إلى النهر قاصدة وكالة البريد وأرسلتْ للزعيم أوفوبارا اثنتي عشرة حزمة من الأوراق المالية فئة الخمسين جنيهاً كمساهمة متواضعة من أجل برنامجه التعليمي.

شاهدتْ روزا النقود فأطلقتْ صفارة من فمها وقالتْ: أنت مسرفة جداً يا چاجوا وسوف تبددين كل النقود.

قالتْ چاجوا: لا عليك، إن الزعيم رجل طيب جداً وهذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها أن أرد له قيمة الحب الذي منحني إياه.

أشارتْ إلى بطنها وأضافتْ: أترين؟ إنه الرجل الوحيد الذي جعلني هكذا ولذلك فإنني لست مستعدة للزواج مرة أخرى.

تناولتْ إيصالات الاستلام من موظف البريد وأثناء عودتها إلى البيت لم تتوقف روزا عن القول بأنها مسرفة بشدة لكن چاجوا استطاعتْ بالكاد أن تبدد مخاوفها .

كانت چاجوا تصطحب روزا أحياناً للقيام ببعض الزيارات، فذهبتا في يوم ما إلى قرية مجاورة حيث يعيش والدا خطيبها، كان خطيب روزا في الكلية في ذلك الوقت ومنذ ذلك الحين بدأت روزا وأم چاجوا بالضحك على چاجوا وعلي بطنها الكبيرة، كانت چاجوا سعيدة بذلك المزاح وتلك الضحكات ولاحظتْ أن أمها تتحرك حول البيت بسهولة لم تعهدها من قبل.

أوشكتْ چاجوا على الولادة فصار لزاماً على أمها أن تغير ملابس الحداد، شعرتْ چاجوا بألم شديد داخلها وظلتْ تزرع الحجرة جيئة وذهاباً وكأنها شخص على حافة الجنون، فنادتْ روزا على أمها التي جاءت مسرعة وراحت تدعك عيني ابنتها ثم أخذتها بمساعدة روزا إلى الحجرة الداخلية لتهدئتها، وعندئذ سمعتْ چاجوا أمها وهي ترسل شخصاً ما لاستدعاء الطبيب .

عاودها الألم الشديد مرة أخرى فأمسكتْ بها الأم بمساعدة روزا وأسندتا ظهرها إلى الحائط ثم فردتا قدميها، كانت روزا تمسكها من يدها والأم من اليد الأخرى وكانتا تنظران إلى الجزء الأسفل من جسدها المنتفخ العاري، وعندئذ صاحتْ الأم قائلة: أصرخي بصوت عال.

صرختْ چاجوا ولكن دون جدوى فقالت الأم: اصرخي بكل قوتك.

صرخت مرة أخرى لكنها شعرت بالضعف والدوار، كان القمر بالخارج متلألئاً حين عاد الصبي المكلف باستدعاء الطبيب وفور دخوله إلى الحجرة مسرعاً كان أول من سمع صراخ الطفل المولود وأول من عرف أنه ولد.

أطلقتْ أم چاجوا اسم « نوشي»(4) على المولود الجديد المبشر بالنجاح واعتبرته بديلاً وعوضاً عن زوجها العجوز المتوفى، ومع حلول الظلام دقت الطبول تحت أشجار الموز فاستدارتْ چاجوا وراحتْ تستمع إلى إيقاعات الطبول حتى امتلأ قلبها بالسعادة.

عاش الطفل لمدة يومين فقط، دأبتْ چاجوا خلالهما على الإمساك بجسده الطري فشعرتْ بمعنى الأمومة التي طالما اشتاقت لها، وفي المساء المبكر من اليوم الثالث وضعته فوق صدرها ولم تكن أمها وروزا قد غادتا بعد من المزرعة، فشعرتْ بارتخاء مفاجئ في شفتي الطفل أثناء الرضاعة، وحين راحت تنظر إلى وجه طفلها الذي اكتسي باللون الرمادي الشاحب أصابها الذهول ولم تستطع أن تفهم شيئاً، كانت الحياة في طريقها للاستغناء عن « نوشي» فأصيبتْ چاجوا بالصاعقة وظلتْ تراقب جسد «نوشي» وهو يتيبس شيئاً فشيئاً حتى توقف تماماً عن الحركة.

فتحتْ چاجوا فمها كي تصرخ لكنها لم تستطع، وحين عادت أمها وروزا من المزرعة ودخلتا الحجرة كانت چاجوا صامتة وكان جسدها متصلباً كالتمثال الواقف أمام الهيكل، ضغطتْ چاجوا على جسد المولود الميت ولم تستطع الابتعاد عنه.

مضى أسبوع بعد دفن «نوشي» فبدأت چاجوا تدريجياً في الخروج من حجرتها ورؤية الشمس، وعاودها الشعور بالعطش والجوع، جلستْ فوق الدكة في الحوش فجاءت الأم وجلست إلى جوارها وقالتْ لها وهي خائفة: ماذا سوف تفعلين يا چاجوا عندما تتجاوزين هذه المحنة وتصبحين قوية من جديد؟

كانت الأم تشعر بابنتها وتعرف أنها ستهجرها وأن أوجابو ليس مكاناً مناسباً لها، فأبصرتْ چاجوا سحابة كبيرة من الخوف في عيني أمها وأجابتْ: لا أعرف يا ماما لكنني أفكر في مكان لا يبعد كثيراً عن أوجابو حيث أستطيع أن أعمل بالتجارة ويصبح بمقدوري العودة إلى هنا وقتما أشاء لرؤيتك والعناية بك، أريد أن أبدأ في أونيتشا إذ يمكنني هناك أن أصبح أميرة للتجار خاصة وأنني اكتسبت خبرة لا بأس بها في العمل التجاري، وسوف أذهب إلى أخي فونسو وأطلب منه النصيحة بشأن ما يمكنني عمله، أنت تعرفين يا أمي بأنني أملك بعض النقود التي ستساعدني وتجعل الأمر مختلفاً لأنني أستطيع امتلاك دكان على شاطئ النهر وشراء سيارة شحن صغيرة، وبالتالي سيكون من اليسير معرفة كثير من النساء وعمل صداقات معهن وأنا متأكدة من النجاح يا ماما.

شاهدتْ چاجوا مسحة من الارتياح في عيني أمها وهي تتحدث فقالت الأم: ذلك شيء جميل، كنت خائفة من عودتك إلى لاجوس، أما الآن فإن ابنتي ستكون قريبة مني ولن تتعدى حدود نهر النيجر.

عادت روزا من الغابة حين كانتا تتحدثان وهي تحمل إناءً مليئاً بالماء وبدتْ نشيطة ومفعمة بالحياة وجميلة، ابتسمت ابتسامة حلوة ومشرقة وقالتْ لچاجوا متسائلة: عن أي شيء تتحدثان يا چاجوا ولأي شيء تخططان؟ أنت تبدين في حالة جيدة يا عزيزتي.

ابتسمتْ چاجوا وقالتْ : كنا نتحدث عن عمل جيد يا روزا لأنني لا أرغب في مزيد من المعاناة.

نظرتْ من خلال وجه روزا إلى أمها فشاهدتْ ملامح الإيمان والثقة والود والارتياح وعندئذ امتلأ قلبها بالأمل وأضافتْ: لقد أخبرت ماما للتو بعزمي على الذهاب إلى أونيتشا لأنني أرغب أن أكون أميرة متميزة للتجار، وسوف أشتري دكاناً خاصاً بي وسيارة شحن وسيكون لي سائقي الخاص، سأواجه هذا المجال بجدية وأنا متأكدة بأن اللّه سيباركني.

أوشكت أوجابو على الغروب فسرت في الأفق نسمة هواء طرية ساعدت في تخفيف حرارة الجو فسارعتْ چاجوا بالجلوس إلى جوار أمها فوق قطعة من الخشب وراحتْ تحلم ثم فكرتْ قائلة لنفسها: كم هو جميل أن أحلم بينما روزا وأمي تستمعان لي!!

Banza: لاقيمة له (المترجم)

Juju: تعويذة عند قبائل أفريقيا الغربية أو القوة السحرية المنسوبة إلى هذه التعويذة. (المترجم)

OP : OurPeople (المترجم)

x« نوشي»: شيء أو شخص يحل محل آخر. (المترجم)